البغوي

ومنهجه في التفسير

تأليف

عفاف عبدالغفور حميد

طبع بمساعدة اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن

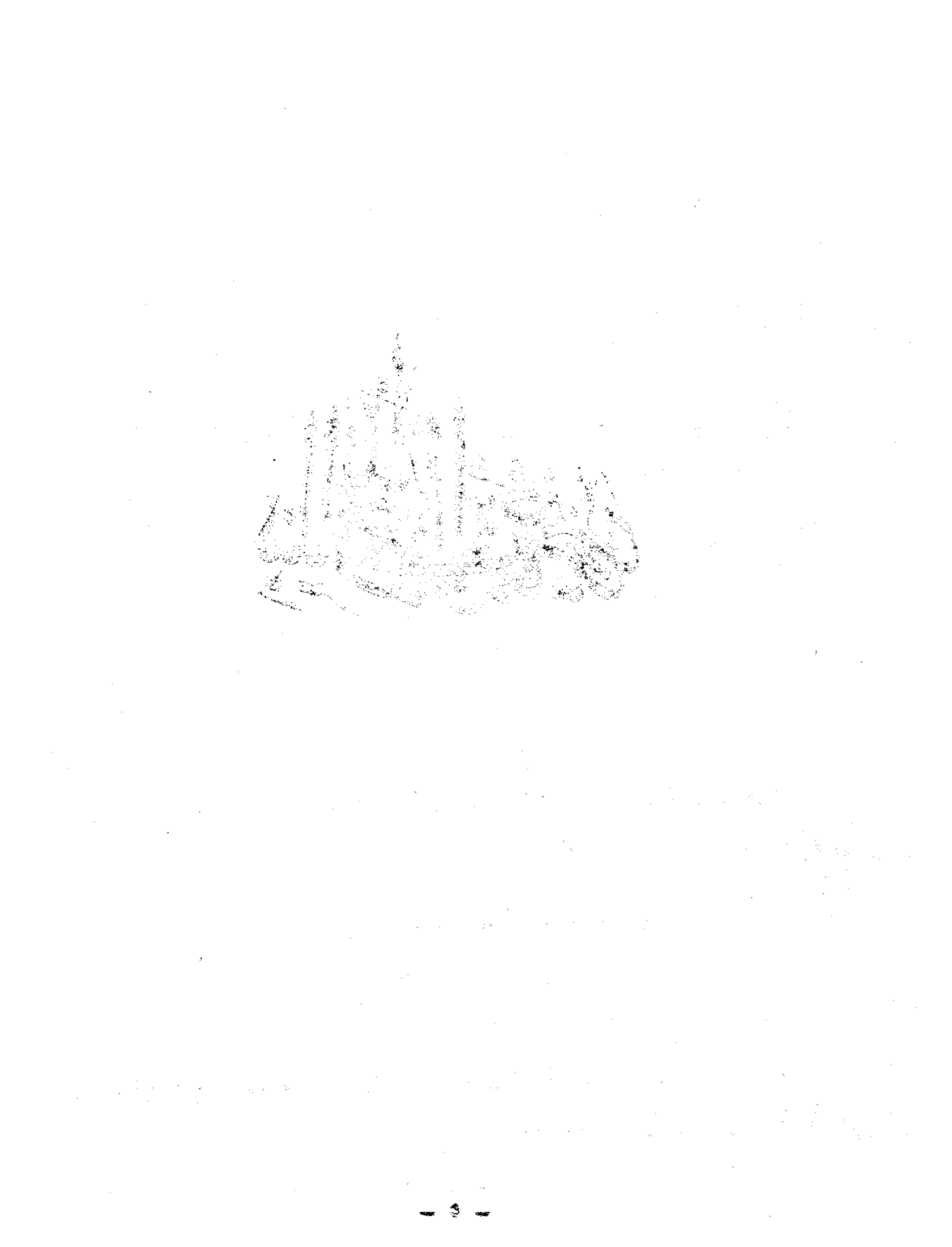
الخامس عشر الهجري في الجمهورية العراقية

١٩٨٣

مطبعة الارشاد ـ بغداد

البغوي
ومنهجه في التفسير


بسم الله الرحمن الرحيم



الاهـــداء

الى أبي الذي غرس في نفسي حبّ كتاب الله الخالد ، وحثني على تلاوته ، والى زوجي الدكتور مجاهد مصطفى بهجت الذي رعى هذا الغرس ، وأعانني على طريق البحث والتحصيل العلمي ..

اليهما باكورة انتاجي المتواضعة ..

عفـاف

تمت مناقشة هذه الرسالة بجامعة أم القرى في مكة المكرمة من لجنة الاساتذة :

- الدكتور محمد عبدالمنعم القيعي عضوا .
- الدكتور محمد أبو النور الحديدي عضوا .
- الدكتور أحمد عمر هاشم مشرفا .

وحصلت على درجة الماجستير بتقدير « ممتاز » ، وذلك في ١٨/٦/١٤٠٠هـ الموافق لـ ٣/٥/١٩٨٠م .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمــة :ـ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه اجمعين وبعد :

فقد كانت رغبتي مبكرة في الدراسة والتخصص في ميدان الشريعة الاسلامية ، وقد يسر الله لي ذلك فأتممت دراستي الجامعية الاولى ، ثم اتجهت رغبتي بعد ذلك الى التخصص بأصلي الشريعة الاسلامية الرئيسيين وهما كتاب الله وسنّة رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فهما خير الكلام وخير الهدى ومعرفتهما وفهمهما اساس عقيدة كل مسلم للعلم والعمل بهما جميعا ، وبهما نكون أهلا للدعوة الله على بصيرة وابلاغ الرسالة وأداء الأمانة التي جعلها الله في أعناقنا .

ومن هنا كانت رغبتي في دراسة مناهج التفسير ، للتعرف على منهج السلف الصالح في فهم كتاب الله وتدبره على الوجه الامثل ، ثم لاختيار مانحتاج اليه في عصرنا الحاضر ..

ولذلك فحين أردت اختيار موضوع للبحث احببت انتقاء تفسير من التفاسير لدراسة حياة صاحبه والوقوف على منهجه في التفسير ومعرفة ما قيل فيه ايجابا وسلبا ، وما ذكر فيه من الاستحسان وما سجل عليه من المآخذ ، مع مقارنته بتفاسير اخرى سابقة له ولاحقة لمعرفة قيمته العلمية .

وقد رأيت ان تفسير « معالم التنزيل » للامام البغوى جدير بالبحث والدراسة ، وقد رغبني في اختياره امور هي :

اولا ـ اظهار واحد من اعلام الاسلام الذين افنوا اعمارهم وبذلوا جهودهم في

التصنيف والتأليف لابراز العلوم الاسلامية المختلفة وخدمتها .

ثانيا ـ ان تفسير البغوي من التفاسير المتوسطة الحجم وهو مما الف في عصر مبكر ومتقدم يجعله متميزا على التفاسير المتأخرة .

ثالثا ـ لما لهذا التفسير من قيمة علمية غير معروفة يمكن ابرازها والاستفادة منها في عصرنا الحاضر ، وتوجيه الدارسين والمهتمين بتفسير كتاب الله اليه ، خاصة والموضوع ـ حسبما اعلم ـ لم يدرس من قبل .

ولهذا جعلت موضوع بحثي « البغوي » ومنهجه في التفسير » .

وقد اقتضت طبيعة البحث أن اجعله في تمهيد وثلاثة ابواب وخاتمة . عرضت في التمهيد لاحوال الشرق الاسلامي في القرن الخامس الهجري من النواحي السياسية والدينية والثقافية لالقي الضوء على البيئة التي نشأ فيها ..

وقام الباب الاول على دراسة حياة الامام البغوي ونشأته ، وتناول الباب الثاني منهجه في التفسير ، وكشف الباب الثالث عن ميزته وقيمته العلمية ، وتندرج تحت هذه الابواب فصول عديدة .

فجاء الباب الاول « البغوي » في ثلاثة فصول :

الفصل الاول « حياته ونشأته » تناولت فيه كل ما يتعلق بحياته التي تعكس اثرها على تفسيره ، فتكلمت عن نسبه واصله وكنيته والقابه ، ومولده في بغشور وموطنه ، ثم وفاته في مرو الروذ وزمنها ، كما تعرضت لنشأته الاولى في اسرته وتنقله ورحلاته في طلب العلم ، ثم عقيدته والمذهب الذي كان عليه ، وما قيل في صفاته واخلاقه معتمدة في ذلك على المصادر الاصلية من كتب التراجم والطبقات مخطوطة ومطبوعة .

اما الفصل الثاني فقد كان عن شيوخه الاعلام الذين تلقى العلم والمعرفة عنهم وما كان لهم من الاثر في اتجاهه والتأثير فيه ، وتتبعت في الشطر الثاني من

هذا الفصل تلاميذه الذين اخذوا العلم عنه ، ومدى تأثرهم به حيث برزوا اعلاما في فروع الشريعة الاسلامية •

وفي الفصل الثالث « آثاره ومؤلفاته » تتبعت ما صنفه في علوم الشريعة الاسلامية فوجدتها على ثلاثة أصناف : منها ما كان في التفسير وعلوم القرآن ، ومنها ماكان في الحديث وعلومه واخيرا ما كان في الفقه وفروعه • واتبعت كل كتاب بتعريف موجز يبين اتجاهه وموضوعه ••

اما الباب الثاني « تفسيره » فكان أوسع الابواب واهمها ، وقد تضمن ثلاثة فصول قدمت لها تعريفا موجزا بتفسيره ودواعي تأليفه ثم بينت طريقته ومنهجه :

فكان الفصل الاول « مصادره في التفسير » عن الاصول التي اعتمد عليها في تأليفه « معالم التنزيل » وهي التفاسير المأثورة عن الصحابة والتابعين (رض) وطرق الاخذ عنهم ، وكتب الاخبار والمغازي ، والقراءات العشر ثم الحديث النبوي عن الكتب الصحيحة المعتبرة •

وفي الفصل الثاني « منهجه في التفسير » بسطت القول فيه وعنيت به لاهمية هذا الفصل فضمنته تفاصيل دقيقة عن تفسير الامام البغوي ، فجاء منهجه معتمدا على خمسة أصول رئيسية وهي :

١ ـ اعتماده على الكتاب والسنة •
٢ ـ حرصه على المأثور من التفسير •
٣ ـ بعده عن البدع وقلة الاسرائيليات والموضوعات في تفسيره •
٤ ـ عنايته باللغة والنحو والقراءات •
٥ ـ ذكره لقضايا العقيدة والاحكام الفقهية بايجاز •

وقد تتبعت تلك الاصول التي استنتجتها من خلال قراءتي لتفسيره ، وقد

فصلت في هذه الاسس الخمسة وضربت لها الامثلة معتمدة على دراستي للتفسير نفسه ومستندة على مصادر اخرى ..

وفي الفصل الثالث « مباحث علوم القرآن في تفسيره » تكلمت عن اهم المباحث في علوم القرآن التي تشكل ركنا مهما في تفسيره من مثل آرائه في اول وآخر ما نزل ، والمكي والمدني ، واسباب النزول والناسخ والمنسوخ ، وتوصلت الى انه كان يذكر الاقوال فيها تارة ويرجح تارة اخرى .

اما الباب الثالث « تفسيره في الميزان » فقد عقدت فيه ثلاثة فصول فكان :
الفصل الاول « آراء العلماء فيه » ذكرت ما قاله العلماء فيه وفي تفسيره مستندة في ذلك الى كتب العلماء الاجلاء قدماء ومحدثين وتوصلت الى انهم جميعا أثنوا عليه وعلى تفسيره الا انهم اخذوا عليه مأخذا واحدا هو ما ذكره في تفسيره من الاسرائيليات .

وفي الفصل الثاني « البغوى بين الثعلبي والخازن » اجريت موازنة بين تفسير البغوى « معالم التنزيل » وبين تفسير سابق له « الكشف والبيان » للثعلبي ت ٤٢٧ وتفسير لاحق به « لباب التأويل في معاني التنزيل » للخازن ت ٧٢٥ كشفت فيها ما كان بين معالم التنزيل وهذين التفسيرين من التطابق والاختلاف حيث انتهيت الى أنه تفسير متميز مستقل عن غيره من التفاسير وان كان قد استفاد من الاول وافاد الثاني .

وفي الفصل الثالث « ميزة تفسيره وقيمته العلمية » استخلصت فيه مما درست وكتبت في الفصول والابواب السابقة ميزات علمية خاصة بالتفسير مما انفرد به دون التفاسير الاخرى .

هذا وقد التزمت بتخريج الآيات والاحاديث التي وردت في البحث وعرضت في الخاتمة تلخيصا مركزا للبحث وذكرت النتائج التي توصلت اليها .

وقد صادفتني خلال البحث بعض العقبات اليسيرة ، وقد تجاوزتها بجهد

الله تعالى وفضله ، فمن ذلك قلة البحوث والدراسات الحديثة التي درست حياة البغوي وتفسيره ، ولكنني اتخذت من التفسير نفسه حقلا وميدانا للـدراسة . ومن ناحية اخرى فقد كنت بحاجة ماسة الى الاطـلاع عـلى بعض المخطوطات التي ترجمت لحياة الامام البغوي ، والى مخطوطة تفسير الثعلبي شيخ البغوى ، وقد تمكنت من الحصول على قسم منها بالاستعانة بمركـز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي التابع لكلية الشريعة .

وان من الاعتراف بالفضل والعرفان بالجميل أن أسجل شكري الجزيل وتقديرى العظيم لكلية الشريعة والدراسات الاسلامية التي قبلتني في رحـابها ، كما أقدم شكري وتقديرى لمركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي التابع لكلية الشريعة لتعاونه وتصويره بعض ما احتاج اليه من المخطوطات ..

واتقدم بالشكر الوافر لاستاذى المشرف فضيلة الدكتور أحمد عمر هاشم على حسن متابعته ورعايته لهذا البحث ، فجزاه الله خير الجزاء ، وأشكر كل من أعانني على البحث ولم يبخل عليّ بالنصيحة والتوجيه فجزاهم الله عني خير الجزاء ..

وبعد ـ فهذا بحثي المتواضع بذلت فيه غاية الوسع ، ومنتهى الجهد وارجو ان أكون قد وفقت في ذلك ، فان اصبت فذلك ما ارجو ومن الله التوفيق والسداد والا فللمجتهد ان اخطأ نصيبه ، وارجو الا يفوتني ذلك ، وحسبي اني لم اقصر في دراسة هذا الموضوع بوقتي وجهدي ، وعسى ان ادرك رضى الله تعالى فالله اكرم مسؤول وافضل مأمول والحمد لله رب العالمين .

تمهيــد

الشرق الاسلامي فى القرن الخامس الهجرى

بيئته وعصره :

ان سمات اي شخصية مرآة تعكس ما في بيئته وعصره ولهذا فلابد لدراسة اى علم من الاعلام من دراسة لعصره وبيئته لملاحظة مقدار تأثره بهـا وتأثيره فيها وذلك لأن ما في البيئة والعصر من تيارات مختلفة سياسية كانت او ثقافية ، او دينية أو اجتماعية كلها تؤثر في تكوين الشخصية .. فالانسان وليد عصره وناج له .. فيؤثر في كل فرد حسب استعداده في الأخذ والعطاء .. وبمقدار ما وهب الله له من ملكة وفطنة وادراك .. وهكذا فالناس يختلفون في مـدى تأثرهم بكل ما يحيط بهم من ملابسات العصر حسب استعدادهم ..

وقبل أن نبدأ بدراسة حياة الامام البغوي الذى ولد في النصف الاول من القرن الخامس الهجرى وتوفي في مطلع القرن السادس الهجرى ، وقبل ان نتناول نشأته وثقافته وآثاره العلمية ، لابد ان نعرّف ببيئته وظـروفه وما في عصره من تيارات ومذاهب لكي تكون الدراسة متكاملة ويتكـون لدينـا تصور واضح عن مقدار تأثره به .. ومن أجل ذلك فلابـد مـن دراسة تلك الحقبة الزمنية من بداية القرن الخامس وحتى اوائل القـرن السادس الهجريين فـي العالم الاسلامي عامة ، وفي موطنه خاصة من هذه النواحي :ـ

أولا ـ الحالة السياسية :

كان البويهيون يسيطرون على اجزاء من ايران ويبسطون نفوذهم عـلى الخلافة العباسية في بغداد ، غير أن نفوذهـم اصيب بضعف شديد في أواخـر القرن الرابع وأوائل القـرن الخامس الهجريين اي حـين ظهـور السلاجقـة

فضعف نشاط سلاطين البويهيين واخذ السلاجقة يثبتون دعائم دولتهم في النصف الأول من القرن الخامس الهجري[1] .

والسلاجقة مجموعة من القبائل التركمانية اخذت تفارق موطنها الاصلي وهو اقصى سهول التركستان على شكل موجات استقرت في بداية الامر في بلاد ما وراء النهر ، وعرفوا بهذه التسمية نسبة الى زعيمهم سلجوق الذى سار بقبيلته وانصاره الى بلاد الاسلام وجاوروا السامانيين والخانيين والغزنويين فأدت مجاورة السلاجقة لهؤلاء الى اعتناق الاسلام على المذهب السني الذي كان يدين به حكام هذه الدول[2] ، والذي يتولى زعامته الروحية الخليفة العباسي في بغداد ، ويسّر اعتناق السلاجقة الاسلام فرصة التقرب من حكام المسلمين المجاورين لهم واستفادوا من مساعدتهم للسامانيين فاذنوا لهم بالمرور في بلادهم والاستقرار بالقرب من شاطىء نهر سيحون فاستقروا بالقرب من موارد المياه حيث الاراضي الخصبة والمراعي اللازمة لدوابهم ...

وهكذا استقر السلاجقة في بلاد ما وراء النهر في مستهل القرن الخامس الهجري وكانت الدولة السامانية قد انهارت في عام ٣٨٩ هـ فتوزعت اراضيها بين الخانيين والغزنويين[3] .

وقد استفاد السلاجقة من ذلك التوزيع السياسي الجديد واخذوا يوسعون رقعة اراضيهم فصاروا يتنقلون بين (نور) قرب بخاري في الشتاء و (سغد) قرب سمرقند في الصيف ثم أخذوا يتطلعون الى مستقبل افضل فبادروا الى

---

(١) راجع دولة السلاجقة د . عبدالنعيم حسنين ١٤ ــ ١٥ .

(٢) الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق خلال القرن الخامس الهجرى ، فاضل الخالدى ص١٤٤ ــ ١٤٥ .

(٣) دولة السلاجقة ١٨ ــ ١٩ ، سلاجقة ايران والعراق ، عبدالنعيم حسنين ص١٨ .

تجهيز أنفسهم بالاموال والسلاح وتمكنوا من اعداد جيش كامل العدة والعدد خلال بضع سنوات[٤] .

كما اثرت بداوة السلاجقة في تمسكهم الشديد بالاسلام بعد اعتناقهم له ، وميلهم المفرط الى اهل السنة والجماعة ، واثر هذا الامر في تصرفاتهم فجعلهم يظهرون الولاية للخليفة العباسي في بغداد ويحترمون أئمة الدين احتراما شديدا[٥] .

وهكذا اخذت قوة السلاجقة في الظهور وبدأ جيرانهم الخانيون والغزنويون يحسون بوجودهم وقوتهم منذ اوائل القرن الخامس الهجرى لانهم أخذوا يغيرون على المناطق المجاورة لهم ويحاولون توسيع ممتلكاتهم ولذلك فقد استجاب محمود الغزنوي لشكوى ودعوة الخانيين للقضاء على السلاجقة ودبر حيلة استطاع بها القبض على زعيمهم اسرائيل السلجوقي والقى به في السجن الى أن مات .. فآثر اخوه ميكائيل الاستعانة بالحيلة والدهاء فارسل الى السلطان محمود الغزنوى يلتمس الاذن بالمرور من الاراضي التي تخضع لسلطانه الى خراسان فسمح له فعبروا نهر « جيحون » واستقروا في هذا الاقليم ، وبعد استقرارهم في اقليم خراسان بدأوا يتحينون الفرص لاقتلاع الدولة الغزنوية ، واخيرا تمكنوا من الانتصار على الغزنويين فاضطر مسعود الغزنوى الى عقد الصلح معهم وترك خراسان الى بلاد الهند ، واصبح الوقت مناسبا لاعلان قيام دولة السلاجقة ..

والواقع ان عام ٤٢٩ هـ (١٠٣٧)م يعد بداية حقيقية لدولتهم وباشر طغرل مهام عمله باعتباره اول سلطان سلجوقي منذ دخوله « نيسابور » وكانت موقعة « داندانقان » (٤٣١)هـ حاسمة في تاريخ الغزنويين والسلاجقة على الرغم من

---

(٤) الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق ص١٤٨ .
(٥) دولة السلاجقة ٢١ .

أن الخلافة العباسية لم تعترف بقيام دولتهم الا في عام ٤٣٢ هـ(١٠٤٠)م بعد طلبهم ذلك من الخليفة القائم بامر الله حيث اعترف بدولتهم وبطغرل سلطانا عليها فنالوا الصفة الشرعية امام الناس حتى يرضوا عنهم[6] ، وبعدما استعان طغرل بافراد البيت السلجوقي لحكم البلاد فقسمها بينهم وعين كل واحد منهم حاكما على الولاية التي صارت من نصيبه ثم اخذ السلاجقة يفكرون في السيطرة على اجزاء اخرى من ايران وبدا طغرل تنفيذ خطه في عام ٤٣٣هـ فضم الاجزاء الشرقية ثم الغربية ثم الجنوبية وتم ذلك كله عام ٤٤٦هـ .

كان لاعتراف الخليفة العباسي بدولة السلاجقة اثر في تقرب السلاجقة من العباسيين ومما زاد في توثيق العلاقة انهم كانوا على المذهب السني .وتطورت العلاقة الى ان اصبح الخليفة يفكر في الاستعانة بهم لحماية الخلافة العباسية من النفوذ الفاطمي الذى اخذ ينتشر في بلاد العراق في العهد البويهي ، خاصة بعد ان تناهى الى الخليفة العباسي ان هناك عددا كبيرا من جند الاتراك والديلم ببغداد صاروا يعتنقون المذهب الفاطمي فاضطر الخليفة القائم بامر الله ان يوفد الى طغرلبك رسولا ويستميله حتى يأتي دار الخلافة ..

ولما تمكن طغرلبك من السيطرة على اكثر اقاليم ايران وبعض البلاد المجاورة تأهب للمسير الى العراق سنة ٤٤٧ هـ عن طريق حلوان ودخل بغداد وأمر الخليفة القائم بأمر الله بالخطبة له في مساجد بغداد كما أمر ان ينقش اسمه على السكة[7] .

لكن دخول طغرلبك لمدينة بغداد كان دخول الفاتحين ، وعلى الرغم من انهم ابعدوا خطر الفاطميين الا انهم أساءوا معاملة العباسيين فجعلوا العراق اقليما من اقاليم دولتهم وارسلوا نوابا عسكريين يحكمون باسمهم ويرسلون

---

(٦) دولة السلاجقة ٢٨ ، تاريخ البيهقي ص٦٩٥ ، الكامل لابن الاثير حوادث ٤٣٠ هـ .

(٧) الحياة السياسية ١٧٥ ، الكامل ٩/٢٥٤ ـ ٢٥٥ .

امـوال العـراق الى السلطان السلجوقي ولم يبق للخليفة العباسي سوى نقش اسمه على السكة وذكره في الخطبة[8] .

وتوفي طغرلبك في رمضان سنة ٤٥٥ هـ ثم خلفه الب ارسلان .. فيكون الامام البغوي قد عاصر من ملوك الدولة السلجوقية التي دامت من ٤٢٩–٥٢٢هـ الملوك التالية اسماؤهم :

١ ـ طغرلبك الاول محمد بن ميكائيل	من ٤٢٩–٤٥٥هـ
٢ ـ عضدالدين ابو شجاع الب ارسلان	٤٤٥–٤٦٥هـ
٣ ـ جلال‌الدين ابو الفتح ملكشاه	٤٦٥–٤٨٥هـ
٤ ـ ناصر الدين محمود	٤٨٥–٤٨٧هـ
٥ ـ ركن الدين ابو المظفر بركياروق	٤٨٧–٤٩٨هـ
٦ ـ ركن الدين ملكشاه الثاني	٤٩٨–٤٩٨هـ
٧ ـ غياث الدين ابو شجاع محمد	٤٩٨–٥١١هـ

ثانيا ـ الحالة الدينية :

يتميز القرن الخامس الهجري بكثرة الفرق والمذاهـب الاسلاميـة وهي نتيجة لما حدث في القرنين الثالث والرابـع مـن نهضـة ثقافيـة ، كما يسود الاضطراب والخلاف المذهبي في هذا العصر فحل فيها التعصب والتشدد مكان الحرية الفكرية[9] .

وقد عرف السلاجقة الذين حكموا في هذا القرن بحبهم للدين وتمسكهم بالمذهب السني الذى اعتنقوه قبل أن يؤسسوا دولتهم مما جعلهم يحبون علماء

(٨) الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق ١٧٦ ـ ١٧٨ .
(٩) راجع السلاجقة في التاريـخ والحضارة د . أحمد كمال الـدين حلمي ص٢١٥ .

الدين ويحترمونهم ، وقد كانت هناك معسكرات سياسية ذات صبغة دينية اهمها المعسكر السني والذي يمثله العباسيون في بغداد ، والشيعي والذي كان يمثله الفاطميون في مصر ، والمسيحي يمثله الصليبيون على حدود الدولة السلجوقية. وقد عاصرت هذه المعسكرات الدولة السلجوقية التي تعتنق المذهب السني فرجحت كفة هذا المذهب واصبح اقوى من المذاهب الاخرى خاصة حين كان السلاجقة في أوج قوتهم[10] .

ويحسن بنا ان نعرض للفرق الدينية التي كانت في هذا العصر :

اولا : اهل السنة :

كان القرن الخامس ـ كما قلنا ـ عصر انتصار لاهل السنة ، فقد ساعد تعصب سلاطين السلاجقة له على انتعاش المذهب السني وانتصاره على بقية المذاهب الاخرى من شيعة ومعتزلة .

ويظهر موقف السلاجقة بوضوح في تأييدهم لخلفاء الدولة العباسية الذين يتمثل فيهم المذهب السني وذلك في عهد طغرل الاول الذي منع التركمان سنة ٤٢٩هـ من سلب نيسابور ، كما خلص امير المؤمنين سنة ٤٥١ هـ من فتنة البساسيري[11] .

اما مذهب المعتزلة فقد دب الضعف فيه منذ القرن الرابع الهجري وذلك بعد أن حمل ابو الحسن الاشعري على آرائهم ووافق اهل السنة في كثير مما ذهبوا اليه وحارب المعتزلة بسلاحهم فاستعان بالمنطق والفلسفة في دحض حججهم ، وقد كان الغرض من انشاء المدارس النظامية التي اسسها الوزير السلجوقي نظام الملك نشر الطريقة الاشعرية في الفقه الاسلامي ..

---

(١٠) دولة السلاجقة ١٤٩ ـ ١٥١ ، السلاجقة في التاريخ والحضارة ٢١٥ .
(١١) راجع السلاجقة في التاريخ ٢١٦ .

كما ساعد على انتصار اهل السنة على المعتزلة ظهور حجة الاسلام ابي حامد الغزالي في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري (الحادى عشر الميلادى) فألف كتبا بالعربية والفارسية .. ومن اهم كتبه بالعربية (احياء علوم الدين) وكان من الذين درسوا بالمدرسة النظامية ببغداد .

ثانيا : الشيعة :

لم يكن المذهب الشيعي ضعيفا في اواسط القرن الخامس واوائل القرن السادس وذلك لان هذا العصر كان امتدادا لعصر قوة الشيعة في العهد البويهي ، ولكن وجود السلاجقة المتمسكين بالمذهب السني والغيورين على الخلافة العباسية ـ خاصة بعد سيطرتهم على ايران ـ هو الذى اضعف هذه الفرقة .. وبقيت هذه الفرقة على ضعفها مصدر قلق واضطراب لاهل السنة ، لان فرقة الاسماعيلية ظلت بايران في كثير من مراحل الدولة السلجوقية قوة لها اثرها ولم يتوقف التشيع عن الانتشار لترويجهم لهذا المذهب في مساجدهم ومدارسهم ومكتباتهم .

ثالثا : المعتزلة :

كانت حركة المعتزلة من اهم الحركات الدينية التي ظهرت في العالم الاسلامي ، فقد تورط هؤلاء حين افرطوا في اعتماد الحكمة اليونانية فعاملوها معاملة المعارف اليقينية مع انها ليست الا نظريات افتراضية ، وقد راجت سوق المعتزلة في عصر الخليفة المأمون العباسي لانه وافقهم في رأيهم القائل بخلق القرآن[١٢] .

وقد كان لغلو هؤلاء أثر سيء في حياة الثقافة الاسلامية في القرنين الثاني والثالث . وقد ثار الخلاف بينهم وبين مخالفيهم من الفرق الاسلامية الاخرى

(١٢) تاريخ الاسلام السياسي ، حسن ابراهيم حسن ٣/٢٦٣ .

التي جنبت تفسير القرآن والعقيدة الاسلامية من اصولهم وآرائهم الباطلة .

ولم تنكسر حدة الاعتزال الا في القرن الرابع بظهور الامام الأشعرى ، والامام ابي حامد الغزالي بعده[١٣] .

ومن الظواهر الجديدة في هذا العصر امتزاج العلوم امتزاجا عضويا باجتماع خصائصه الروحية والعقلية والمادية ، وبرز في القرن الرابع والخامس علماء جمعوا بين الفقه والكلام .. وامتاز القرن الخامس بتلاقي الطرفين المتباعدين وهما الحديث والكلام[١٤] .

ويظهر مما ذكرنا ان قوة المعتزلة كانت آخذة في الضعف عند قيام دولة السلاجقة بينما كان منهب اهل السنة يزداد قوة ونفوذا ويكثر اهله وانصاره .

رابعا : الصوفية :

انتشرت ظاهرة التصوف في القرن الخامس نتيجة لكثرة الفرق الاسلامية ، حيث تعددت واشتد النزاع بين اهل السنة والشيعة وحاول كل منهم ترويج مذهبه ، كما ظهر الخلاف بين بعض فرق اهل السنة وخاصة بين الشافعية والحنفية ... كل هذا مهد السبيل امام الصوفية لنشر تعاليمهم بين الناس ، وكانوا يجتنبون التعصب المذهبي ويفضلون الانصراف الى عبادة الله والتقرب اليه عن طريق الزهد والتقشف وينفرون من علم الكلام .. وهكذا اصبح التصوف يمثل حركة مضادة للنظر العقلي في الدين ويعتمد على اساس نفسي هو تشويق المرء الى عبادة الله وطاعته والعزلة عن الدنيا والاتجاه الى الآخرة ، وكان شيوخهم يبتعدون عن مصاحبة السلاطين واصحاب الجاه ولا يتدخلون في النزاعات بين الفرق المختلفة وينتهجون سياسة السلام مع الجميع ، مما اكسبهم احترام الخاصة والعامة ، ومع ذلك لم يسلموا من النقد والتجريح لانحراف

---

(١٣) دولة السلاجقة ١٥٣ ، سلاجقة ايران والعراق ١٧١ .

(١٤) التفسير ورجاله ، محمد الفاضل بن عاشور ص٩٩ .

بعضهم الفكرى فى اسقاط التكاليف الشرعية ، وعدم مشاركتهم بالجهاد فـي الثغور وميلهم الى الدعة والراحة(١٥) .

ثالثا ـ الحالة الثقافية :

عندما خضعت بلاد خراسان وما وراء النهر للحكم العربي بدأت هـذه المناطق تستعرب ، فازدهرت فيها اللغة العربية وآدابها والعلوم الاسلامية وكان لهما ثمار طيبة .

وقد كان النشاط العلمي والادبي يخالطه حب الدين والغيره عليه والدفاع عنه وكثرت المدارس والمكتبات وشجع الحكام هذه الحركة الفكرية ..

ولما كانت دراستنا تخص القرن الخامس بالذات وهو عصر حكم السلاجقة في هذه المنطقة فسوف نتعرض للحالة الثقافية في عصرهم ..

لقد ساعد حكام السلاجقة على اختلاط الايرانيين بالعراقيين فحدث امتزاج حضارى بين الفرس والعرب وادى الى انتشار كتب العربية في ايران وظهرت آثار اللغة العربية في اللغة الفارسية ..

وكان طلاب العلم يجوبون البلاد ويرحلون الى مراكز العلم والمعرفة في الاقاليم والبلاد المختلفة مما جعلهم يجمعون بـين الثقافـات والعلـوم المختلفة النقلية والعقلية(١٦) .

كما اتسع افق الفكر الاسلامي وازدادت قـدرات المسلمين في البحـث والتأليف نتيجة لحركة الترجمة التي نشطت في الدولة العباسية وكثرة تنقـل رجال العلم في العالم الاسلامي .. كما أدى اختلاف الفرق الاسلامية وتعددها الى ايجاد نشاط علمي لان كل فرقة من الفرق اتخذت مدارس خاصة بها تنشر تعاليمها وتخرّج المتخصصين بهذا المذهب .

---

(١٥) راجع دولة السلاجقة ١٥٥ ـ ١٥٩ ، والسلاجقة في التاريخ والحضارة ٢٢٧

(١٦) دولة السلاجقة ١٧٠ .

المدارس النظامية :

كان التعليم في المدارس امتدادا لحركة التعليم في المساجد وقد استمرت المساجد في اداء وظيفتها التعليمية في العصر[١٧] السلجوقي ، لكن السلاجقة الذين عرفوا برعايتهم للعلوم والآداب خصصوا المدارس النظامية لتعليم العلوم الاسلامية ولاسيما الفقه .

وتعد المدارس النظامية اول نوع ـ ظهر في الاسلام ـ من المؤسسات العلمية بمعناها الدقيق ، وقد هيأت لطلابها اسباب العيش واصبحت مثالا لما قام بعدها من دور العلم ومراكز الثقافة العالية .. وجاءت هذه المدارس بفضل جهود نظام الملك وزير « الب ارسلان » ٤٥٥ ـ ٤٦٥هـ ووزير ابنه ابي الفتح ملكشاه ، وهو عالم درس الحديث وعلوم السنة في طوس ، وكان ينقب عن المتازين منهم ويبني لهم المدارس ليتعلموا بها ، ويقف عليها الاوقاف وينشيء في كل منها مكتبة ، ويرتب للعلماء ما يكفيهم حتى يتفرغوا للتعليم ونشر الثقافة بين الناس ولما كثرت الاموال في خزانة الدولة خصص فيها لارباب العلوم حقوقا لاتؤخر وصير هذه الحقوق ثابتة لهم وميراثا لابنائهم[١٨] .

وقد بنى نظام الملك مدارس دينية على شاكلة مدرسة بغداد في المدن الكبرى كأصفهان ونيسابور ، ومرو ، مما ابقى ذكره راعيا من رعاة العلم والثقافة . وكان الاقبال شديدا على هذه المدارس فاجتمع بها عدد كبير من العلماء الفحول كما قَدِمَ اليها طلاب العلم من كل مكان .

المكتبـــات :

وقد ساعدت دور الكتب وحوانيت الوراقين على رفع مستوى الثقافة كما اتخذت المساجد مستودعات للكتب فكانت خزائنها غنية بالكتب ولا سيما

(١٧) السلاجقة في التاريخ والحضارة ٣٧٦ .
(١٨) الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق .

الكتب الدينية التي كان الناس يهبونها لها او يقفونها فيها على القراءة .. وكانت هناك خزائن كتب انشأها الاغنياء والوجهاء وتضم كتبا في مواضيع متنوعة ، كالعلوم الاسلامية والمنطق والفلسفة والفلك وغيرها .. وكثيرا ما كانت هذه الدور منتدى العلماء يتداولون فيها الابحاث العلمية والمناظرات الادبية .

ولاشك ان رعاية الثقافة تقتضي عناية بالكتب والمكتبات ، وقد تحقق في هذا العصر على النحو الذى نجده في وصف ياقوت لمدينة مرو اذ يقول فيها : « فيها عشر خزائن للوقف لم ار في الدنيا مثلها كثرة وجودة ، منها خزانتان في الجامع احداهما يقال لها العزيزية ، فيها اثنا عشر الف مجلد او ما يقاربها ، والاخرى يقال لها الكمالية ، وبها خزانة شرف الدين المستوفي ت ٤٩٤ هـ وخزانة نظام الملك الحسن بن اسحاق في مدرسته ، وخزانتان للسمعانيين ، وخزانة اخرى في المدرسة العميدية ، وخزانتان لمجد الدين ، والخزانة الخاتونية والضميرية .. وكانت سهلة التناول لايفارق منزلي منها مئتا مجلد واكثر بغير رهن .. وقد انسانيي حبها كل بلد والهاني عن الصحب والولد واكثر فوائد هذا الكتاب ــ معجم البلدان ــ وغيره فهي من تلك الخزائن »[١٩].

من علماء العصر :

ومما يؤكد النشاط العلمي والثقافي في بلاد فارس وما وراء النهر ما زخرت به كتب التراجم والطبقات من اسماء العلماء والاعلام في فروع العلوم الاسلامية المختلفة ، وانتسب الكثير منهم الى تلك الاقاليم ، خاصة مرو الروذ ، ومرو الشاهجان ، وبغشور التي نشأ بها صاحبنا الامام البغوى ، وتلقى ثقافته بها ... فممن ينتسب الى بغشور من ذكرهم السمعاني وهم :

ابو الاحوص محمد بن حيان البغوى ، وابو جعفر احمد بن منيع البغدادى ، وابو جعفر محمد بن حيويه بن سلمويه ، والفقيه ابو يعقوب يوسف

---

(١٩) معجم البلدان ١١٤/٥ .

بن يعقوب بن ابراهيم البغوى ، وابو القاسم عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز ابن المرزبان البغوى ابن اخت احمد بن منيع البغوى ت سنة ٣١٧ هـ ، والقاضي ابو سعيد محمد بن علي بن ابي صالح البغوى الدباس ... ت سنة ٤٨٨هـ[٢٠].

وممن نسب الى مرو الروذ التي اطال البغوى المكث والاقامة بها من ذكرهم ياقوت في معجم البلدان وهم : ابو بكر خلف بن احمد بن أبي احمد بن محمد ابن متوية المرو الروذى مات في رجب سنة ٥٠٦هـ ، واخوه ابو عمر الفضل كان من اهل الفضل والحديث ، ومن الاعيان الاكابر المتقدمين القاضي ابو حامد احمد بن عامر بن بسر المرو الروذى ت٣٦٢ وابو بكر احمد ت٢٧٥[٢١].

ومن ابرز علماء هذا العصر :

ابو الحسن علي بن محمد كيوهراس الطبرى المفسر الكبير ت ٥٠٤ هـ ، ومحمد بن هلال السعيدى ت ٥٢٠ هـ ، وابو الحسن رزين بن معاوية ت٥٢٠هـ صاحب كتاب التجريد ، والامام ابو القاسم محمد بن عمر الزمخشرى ت٥٣٨هـ صاحب الكشاف ، وابو علي فضل بن حسن بن فضل الطبرسى ت ٥٤٨ هـ ، صاحب مجمع البيان ، وابو الفتح محمد بن عبدالكريم الشهرستاني ت ٥٤٨ هـ صاحب تفسير مفاتيح الاسرار ..[٢٢] .

وبعد .. فلقد عاش الامام البغوى في غمرة هذه الاحداث السياسية والدينية والثقافية وكان لكل ذلك اثره المباشر في تكوين شخصيته ، حيث نجده بعيدا عن التقلبات السياسية الكثيرة مؤثرا الانصراف الى تلقي العلوم ، ومجالسة علماء عصره ومن ثم التدريس والتأليف .

---

(٢٠) الانساب للسمعاني ٢/٢٧٣ .

(٢١) معجم البلدان ، ياقوت الحموى ٩/١١٢ .

(٢٢) راجع السلاجقة في التاريخ والحضارة ٣٨٠ ـ ٣٨٤ .

وكانت للحياة الثقافية الزاهـرة في مرو ما يدعـوه الى الاهتمام بعلـوم الشريعة والعناية بالكتاب تفسيرا والسنة تصنيفا ، حيث نشأ وتعلم ـ كما سيظهر فيما بعد ـ على شيوخ وعلماء عصره البارزين في علـوم الشريعـة المختلفـة ، فاستطاع البغوى ان يأخذ من كل هـؤلاء بقـدر وان يهضم تلك العلوم ويبرز محدثا ومفسرا وفقيها ...

الباب الاول

حياة الامام البغوي

الفصل الاول

نشأتـه

أ ـ نسبه وأصله ، كنيته وألقابه(١) :

هو الحسين بن مسعود(٢) بن محمد المعروف بابن الفراء(٣) ـ نسبة لعمل الفراء ـ وهي صنعة أبيه .

والبغوى (بفتح الباء الموحدة والغين المعجمة وبعدها واو) ، نسبة الى بغ وبغشور (بفتح الباء الموحدة وسكون الغين المعجمة وضم الشين المعجمة وبعدها واو ساكنة ثم راء) ، وهي نسبة شاذة على غير قياس على أحدهما .

وبغشور بلدة من بلاد خراسان وصفها ياقوت فقال : « بليدة بين هراة

---

(١) ذكرت اسمه ونسبه والقابه مصادر كثيرة من اهمها : معجم البلدان ص٤٦٨ ، وفيات الاعيان لابن خلكان ١٣٦/٢ ، سير اعلام النبلاء للذهبى (خ) ١٠٣ و ، مرآة الجنان لليافعي ٢٦٣/٣ ، طبقات الشافعية للسبكي ٧٥/٧ وللاسنوي ص٢٠٦ ، طبقات المفسرين للسيوطي ص٦٢ وللداودي ١٥٧/١ ـ ١٥٩ .

(٢) لم يختلف من ترجم له في اسمه غير ان الزركلي في الاعلام ٢٨٤/٢ ذكر عن السيوطى في طبقات الحفاظ انه سمي البغوي الحسين بن محمد بن مسعود ، وليس الامر كذلك لان التسمية في كتابي طبقات الحفاظ وطبقات المفسرين للسيوطي تتفق مع الاصل .

(٣) ذكر ابن هداية الله الحسيني وابن العماد الحنبلي عن البغوي : بانه يذكر تارة بالفراء واخرى بابن الفراء ، والامر كذلك وان كان الراجح انه ابن الفراء لاثبات المصادر هذه الصنعة لأبيه .

ومرو الروذ[٤] ، شربهم من آبار عذبة ، وزرعهم ومباطخهم اعذاء[٥] وهم في برية ليس عندهم شجرة واحدة ، ويقال لها بغ ايضا ، رأيتها في شهور سنة ٦١٦هـ والخراب فيها ظاهر ، وقد نسب اليها خلق كثير من العلماء والاعيان[٦] .. وقيل « بغشور » اسم الولاية ، واسم المدينة « بغ »[٧] .

اما كنيته فقد تظافرت كتب التراجم على ذكره بابي محمد .

اما لقبه فقد ذكر بالقاب كثيرة مستمدة من جهوده العلمية ، وتفوقه في العلوم الشرعية عامة وعلوم الحديث والسنة خاصة ، واكثر هذه الالقاب ذكرا وشيوعا « ركن الدين » ، و « محيي السنة » ولقب كذلك بظهير الدين ، وقامع البدعة[٨] وشيخ الاسلام وغير ذلك من الالقاب التي سيرد ذكرها في صفاته ومكانته العلمية .

ويذكر بعض المتاخرين قصة تبين سبب تلقيبه بـ « محيي السنة » يقول « ورأيت في بعض المجاميع انه لقب بمحيي السنه وذلك انه لما صنف شرح السنة » رأى رسول الله « صلى الله عليه وسلم » وقال له : « احييت سنتي بشرح

---

(٤) هراة/مدينة عظيمة مشهورة من امهات مدن خراسان فيها بساتين كثيرة ومياه غزيرة الا ان التتار خربوها . مرو الروذ/مدينة قريبة من مرو الشاهجان بينهما خمسة ايام وهي على نهر عظيم نسبت اليه (راجع مراصد الاطلاع ١٢٦٣/٣ ، ١٤٠٥) . وهي صغيرة بالنسبة الى مرو الاخرى ، خرج منها خلق من أهل الفضل ينسبون مرورذى ومروذى (معجم البلدان ١١٢/٥) .

(٥) المباطخ جمع مبطخة بوزن المتربة وضم الطاء لغة فيها ، موضع البطيخ . واعذاء من العذى بالكسر وسكون الذال : الزرع الذى لايسقيه الا ماء المطر . والمعنى أنهم يعتمدون على الغيث في الزراعة .

(٦) معجم البلدان ٤٦٧/١ .

(٧) مفتاح السعادة ١٠٢/٢ .

(٨) راجع وفيات الاعيان ١٣٦/٢ ، مشكاة المصابيح ٣/١ .

احاديثي » فلقب من ذاك اليوم بمحيي السنة[٩] .

ب ـ مولده ووفاته :

اختلفت المصادر التي ترجمت للامام البغوى في سنة وفاتـه عـلى ثلاثة اقوال وهي سنة ٥١٠هـ ، وسنة ٥١٥هـ ، وسنة ٥١٦هـ ، ولكن هـذه المصادر تكاد تجمع على ان وفاته كانت في شهر شوال سنة ست عشرة وخمسمائة وهو القول الراجح لاختياره عند اكثر المصادر واقدمها[١٠] .

اما السنة الأولى فيذكرها ابن خلكان ، لكنه يعقب قائلا : « ورأيت فـي « الفوائد السفرية » التي جمعها الشيخ الحافظ زكي الدين عبدالعظيم المنذرى أنه توفي سنة ٥١٦هـ ومن خطه نقلت هذا والله أعلم »[١١] ، وكذلك فعل ابو الفدا فبعد ان ذكر وفاة البغوى في حوادث سنة ٥١٠ هـ قـال : « وقيل فـي سنة ٥١٦ »[١٢] .

وينفرد ابن تغر بردى في ذكر سنة ٥١٥ هـ سنة لوفاته[١٣] .

وكانت وفاته في مرو الروذ ، ودفـن عنـد شيخه القاضي حسين بمقبرة الطالقان ، وقبره مشهور هنالك .

اما سنة ميلاده فيجعلها ياقوت في جمادى الاولى سنة ٤٣٣ هـ[١٤] وبهذا

---

(٩) مفتاح السعادة ٢/١٠٢ ملا القارى ١/١٠ .

(١٠) معجم البلدان ١/٤٦٨ ، سير اعلام النبلاء (خ) ١٠٣ ب ، الاعـلام بوفيات الاعلام ورقة ٢٠٦أ ، مرآة الجنان ٣/٢١٣ ، طبقـات الشافعيـة للسبكي ٧/٧٧ طبقات المفسرين ١/١٥٩ .

(١١) وفيات الاعيان ٢/١٣٦ .

(١٢) المختصر في اخبار البشر ابو الفدا ٢/٢٤٠ .

(١٣) النجوم الزاهرة ابن تغرى بردى ٥/٢٢٣ .

(١٤) معجم البلدان ١/٤٦٨ .

يكون قد عاش ثلاثا وثمانين سنة . ويرى البعض انه قد عاش بضعا وسبعين سنة[١٥] ، كما يرى آخرون أنه أشرف على التسعين[١٦] وذلك لعدم تحديدهم سنة ميلاده ، وان كان الارجح انه جاوز الثمانين[١٧] .

- نشأتـــه :

لانعرف الكثير عن نشأة الامام البغوي وحياته المبكرة ، كما نجهل مايتصل بأسرته وعدد افرادها ، وذلك كله لان المصادر التي ترجمت له لاتفصح عن ذلك ، ولعل السبب في هذه الظاهرة أن اسرة الامام البغوي لم يكن فيها من له باع طويل في ميدان العلم والفقه والكتاب والسنة ، فيذكرون بتلك العلوم كما ذكر ، ويُشْهَرون بها كما شهر ، علما بان المدينة التي ولد ونشأ بها انجبت العدد الكثير من العلماء .

لكن بعض المصادر[١٨] جادت علينا بمعلومات يسيرة عن اخيه الحسن ، فقد كان من اهل العلم كذلك ، لكنه دون اخيه الحسين منزلة في العلم وشهرة لدى العلماء ، ولعله أصغر منه سنا ، يقول عنه بن كثير في طبقاته « الحسن بن مسعود بن الفراء ابو علي اخو محيي السنة ابي محمد البغوي ، تفقه على اخيه، وسمع الحديث عن ابي بكر احمد بن خلف الشيرازي ، ومظفر بن منصور
وسمع الحديث عن ابي بكر احمد بن خلف الشيرازي ، ومظفر بن منصور
الرازي ، ذكر ابن الصائغ في طبقاته ان بعضهم انشد بين يدى ابي علي :

---

(١٥) سير اعلام النبلاء (خ) ١٠٣ ب .

(١٦) طبقات الشافعية للسبكي ٧/٧٦ .

(١٧) تذكرة الحفاظ ٤/١٢٥٨ ، طبقات الحفاظ ٤٥٧ .

(١٨) راجع معجم البلدان ١/٤٨٨ ، سير اعلام النبلاء (خ) ١٠٣ ب ، طبقات الشافعية للاسنوي ١/٢٠٧ ، طبقات الشافعية لابن كثير (خ) ١٠٦أ ، طبقات الشافعية الكبرى ٧/٦٨ .

ويوم تولت الاضعان عنا   وقوض حاضر وارن حادي
مددت الى الوداع يداً واخرى   حبست بها الحياة على فؤادي

فتواجد رحمه الله وخلع شيئا على قايلها[19] ، وعلى النحو نفسه سمع بيتين آخرين تواجد على أثرهما وحصل له حال[20] اما وفاة الحسن فكانت في سنة ٥٢٩ هـ وقيل ٥٢٨ هـ وبلغ سبعين او احدى وسبعين سنة .

ويبدو ان الامام البغوى قد نشأ في اسرة فقيرة كما ينشأ اكثر العلماء في عصره ، خاصة وان المصادر تذكر أن أباه كان فراء يصنع الفراء ويبيعها[21] .

ومن ناحية أخرى فقد كان يميل في نفسه الى الزهد والقناعة والتقشف والتقلل من أسباب الحياة الدنيا ، حتى انه كان لايأكل الا الخبز وحده فليم وعذل على ذلك فصار يأكله مع الزيت وقيل (الزبيب) ، وروى انه انما رضي بذلك حين كبرت سنه[22] .

وتذكر بعض المصادر انه تزوج ، فقد نقل ابن خلكان ذلك من كتاب الفوائد السفرية للمنذرى ، وان زوجته حين ماتت لم يأخذ من ميراثها شيئا[23] .

ولم تذكر كتب التراجم انه رزق ابناءً وليس في كنيته ما يؤكد على خلاف ذلك لان التكني ظاهرة كانت مألوفة بين العلماء .

جـ ـ رحلاته :

الرحلة في طلب العلم أمر معهود في حياة العلماء ، وقد كانوا يشدون

---

(١٩) طبقات الشافعية لابن كثير (خ) ورقة ١٦٠ .
(٢٠) طبقات الشافعية للاسنوي ١/٢٠٧ .
(٢١) سير اعلام النبلاء (خ) ١٠٣ و .
(٢٢) مشكاة المصابيح ـ المقدمة ١/١٠ .
(٢٣) وفيات الاعيان ٢/١٣٦ :

الرحال ويقطعون المسافات الطويلة من اجل سماع حديث أو مسألة علمية .. وكانت عواصم البلاد الاسلامية مراكز اشعاع علمي كبير تستقبل طلاب العلم والمعرفة الوافدين من بلاد الله الواسعة المديدة ...

ومن أجل ذلك فالمتوقع ان الحسين البغوي بعد أن بلغ أشده ـ ترك مسقط رأسه ومرتع صباه (بغشور) ومضى الى ما جاورها من البلاد لطلب العلم ، وذلك ما كان منه حين رحل الى مرو الروذ ليلتقي بامام عصره وشيخه واستاذه الحسين بن محمد المروزي القاضي ، فتتلمذ عليه ونهل من علمه ودرس المذهب الشافعي عليه ..

والمتوقع ان دائرة رحلته في طلب العلم اتسعت ، فطوف في بلاد خراسان وسمع من مشاهير علمائها في فروع اللغة العربية وفي علوم القرآن والسنة المطهرة ، وهذا ما أشار اليه ابن تغر بردى بقوله « رحل الى البلاد وسمع الكثير »[٢٤] ولكن كتب التراجم لم تذكر اسماء تلك البلاد التي رحل اليها وبلغها ، وان كان الظاهر أن جل اقامته كانت بمرو الروذ فهي تستحق ان تكون وطنه الثاني ، ولقد مات بها ، ودفن بجوار شيخه الحسين المروزي .

ويجعل ياقوت الحموي اقامته في مرو الروذ وبنج ده[٢٥] ، والذي يؤكد ان اطار رحلته وتنقله كان محدودا ما أشار اليه السبكي في عدم سفره الى بغداد عاصمة الدولة العباسية اذ يقول عنه « ولم يدخل بغداد ولو دخلها لاتسعت ترجمته »[٢٦] .

ويبدو ان البغوى لم تسنح له الفرصة كذلك لاداء الحج[٢٧] ، ولعله

---

(٢٤) النجوم الزاهرة ٥/٢٢٣ .

(٢٥) معجم البلدان ١/٤٦٨ .

(٢٦) طبقات الشافعية ٧/٧٥ .

(٢٧) راجع سير اعلام النبلاء (خ) ١٠٣ أ .

ان تيسر له ذلك لاتسع ذكره وعرف المزيد من اخباره ..

اما تاريخ تركه ومغادرته لبغشور وسماعه للعلم فقد كان بعد الستين واربعمائة[٢٨] ـ حيث كان عمره سبعا وعشرين سنة ـ وهي السن التي تؤهل طلاب العلم للرحلة والسماع بعد حصولهم على قسط مناسب من علوم اللغة العربية ، وحفظهم للقرآن الكريم .

ـ عقيدته ومذهبه :

لاشك ان لعقيدة المسلم اهميتها وخطورتها في سلوكه وخلقه وثقافته وفكره وسائر نشاطاته العلمية ، والامر اكثر اهمية واشد خطورة بالنسبة للائمة والعلماء ، لاتساع اثر العقيدة وامتداده الى تلاميذهم ، وكتبهم ومؤلفاتهم التي يتلقاها القراء والمتعلمون وهكذا يسلكون طريقهم وينهجون منهجهم .. فان سلموا من الفساد في العقيدة والانحراف في السلوك كانوا هداة خير ودعاة الى السبيل القويم والا لحق الضرر والضلال بالتابعين لهم والسالكين طريقهم ..

وقد قدر للامام الشيخ البغوي الاستقامة والسلامة في العقيدة من الانحراف وجاءت شهادات العلماء ممن ترجم له تشهد له بذلك فهو كما يقول ابن نقطه « امام حافظ ثقة صالح »[٢٩] وهي لاشك من الدرجات العالية في التعديل والتقويم .. وعلى النحو نفسه يزكيه ويعدله طاش كبرى زاده فيجعله « ثبتا حجة ، صحيح العقيدة في الدين »[٣٠] .

اما عقيدته فهي كما يقول الامام الذهبي « على منهاج السلف حلا وعقدا »[٣١] ويؤكد سلامة عقيدته من الفرق الضالة والاتجاهات المنحرفة ،

---

(٢٨) راجع طبقات المفسرين ١/١٥٤ .
(٢٩) الاستدراك (خ) غير مرقمة تكملة الاكمال (خ) غير مرقمة .
(٣٠) مفتاح السعادة ٢/١٠٢ .
(٣١) سير اعلام النبلاء (خ) ١٠٣ و .

وانها صافية ، نقيه شهادة الامام السبكي له اذ يقرر انه كان « سالكا سبيل السلف »[٣٢] .

ويتضح من هذه الاقوال ان عقيدته هي عقيدة اهل السنة والجماعة .

اما مذهبه فقد كان شافعيا بل من أئمة المذهب الشافعي ، وقد اشتهر ذلك لدى العلماء وأكده من ترجم له ومنهم ابن خلكان والذهبي والسبكي وغيرهم[٣٣] اما اختياره للمذهب الشافعي فبحكم البيئة التي نشأ بها ، والعلماء الذين تلقى عنهم ودرس عليهم الفقه .

ويعد من المحققين المدققين في المذهب الشافعي خاصة وقد ألف في الفقه على المذهب الشافعي كتبا كثيرة وعلى رأسها « التهذيب » الذى اثنى عليه العلماء واشادوا به واعتبروه من الكتب القليلة المتقنة المحررة .. يقول فيه الامام السبكي « وقدره عال في الدين...وفي الفقه متسع الدائرة نقلا وتحقيقا »[٣٤] وينقل الامام السبكي شهادة علمية كبيرة عن أبيه الشيخ الامام تقي الدين تكشف عن تحقيق الامام البغوى وتحريره للمسائل الفقهية ، وحسن ترجيحه يقول السبكي « كان الشيخ الامام رحمه الله » يجل مقداره جدا ، ويصفه بالتحقيق مع كثرة النقل وقال في باب الرهن من « تكملة شرح المهذب » : اعلم ان صاحب « التهذيب » قل أن رأيناه يختار شيئا الا اذا بحث عنه وجد اقوى من غيره ، هذا مع اختصار كلامه »[٣٥] .

وهكذا نجد الامام البغوي من اهل الترجيح والاختيار في المذهب دون تعصب وتعسف ..

---

(٣٢) طبقات الشافعية الكبرى ٧/٧٥ ، ويذكر عنه ملا علي القارى انه كان « على طريقة السلف الصالحين » مقدمة مشكاة المصابيح .

(٣٣) راجع وفيات الاعيان ٢/١٣٦ ، سير اعلام النبلاء (خ) ١٠٣ و ، طبقات الشافعية ٧/٧٥ .

(٣٥) طبقات الشافعية الكبرى ٧/٧٥ وراجع شذرات الذهب ٤/٤٩ .

صفاتـه واخلاقـه :

اتصف الامام البغوى بالصفات الرفيعة ، وتميز بالاخلاق الفاضلة ، وقد اجتمعت كتب التراجم على خصاله الحميدة ، وسيرته الحسنة ،ولم يذكر فيه ما يقدح رجال العلم والفضل ، ومما يقعون فيه من الزلات والكبوات .

ونجد كتب التراجم والطبقات تبالغ في ذكـر نزاهتـه ورفعـة خُلقـه واستقامته وتذكر فيه مروءته وورعه وزهده وقناعته وتقلله فـي الـدنيا ، مما ينسجم مع العلوم الشرعية التي برز وتفوق فيها ، فهـو قليل الاكتراث بشرابه وطعامه وحسبه منها ما يسد الرمق ويبلغ الطريق ، فقد رددت كتب التراجم انه كان مخشوشنا زاهدا قانعا باليسير ، كان يأكل الخبز وحده فعذل في ذلك فصار يأتدم بزيت[٣٦] .

وهو كذلك قليـل الاهتمام بلباسه .. وحسبه مما يكتسي بـه اللباس المتواضع مما يجافي الترف والسرف ويوافـق التواضـع والتقلل في الحياة ، فالكتب التي ترجمت له تردد ايضا انه « كان مقتصدا في لباسه له ثـوب خـام وعمامة صغيرة »[٣٧] .

ومن الأدب الذى اتصف به الامام البغوي ما ورد عنه مـن انـه « كان لايلقي الدرس الا على طهارة »[٣٨] .

ويتكرر وصفه بالزهد والتقشف والبعد عـن مظاهـر الدنيا وزخـارفها الفانية ، وصرف همته الى الآخرة الباقية يقول عنه اليافعي « كان سيدا زاهـدا قانعا »[٣٩] . وليس أدل على قناعته مما سبق ذكره بشأن طعامه ولباسه ، وما ذكره ابن خلكان من ترفعه عن الاخذ من ميراث زوجه »[٤٠] .

---

(٣٦)و(٣٧) سير أعلام النبلاء (خ) ٣ ١٠٣ و
(٣٨) وفيات الاعيان ٢/١٣٦ ، مرآة الجنان ٣/٢١٣ .
(٣٩) مرآة الجنان ٣/٢١٣ ، وراجع شذرات الذهب ٤/٨٤ .
(٤٠) راجع وفيات الاعيان ٢/١٣٦ .

وقليل أولئك العلماء الـذين يصدق عملهم علمهم ويـوافق سلوكهـم فكرهم .. وقد كان الامام البغوى من هـؤلاء القليلين الـذين يطـابق عملهم وخلقهم تقدمهم وتفوقهم العلمي ففيه يقـول السبكي « كان اماما جليلا ورعـا زاهدا ... جامعا بين العلم والعمل .. »[٤١] وعلى النحو نفسه يقول عنه أبن كثير « كان دينّا ورعا زاهدا عابدا صالحا »[٤٢] . ويجعله السيوطي من العلماء الربانيين صاحب تعبد ونسك[٤٣] .

اما من الناحية العلمية فنجد العلماء يشهدون له بالتقدم والتفوق في ميدان العلوم الشرعية عامة ، وهو يتميز بتنوع الجوانب واختلاف مناحي التخصص ، وقلّ أن يتفوق عالم في علوم مختلفة متنوعة .. يقول عنه ابن خلكان « الفقيه الشافعي المحدث المفسر ، كان بحرا في العلوم »[٤٤] ، ويقول فيـه ياقـوت « الفقيه العالم المشهور صاحب التصانيف »[٤٥] .

وتكاد تجمع المصادر على امامتـه ورسوخ قـدمه وعلو كعبه في التفسير والحديث والفقه ، ومن أجل ذلك اشتهر وذاع لقبه « محيي السنة » و « ركن الدين » . وقد كان جديرا بتلك الالقاب لما قدمه لعصره ولاجيال المسلمين من الكتب والمؤلفات النافعة الجليلة فضلا عن المثل والقـدوة الحسنة في سلوكـه وخلقه .

ومن الاوصاف العلمية الجامعة التي اسبغها عليه الامـام الذهبي قـوله « الشيخ الامام العلامة القدوة الحافظ شيخ الاسلام محيي السنة .. كان سيدا

---

(٤١) طبقات الشافعية الكبرى ٧/٧٥ .

(٤٢) البداية والنهاية ١٢/١٩٣ .

(٤٣) طبقات الحفاظ ص٤٥٧ .

(٤٤) وفيات الاعيان ٢/١٣٦ ، راجع المختصر في تاريخ البشر ٢/٢٤٠ .

(٤٥) معجم البلدان ص٤٦٨ .

اماما عالما علامة .. له القدم الراسخ في التفسير والباع المديد في الفقه »(٤٦) ويقول فيه ايضا « الشافعي المحدث المفسر صاحب التصانيف وعالم اهل خراسان »(٤٧) .

ويقول عنه الامام السيوطي « كان اماما في التفسير ، اماما في الحديث ، اماما في الفقه »(٤٨) .

وينقل ابن العماد الحنبلي رأي ابن الاهدل في الامام البغوي « هو صاحب الفنون الجامعة والمصنفات النافعة »(٤٩) .

ويشهد له بالتقدم والتفوق العلمي من اصحاب المذاهب الاخرى ومن أئمة الشيع محمد الخوانساري فيقول فيه « كان هذا الشيخ اماما بارعا عديم النظير في علم التفسير واحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم »(٥٠) .

وفضلا عن تفوقه في العلوم السابقة فقد برز الامام البغوي في علم القراءات ونبه الى ذلك اليافعي وملا علي القارى فقال الاول « المحدث المقرىء صاحب التصانيف »(٥١) وقال الثاني « وكان ماهرا في علم القراءة »(٥٢) .

(٤٦) سير اعلام النبلاء (خ) ١٠٣ و .
(٤٧) العبر ٣٧/٤ ، وراجع شذرات الذهب ٤٨/٢ .
(٤٨) طبقات المفسرين ص١٢ وراجع طبقات المفسرين للداودى ١٥٨/١ .
(٤٩) شذرات الذهب ٤٩/٤ .
(٥٠) روضات الجنات ١٨٧/٣ .
(٥١) مرآة الجنان ٢١٣/٣ .
(٥٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ١٠/١ .

الفصل الثاني

شيوخه وتلاميذه

أ ـ شيوخـه :

تلقى الامام البغوي علومه في تفسير كتاب الله ورواية الحـديث والفقـه الشافعي على شيوخ عصره من اعلام خراسان ، وروى عـن جمع كبير منهم ، حفظت الكتب التي ترجمت له بعض تلك الاسماء ، فمن شيوخه[1] :ـ

١ ـ أحمد بن أبي نصر الكوفاني (ابو بكر) ، شيخ الزهاد بهراة[2] .

٢ ـ حسان بن سعيد المنيعي المروزى (ابو علي) ت ٤٦٣ هـ : مـن أهـل مرو الروذ كان تاجرا فنما ماله وعلت منزلته ، وكـان ينفق الامـوال الجزيلة في ابواب الخير ، وكان متواضعا يلبس خشن الثياب مع جاهه العريض ، وكان مجتهدا في العبادة يقوم الليـل ويصوم النهـار ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر روى عنه محيي السنة[3] .

٣ ـ الحسين بن محمد بن احمد المروزى (ابو علي) ت ٤٦٢ هـ : قاض من

---

(١) ورد ذكر هؤلاء الشيوخ الا الخامس والتاسع في ترجمة البغوي كشيوخ له ، راجع سير اعلام النبـلاء (خ) ١٠٣ أ ، طبقـات الشافعيـة الكبرى ٧/٧٥ ـ ٨٠ ، طبقات المفسرين للداودى ١/١٥٤ .

(٢) لم أعثر على ترجمته وقد ورد ذكـره في تفسيره معالم التنزيل ، راجـع على سبيل المثال ١/١٥٧ .

(٣) راجع طبقات الشافعية ٤/٢٩٩ ، البـداية والنهاية ١٢/١٣ ، شذرات الذهب ٣/٣١٣ المنتظم ٢٧٠٨ ، الاستدراك (خ) غـير مـرقمة والتقيـد لمعرفة رواة السنن والمسانيد (خ) ٨٣ ب وقـد ورد ذكـره في تفسيره ، راجع على سبيل المثال ٢/٣٧ ، ٣/٥٣ ، ٤/٩٠ .

كبار فقهاء الشافعية ورجل علم فريد ، كان صاحب وجوه غريبة في المذهب له (التعليقة في الفقه) ، توفي في مرو الروذ ، روى عنه تلميذه محيي السنة ، وتخرج عليه من الأئمة عدد كثير منهم البغوي[٤] .

٤ ـ زياد بن محمد الحنفي (ابو الفضل)[٥] .

٥ ـ عبدالرحمن بن محمد بن أحمد بن فوران الفوراني المروزى (ابو القاسم) ت ٤٦١ هـ كان اماما حافظا للمذهب ، شيخ اهل مرو ، سمع الحديث وكان كثير النقل ، روى عنه البغوي صاحب التهذيب[٦] .

٦ ـ عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن المظفر الداودى البوسنجي (ابو الحسن : كان فقيها اماما صالحا زاهدا ورعا شاعرا ، اديباً صوفياً ، وقد سمع مشايخ عدة وكان يصنف ويفتي ويعظ ويكتب الرسائل الحسنة[٧] .

٧ ـ عبدالواحد بن احمد بن ابي القاسم بن محمد المليحي الهروي (ابو عمر) ت ٤٦٣ هـ : من اهل الادب والحديث ، له « الرد على أبي عبيد » في غريب القرآن و « الروضة » يشتمل على الف حديث صحيح والف حديث غريب والف حكاية والف بيت شعر[٨] .

---

(٤) راجع طبقات السبكي ١١٣/٥ · وقد ورد ذكره في تفسيره ، راجع على سبيل المثال ٢٤/١ ، ١٥٧ ، ١٤٤/٢ ، ٤٣/٤ .

(٥) لم أعثر على ترجمته ، وقد ورد ذكره في تفسيره ، راجع ١٩٠/٤ ، ٢٢٥/٥ .

(٦) راجع طبقات الشافعية الكبرى ١٠٩/٥ ـ ١١٥ .

(٧) راجع طبقات الشافعية الكبرى١١٧/٥ ، العبر ٢٦٤/٣ ، المنتظم ٢٩٦/٨ ، فوات الوفيات ٥٤٨/١ · وقد ورد ذكره في تفسيره راجع على سبيل المثال ٢٤٧/٤ .

(٨) راجع بغية الوعاة ٣١٦ ، الاستدراك (خ) غير مرقمة ، التقييد (خ) ٨٣ ب وقد ورد ذكره في تفسيره ، راجع على سبيل المثال ٤٢/٢ ، ١٠٨ ، ٤٥/٣ ، ٧٥ ، ٢٥٦ ، ٢٣٠/٥ ، ٢٣١ ، ٣/٦

٨ – علي بن يوسف الجويني المعروف بشيخ الحجاز (ابو الحسن) ت ٤٦٣ هـ : عم امام الحرمين ، كان صوفيا مشتغلا بالعلم والحديث ، رحل في طلب العلم وسمع الكثير وأملى بخراسان[٩] .

٩ – عمر بن عبدالعزيز بن احمد بن يوسف القاشاني المروزى (ابو طاهر) ت ٤٦٣ هـ : كان اماما فاضلا فقيها بارعا متكلما ، غلب عليه الاصول والكلام ، ولد ببغداد ٣٨٥ هـ ، وتفقه ببغداد وسمع بالبصرة ، حدث عنه الحسين بن مسعود الفراء[١٠] .

١٠– محمد بن محمد الشيرزى (ابو الحسن) ، نسبة الى شيرز قرية بسرخس[١١] .

١١– محمد بن ابي الهيثم الترابي المروزى (ابو بكر) ت ٤٦٣ هـ : من جماعة بمرو ينتسبون بهذه النسبة ولهم سوق ينسب اليهم ، يبيعون فيه البذور والحب ، والمنتسب لهذه الصنعة جماعة منهم ابو بكر محمد ... حدث عن ابي سعيد السجزي نزيل مرو وكان يروى عن ابي محمد بن يحيى .. سمع منه الحسين البغوى وغيره[١٢] .

١٢– يعقوب بن احمد الصيرفي النيسابوري (ابو بكر) ت ٤٦٦ هـ[١٣] .

وفضلا عن هؤلاء الشيوخ ، فقد روى الامام البغوى عن غيرهم الاحاديث

، ٩ ، ١٣٠ ، ٧/٢٧٤ .

(٩) راجع طبقات الشافعية الكبرى ٥/٢٩٨ ، معجم البلدان ٢/١٦٦ ، الاستدراك (خ) غير مرقمة ، التقييد ٨٣ب .

(١٠) راجع طبقات الشافعية الكبرى ٥/٣٠١ .

(١١) راجع الاستدراك (خ)غير مرقمة ، التقييد ٨٣ب ، تذكرة الحفاظ ٤/١٢٥٨، لم اعثر على ترجمته ، وورد ذكره في تفسيره ، راجع على سبيل المثال ١/١٩ .

(١٢) الانساب ٣/٣٠ ، وقد ورد ذكره في تفسيره راجع ١/٢٤ ، ٦/ ٨٠ .

(١٣) لم اعثر على ترجمته .

النبوية وردت خلال تفسيره ، فمن هؤلاء الشيوخ :

١ - احمد بن عبدالرحمن الكتاني (ابو الحسن)[١٤] .
٢ - احمد بن عبدالرزاق الصالحي[١٥] .
٣ - احمد بن عبدالملك بن علي بن احمد المؤذن النيسابوري (ابو صالح) ت ٤٧٠[١٦] .
٤ - احمد بن محمد بن العباس الخطيب الحميدي (ابو سعد)[١٧] .
٥ - احمد بن محمد الشريحي (ابو سعد)[١٨] .
٦ - اسماعيل بن عبدالقاهر[١٩] .
٧ - سعيد بن اسماعيل الضبي (ابو عثمان)[٢٠] .
٨ - عبدالكريم بن عبدالملك بن طلحة النيسابوري[٢١] .
٩ - عبدالله بن احمد الطاهري (ابو سعيد)[٢٢] .
١٠ - عبدالله بن عبدالصمد بن احمد بن موسى الجوزجاني (ابو محمد)[٢٣] .
١١ - عبدالوهاب بن محمد الخطيب[٢٤] .

---

(١٤) راجع تفسيره معالم التنزيل ١/ ٢٤ .
(١٥) راجع تفسيره معالم التنزيل ١/ ١٧١ ، ٤٤٥ ، ٣/ ٢٥ ، ٣/ ١٩٧ ، ٤/ ١٨٦ ، ٥/ ٢٤٦ ، ٣١٦ .
تذكرة الحفاظ ١١٦٥ .
(١٦) راجع تفسيره معالم التنزيل ٤/ ٦٤ ، وترجمته في معجم الادباء ١/ ٢١٩ ،
(١٧) راجع تفسيره معالم التنزيل ٥/ ٢٥٩ .
(١٨) راجع تفسيره معالم التنزيل ٢/ ٥٩ ، ٤/ ٧٣ ، ٥/ ٢٣٤ ، ٦/ ٢ ، ١٥ ، ٧/ ٢٧٥ .
(١٩) راجع تفسيره معالم التنزيل ٣/ ٤٥ ، ٧٥ ، ٥/ ٢٥٥ ، ٢٦٠٦ .
(٢٠) راجع تفسيره معالم التنزيل ١/ ١٥٧ ، ٥/ ٢٢٥ ، ٧/ ٢٧٤ .
(٢١) راجع تفسيره معالم التنزيل ٤/ ١٨٩ ، ٧/ ٢٧٦ وترجمته في طبقات الشافعية الكبرى ٥/ ١٥٣ ، انباه الرواة ٢/ ١٩٣ .
(٢٢) راجع تفسيره معالم التنزيل ٦/ ١٣ .
(٢٣) راجع تفسيره معالم التنزيل ٤/ ١٦٠ ، ١٧٤ .
(٢٤) راجع تفسيره معالم التنزيل ١/ ١٥٦ .

١٢- عبدالوهاب بن محمد الكسائي[٢٥] .

١٣- محمد بن احمد التميمي[٢٦] .

١٤- محمد بن عبدالرحمن النسوى (ابو عمرو)[٢٧] .

١٥- محمد بن عبدالله بن ابي توبة (ابو بكر)[٢٨] .

١٦- محمد بن عبدالملك المظفرى السرخسي (ابو منصور)[٢٩] .

١٧- محمد بن الفضل بن جعفر الخرقي[٣٠] .

١٨- المطهر بن علي الفارسي[٣١] .

١٩- المظفر بن اسماعيل التميمي (ابو الفرج)[٣٢] .

٢٠- يحيى بن علي الكشميهني (ابو القاسم)[٣٣] .

٢١- ابو الحسن السرخسي[٣٤] .

وهكذا نخلص الى ان الامام البغوى تلقى علومه عن جمع كبير من علماء عصره ، وخاصة في رواية الحديث النبوي الذى برز فيه ، واعتمد عليه في تفسيره لكتاب الله تعالى ، حيث يذكر اسماء شيوخه ورجال السند الذين روى عنهم تلك الاحاديث .

كما يذكر آراء هؤلاء الشيوخ وتوجيهاتهم عند تفسيره لبعض الآيات ، وخاصة في مسائل الاحكام الفقهية .

---

(٢٥) راجع تفسيره معالم التنزيل ١/١٩٠ .

(٢٦) راجع تفسيره معالم التنزيل ٥/٢٤٦

(٢٧) راجع تفسيره معالم التنزيل ٥/٢٧٥ .

(٢٨) راجع تفسيره معالم التنزيل ٤/٣٩ ، ٥/٢٧٥ ، ٦/٨١ .

(٢٩) راجع تفسيره معالم التنزيل ٤/٧٤ .

(٣٠) راجع تفسيره معالم التنزيل ١/٤٤٧ ، ٤/٤١ ، ٥/٢٧٥ ، ٧/٤٥ .

(٣١) راجع تفسيره معالم التنزيل ٤/٧٨ .

(٣٢) راجع تفسيره معالم التنزيل ٤/٤٢ .

(٣٣) راجع تفسيره معالم التنزيل ٥/٢٧٥ ، ٦/٨٤ .

(٣٤) راجع تفسيره معالم التنزيل ٢/٤٨ ، ١٥٣ ، ٥/٢٧٤ ، ٧/٢٧٥ .

ولاشك في أن لهؤلاء الشيوخ ذوى العلم الواسع والمعرفة الكبيرة بفروع الشريعة الاسلامية الاثر الكبير في تكوين شخصية الامام البغوي محدثا ومفسرا .

ب ـ تلاميــذه :

لم تقتصر جهود الامام البغوي العلمية على التأليف والتصنيف بل تجاوز ذلك الى التعليم فظهرت ثمار جهوده في الكثرة الكاثرة والاعداد الكبيرة من طلاب العلم الذين تلقوا عليه العلوم الشرعية ، وخاصة في مرو الروذ ، وحفظت لنا كتب التراجم والطبقات بعضا منهم وهم[٣٥] :ـ

١ ـ أسعد بن أحمد بن يوسف بن احمد بن يوسف ابو الغنائم البامنجي الخطيب : ولد سنة ٤٧٧ هـ ، وتوفي سنة ٥٤٨ هـ ، تفقه على محيي السنة البغوي[٣٦] .

٢ ـ الحسن بن مسعود البغوي (ابو علي) : اخو الامام الحسين البغوى تفقه على أخيه[٣٧] .

٣ ـ عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالرحمن بن الحسين بن محمد بن الحسين بن عمر بن حفص بن زيد الليثي ، الشيخ ابو محمد النيهي : ابن اخي الحسن بن عبدالرحمن النيهي تلميذ القاضي حسين .. واما عبدالرحمن فكانت ولادته واقامته ووفاته بمرو الروذ وهو من تلامذة البغوى ، تفقه عليه وسمع منه الحديث ... امام فاضل ، مفت ورع دين حافظ لمذهب الشافعي ، راغب في الحديث ونشره ، حسن الاخلاق كثير الصلاة

---

(٣٥) ورد ذكر الثامن والعاشر والرابع عشر في سير اعلام النبلاء (خ) ١٠٣ أ ، تذكرة الحفاظ ١٢٥٨/٤ طبقات الشافعية ٧٥/٧ ، والداودى ١٥٨/١ .

(٣٦) راجع طبقات الشافعية ٤١/٧ .

(٣٧) مضت ترجمته وراجع طبقات الشافعية للنووى (خ) غير مرقمة .

والعبادة ، جمع بين العلم والعمل[٣٨] .

٤ ـ عبدالرحمن بن علي بن ابي العباس بن علي بن الحسين بن الموفق النعيمي الموفقي ، توفي سنة ٥٤٢ هـ : كان فقيها ، فاضلا عارفا بالمذاهب ، مناظرا ورعا كثير التلاوة والصلاة ... ثم خرج الى بخارى ، ولقي بها الأئمة وخرج الى طوس واقام عند ابي حامد الغزالي مدة وعند الحسين بن مسعود الفراء مدة[٣٩] .

٥ ـ عبدالرحمن بن عمر الاصفر البامنجي (ابو نعيم) يقول : لما فرغت من التفقه على الامام الحسين بن مسعود الفراء ...[٤٠]

٦ ـ عبدالرحمن بن محمد بن محمد ابراهيم بن موسى ، ابو القاسم بن ابي سعد الفارسي ثم السرخسي ، ت ٥٥٥ هـ : فقيه ورع تفقه على محيي السنة البغوي[٤١] .

٧ ـ عبدالله بن محمد بن المظفر بن علي ابو محمد بن ابي بكر المتولي الهامري البغوي تفقه على البغوى[٤٢] .

٨ ـ فضل الله بن محمد النوقاني (ابو المكارم)[٤٣] .

٩ ـ مثاور بن فزكوه ابو مقاتل الديلمي اليزدي يلقب عمادالدين ت٥٤٦ هـ: كان فقيها ، اديبا شاعرا ، من ازهد اهل عصره واعلمهم ، تفقه على

---

(٣٨) راجع طبقات الشافعية ١٤٨/٧ ، شذرات الذهب ١٤٨/٤ ، معجم البلدان ٨٧١/٤ ، وذكره ابن نقطة في الاستدراك (خ) غير مرقمة ، والتقييد ٣ ب .

(٣٩) راجع طبقات الشافعية ١٥٣/٧ .

(٤٠) راجع طبقات الشافعية ١٧٩/٧ .

(٤١) راجع طبقات الشافعية ١٥٧/٧ .

(٤٢) راجع طبقات الشافعية ١٣١/٧ .

(٤٣) لم اعثر على ترجمته .

البغوي وهو من كبار تلامذته[٤٤] .

١٠- محمد بن اسعد بن محمد بن الحسين بن القاسم ، مجد الدين حفدة العطاري الشافعي (ابو منصور) ت ٥٧٣ هـ : من اهل نيسابور واصله من طوس وتفقه بها على حجة الاسلام الغزالي ، واتقن المذهب والاصول والخلاف ، وكان من أئمة الدين واعلام الفقهاء والمشهورين ، تفقه على الحسين بن مسعود البغوي وسمع الكثير منه وحدث بشرح السنة ومعالم التنزيل[٤٥] .

١١- محمد بن الحسين بن محمد بن الحسين بن علي يعقوب المروزي الزاغولي : كان صالحا فاضلا سديد السيرة ، قانعا باليسير ، عارفا بالحديث ، ونظر في الادب وكتبه ، سافر الى هراة ونيسابور ، سمع بمرو الروذ الحسين بن مسعود البغوي[٤٦] .

١٢- محمد بن داود بن رضوان الايلاقي (ابو عبدالله) ت ٥٣٩ هـ : قدم الى مرو واقام بمدرسة السمعاني ، تفقه على البغوى بمرو الروذ[٤٧] .

١٣- محمد بن عمر بن محمد بن محمد الشاشي (ابو عبدالله) ت ٥٥٦ هـ ، من الفقهاء العباد ، تفقه بمرو على البغوى وحدث عنه بالاربعين الصغرى له[٤٨] .

---

(٤٤) راجع طبقات الشافعية ٧/٢٧٧ .
(٤٥) راجع طبقات الشافعية ٦/٩٢ ، البداية والنهاية ١٢/ ٢٩٩ ، وفيات الاعيان ٣/٣٧٣ ، شذرات الذهب ٤/٢٤٠ .
(٤٦) راجع طبقات الشافعية ٦/٩٩ ـ ١٠٠ ، الانساب ٦/٢٣٢ ، شذرات الذهب ٤/٨٧ ١ الوافي ٣/٣٧ .
(٤٧) راجع طبقات الشافعية ٦/١٠٣ ، الانساب ١/٤١٢ .
(٤٨) راجع طبقات الشافعية ٦/١٦٥ .

١٤- محمد بن محمد بن علي الطائي الهمذاني (ابو الفتوح) ت ٥٥٥ هـ : صاحب الاربعين الطائية ... وهي من اجل ما وضع في النوع ، ولد سنة ٤٧٥ بهمذان وسمع الشعراني والبغوي وغيرهم .. يرجع الى نصيب من العلوم فقها وحديثا وادبا ووعظا وغير ذلك[٤٩] .

١٥- ملكدار بن علي بن ابي عمرو العمركي ت ٥٣٥ هـ : من اهل قزوين ، كان من أئمة المذهب ، تفقه على محيي السنة البغوي[٥٠] .

وهكذا تتلمذ على الامام البغوي عدد كبير من طلاب العلم ، وتخرج على يديه الجمع الغفير من المهتدين بالسنة النبوية ورواية الاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويظهر ذلك واضحا في تراجم هؤلاء الطلاب الذين وفدوا لسماع البغوي والتلقي عنه من بلاد مختلفة ، فمنهم النيسابوري والمروزي والقزويني والسرخسي كما مضى في نسبهم ..

وفضلا عن ذلك فقد بلغ الامام البغوي من العلم وحسن الذكر والاستقامة ان بعض العلماء يؤثرون الحضور في درسه التماسا للبركة ، فقد ورد عن الامام عبدالكريم بن علي بن ابي طالب الاستاذ الرازي (ابو طالب) ت ٥٢٢ هـ انه كان يجلس بجنب الشيخ البغوي ويحضر درسه للتبرك لانه كان من الأئمة الكبار[٥١] .

---

(٤٩) راجع طبقات الشافعية ١٨٨/٦ ، شذرات الذهب ١٧٥/٤ ، مرآة الجنان ٣١٠/٣ ، النجوم الزاهرة ٣٣٣/٥ .
(٥٠) راجع طبقات الشافعية ٣٠٢/٧ .
(٥١) راجع طبقات الشافعية ١٩٧/٧ .

الفصل الثالث

آثاره ومؤلفاته

تنوعت مؤلفات الشيخ البغوي وآثاره فشملت كثيرا من العلوم الاسلامية ... تفسيرا لكتاب الله الكريم وشرحا لسنة المصطفى عليه الصلاة والسلام ، وبيانا لسيرته صلى الله عليه وسلم ، كما ألف في الاحكام الفقهية والفروع على المذهب الشافعي الذى نشأ عليه واستوعبه وبرع فيه .

وقد اشتهرت بعض هذه المؤلفات وذاع ذكرها ونالت اعجاب العلماء والمختصين ، وحازت مكانة عالية على مر العصور وتتابع الدهور خاصة ما جاء منها في السنة المطهرة ، وما جاء في المذهب الشافعي ، وقد ادرك من ترجم له الحظ الذى ظفرت به كتبه ومؤلفاته شيوعا وتداولا فوصف بقولهم « صاحب المصنفات المبارك له فيها لقصده الصالح »[1] . كما قيل فيه : « بورك له في تصانيفه لقصده الصالح ورزق فيها القبول لحسن نيته »[2] .

والامام البغوي وان قدر لبعض مؤلفاته الشهرة الواسعة لكن بعضها الآخر لم يتواتر ذكرها لدى مؤرخي عصره ممن ترجم لحياته ، وما تواتر ذكره من مؤلفاته وما لم يتواتر لايمثل آثاره وتآليفه كلها لان المصادر تشير الى وجود مؤلفات اخرى له وان اغفل المؤرخون ذكر اسمائها ، والمؤلفات التي نسبت اليه منها المفقود ومنها المخطوط ومنها المطبوع .

ومن خلال مؤلفاته التي وصلت الينا يظهر في الامام البغوي اهتمامه الكبير وعنايته الكثيرة بعلوم الحديث والسنة النبوية الشريفة ويكاد يكون هذا الجانب الطابع الغالب عليه فضلا عن اهتمامه بتفسير كتاب الله وعنايته بالاحكام

---

(١) الرسالة المستطرفة ص٤٢ .

(٢) طبقات المفسرين للسيوطي ص١٢ .

الفقهية ومن اجل ذلك فاقت شهرته وعلت منزلته في ميدان الحديث النبوى واشتق لقبه من هذا الاختصاص « محيي السنة » ، علما بان تركيز اهتمامه وتوجيه اختصاصه الى الحديث النبوى يكمل جوانبه الاخرى التي تتصل بالتفسير والفقه ، فدراسته للسنة تخدم سائر الابواب والعلوم الشرعية .

وأبرز مؤلفاته التي تواتر ذكرها لدى من ترجم له ما يلي :

أ ـ مؤلفاته في التفسير وعلوم القرآن

١ ـ معالم التنزيل : وسيأتي تفصيل الدراسة له في الباب الثاني .

٢ ـ الكفاية في القراءة[3] : والظاهر ان موضوع هذا الكتاب يتصل بعلم القراءات .

ب ـ مؤلفاته في الحديث وعلومه :

٣ ـ شرح السنه[4] : كتاب يشتمل على معظم الأخبار النبوية مرتبة على ابواب الفقه ، ساقها المؤلف باسانيدها ، واودع فيها الكثير من الفوائد العلمية في شرح غريبها وحل مشكلها وبيان احكامها ، نشره المكتب الاسلامي في بيروت وقام بتحقيقه الاستاذان شعيب الارناؤط وزهير الشاويش عن ست نسخ خطية .. الاولى من مكتبة الفاتح باستانبول ، والثانية يمانية ، والثالثة منقولة عن نسخة محفوظة بمكتبة الحرم المكي ، والرابعة مصورة عن الاصل المحفوظ بالمكتبة الاحمدية في حلب ، والاخيرتان مصورتان عن اصل محفوظ بمكتبة الاوقاف في حلب .

---

(٣) لم يرد ذكره الا في كشف الظنون ٢/١٤٩٩ .

(٤) راجع معجم البلدان ص٤٦٨ وفيات الاعيان ٢/١٣٦ ، سير اعلام النبلاء (خ) ١٠٣و تذكرة الحفاظ ٤/١٢٥٧ ، مرآة الجنان ٣/٢١٣ ، طبقات الشافعية للسبكي ٧/٧٥ ، البداية والنهاية لابن كثير ١٢/١٩٣ ، طبقات الحفاظ للسيوطي ص٤٥٧ ، وطبقات المفسرين للسيوطي ص١٢ ، طبقات المفسرين للداودي ١/١٥٨ ، كشف الظنون ٢/١٠٤٠ ، مفتاح السعادة ٢/١٠٢ ، الرسالة المستطرفة ٤٢ ، الاستدراك (خ) غير مرقمة .

وقد جاء عمل المحققين موفقا حيث خرجا احاديث الكتاب واباناً درجة الاحاديث التي لم ترد في الصحيحين ، صحة وضعفا ، وعنيا بمراجعة الآيات الكريمة وترقيمها وضبطها ، كما رقما الاحاديث التي ذكرها المؤلف بسنده بارقام متتابعة ، واخيرا وضعا لكل جزء فهرسا لابواب الكتاب • وقد تابعا نشر هذا الكتاب الجليل فصدر منه تسعة اجزاء •

كما قام فضيلة الشيخ سيد صقر بتحقيق هذا الكتاب الجليل ، ولكن لم يصدر من هذه النشرة الا جزء واحد وقام مجمع البحوث الاسلامية بطبعه[٥] •

وكتاب شرح السنة من أجل الكتب التي جمعت نصوص السنة المطهرة وقد أحسن المؤلف اختيار الاحاديث من مرويات اهل العدالة والضبط من رواة الحديث النبوي الشريف • كما اجاد المؤلف في شرح هذه الاحاديث وضمن كتابه فوائد كثيرة في توضيح المشكل وبيان الغريب وما يحتاج اليه الحديث لفهمه وفقهه • يقول البغوي في مقدمته : « فهذا كتاب في شرح السنة ، يتضمن ان شاء الله سبحانه وتعالى كثيرا من علوم الحديث ، وفوائد الاخبار المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حل مشكلها ، وتفسير غريبها ، وبيان احكامها ، يترتب عليها من الفقه واختلاف العلماء جمل لا يستغنى عن معرفتها المرجوع اليه في الاحكام • والمعول عليه في دين الاسلام »[٦] •

ورتب كتابه على الموضوعات على طريقة اصحاب المصنفات من المحدثين حيث يجمع الاحاديث المتعلقة بكل موضوع في مكان واحد ويسميها « كتابا » ، وسمى الاحاديث التي تدل على مسألة خاصة من الكتاب « بابا » •

وافتتح كل كتاب وبعض الأبواب بآيات من كتاب الله تناسب الموضوع وختم تلك الكتب بما أثر عن الصحابة والتابعين من تفسير لتلك الاحاديث وتوضيح لمعانيها •

---

(٥) لم اطلع على هذه النشرة لا بين ميزاتها وجهد المحقق فيها •
(٦) شرح السنة ١/٣ •

ويتميز كتابه بالزام مؤلفه في ذكر سند الرواية المتصل الى النبي صلى الله عليه وسلم كما عني المؤلف بتخريج تلك الاحاديث حيث يعقب عليها بذكر البخاري او مسلم او كليهما وحين لايكون الحديث عند واحد منهما نجده ينقل عن الترمذي في التصحيح او التضعيف ، وما قيل في رجال الحديث ممن تكلم فيهم ، ولكن الغالب على احاديث الكتاب الصحاح • يقول البغوي : « وكم اودع هذا الكتاب من الاحاديث الا ما اعتمده ائمة السلف الذين هم اهل الصنعة ، المسلم لهم الامر من اهل عصرهم ، وما اودعوه كتبهم ، فاما ما اعرضوا عنه من المقلوب والموضوع والمجهول واتفقوا على تركه ، فقد صنت الكتاب عنها • وما لم اذكر اسانيدها من الاحاديث فاكثرها مسموعة ، وعامتها في كتب الائمة ، غير اني تركت اسانيدها حذرا من الاطالة واعتمادا على نقل الائمة »[7] •

ويتضمن « شرح السنة » فوائد جمة من احكام فقهية يستخلصها المؤلف من نصوص الاحاديث ، ويلحقها بذكر اجتهادات الصحابة والتابعين واقوال الأئمة المجتهدين ، ذاكرا ادلة كل منهم ، ثم يرجح من تلك الاراء ما يراه صوابا ، وان خالف مذهبه على طريقة المحدثين بالاعتماد على الحديث الصحيح •

كما يتضمن الكتاب جوانب من علوم الحديث ، وضبط اسماء الرواة وانسابهم ، وترجمة لبعضهم ، والتوفيق بين الاحاديث المختلفة ، ويتولى الكتاب شرح وتفسير غريب الحديث معتمدا على جهود السابقين في هذا الميدان كالغريب المصنف لابي عبيد القاسم بن سلام ، وغريب الحديث لابن قتيبة والخطابي وغيرهم من أئمة الأمة •

ويذكر الامام البغوي هدفه من تأليفه لهذا الكتاب قائلا : « والقصد بهذا الجمع – مع وقوع الكفاية بما عملوه ، وحصول الغنية فيما فعلوه – الاقتداء بافعالهم ، والانتظام في سلك احد طرفيه متصل بصدر النبوة ، والدخول في غمار قوم جدوا في اقامة الدين ، واجتهدوا في احياء السنة شغفا بهم وحبا

(٧) شرح السنة ١/٢ •

طريقتهم – وان قصرت في العمل عن مبلغ سعيهم – طمعا في موعود الله سبحانه وتعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم أن « المرء مع من أحب »[٨] .

وقد قدر لهذا الكتاب القبول والعناية لدى اجيال العلماء اللاحقة فألفت حوله كتب كثيرة اختصارا وشرحا وبيانا ، فقد اختصره صفي الدين محمود أبن ابي بكر الارموي القرافي ت سنة ٦٨٢ ، وللحافظ ابي القاسم هبة الله الطبرى ت سنة ٤١٨ ، واختصره الامام ابو القاسم عبدالله بن الحسن الواسطي، وسماه « لباب شرح السنة في معرفة احكام الكتاب والسنة » ، واختصره بعضهم وسماه الفلاح لعلاء الدولة احمد بن محمد المالكي فرغ منه سنة ٦٩٥ هـ ، وتقي الدين ابراهيم الطبرى سنة ٧٢٢ هـ[٩] .

٤ – مصابيح السنة[١٠] : وطبع هذا المصنف بالقاهرة عام ١٢٩٤هـ – ١٨٧٧م في مجلدين ثم طبع عام (١٣١٨هـ – ١٩٠٠م) وجاء ولي الدين ابو عبدالله محمد بن عبدالله الخطيب التبريزي كمل هذا المصنف ورتبه ترتيبا جديدا واتمه عام (٧٣٧هـ – ١٣٣٦م) وسماه « مشكاة المصابيح وهو الان كثير الذيوع لشموله وسهولة ترتيبه . اذ انه يمد المسلم القليل الحظ من العلم بمجاميع الحديث القديمة متحاشيا الاسناد الكثير المتعب مع توخي الارشاد وتجنب التعالم وطبع هذا الكتاب عدة مرات في دلهي وبومباى وكلكته وقازان وطبع على الحجر بسنت بطرسبرج عام ١٨٩٨ –

---

(٨) شرح السنة ١/٣ .
(٩) كشف الظنون ٢/١٠٤ .
(١٠) ورد ذكره في وفيات الاعيان ٢/١٣٦ ، سير اعلم النبلاء (خ) ١٠٣و ، مرآة الجنان ٣/٢١٣ ، المختصر في اخبار البشر ٢/٢٤٠ ، البداية والنهاية ١٢/١٩٣ ، طبقات الحفاظ للسيوطي ص٤٥٧ ، طبقات المفسرين للسيوطي ص١٢ ، طبقات المفسرين للداودى ١/١٥٨ ، كشف الظنون ٢/١٦٩٨ مفتاح السعادة ٢/١٠٢ ، الرسالة المستطرفة ١٧٧ ، الاستدراك (خ) غير مرقمة .

١٨٩٩ م في مجلدين واجرد طبعاته الطبعة الاخيرة التي نشرها المكتب الاسلامي في بيروت بتحقيق ناصر الدين الالباني ، ونقله الى الانكليزية A.N. Matthews كلكته عام ١٨٠٩م •

والف التبريزي « كتاب اسماء المشكاة » وهو تراجم للرجال المذكورين في المشكاة ومن شروح هذا الكتاب شرح ابن حجر الهتمي ت ٩٧٤ هـ •

ويحتوي هذا الكتاب على ٤٧١٩ حديثا منها المختص بالبخارى ٣٢٥ حديثا ، ولمسلم ٨٧٥ حديثا ، ومنها المتفق عليه ١٠٥١ حديثا والباقي من كتب أخرى • ويلتزم البغوى في كتابه هذا بترك ذكر الاسانيد اعتمادا على نقل الائمة ، وقسم احاديث كل باب الى صحاح وحسان[١١] وعني بالصحاح ما اخرجه الشيخان وبالحسان ما اورده ابو داود والترمذى وغيرهما ، وما كان فيها من ضعيف او غريب اشار اليه واعرض عن ذكر ما كان منكرا او موضوعا، هذا هو المشروط في الخطبة •

وقد اعترض اهل الحديث ومنهم النووي وابن كثير على هذا التقسيم لان اصطلاح الحسان في وصف الحديث خاص به ليس موافقا لمصطلح اهل الحديث ، وذلك يؤدى الى خلط الامر على القارىء ، فان في كثير من كتب السنن الثلاث التي اخذ منها الحسان ، وهي سنن ابي داود والترمذى والنسائي احاديث صحيحة جدا ، لاتقل في الصحة عن درجة ما اتفق عليه البخارى ومسلم ، كما ان فيها الضعيف والمنكر[١٢] •

---

(١١) توهم كتاب الترجمة في دائرة المعارف الاسلامية فجعل احاديث الكتاب ثلاث طبقات صحاح وحسان وغريبة وضعيفة ، وقد تنبه لذلك الشيخ احمد محمد شاكر فاستدرك الامر عليه • دائرة المعارف الاسلامية ٢٨/٤ ، ولم يبين الصحيح من الحسن وانما بين الغريب غالبا والضعيف قليلا/كشف الظنون هامش ص١٧٠٢ •

(١٢) راجع الباعث الحثيث ص٤٢ ، دائرة المعارف الاسلامية ٢٩/٤ •

لكن حاجي خليفة اعتذر للامام البغوي واجاب عنه بانه اصطلح عليه في كتابه ولا مشاحة فيه[١٣] .

وقد أثنى على هذا الكتاب سائر من اطلع عليه ومنهم الخوانساری فقال « هو كتاب حديث جيد في معناه معتمد على نقله »[١٤] .

وقد اعتنى بشأنه العلماء بالقراءة والتعليق والشرح ، وألفوا حوله كتبا كثيرة اورد ذكرها حاجي خليفة وهي[١٥] :

- شرح الامام القاضي ناصر الدين عبدالله بن عمر البيضاوی ت ٦٨٥ وسماه تحفة الابرار[١٦] .
- شرح قاسم بن قطلوبغا الحنفي ت سنة ٨٧٥هـ .
- شرح شهاب الدين فضل الله بن حسين التوربشتي ت ٦٠٠ وسماه الميسر .
- شرح شمس الدين محمد بن مظفر الخلخالي ت ٧٤٥ وسماه التنوير .
- شرح علاءالدين علي بن محمد الشهير بمصنفك ت ٨٧٥هـ ، وألفه باشارة حضرة صاحب الرسالة (عليه السلام) لابن قرمان بقونيه سنة ٨٥٠هـ .
- شرح غياث الدين محمد بن محمد الواسطي البغدادی المعروف بابن العاقولي مدرس المستنصرية ت ٧٩٧ هـ .
- شرح شمس الدين محمد بن محمد الجزری (المذكور في النشر)

---

(١٣) كشف الظنون ١٦٩٩/٢ .

(١٤) روضات الجنات ١٨٨/٣ .

(١٥) نسخة مخطوطة منه في مكتبة الحرم المكي .

ت ٨٣٣ هـ في ثلاثة مجلدات وسماه تصحيح المصابيح والتوضيح في شرح المصابيح .

— شرح ظهيرالدين محمود بن عبدالصمد الفارقي .
— شرح قرەيعقوب بن ادريس الحنفي الرومي (القرماني) ت ٨٣٣هـ .
— شرح قطب الدين محمد الازنيقي محيالدين محمد بن قطب الدين ت ٨٨٤هـ .
— شرح شمس الدين احمد بن سليمان المعروف بابن كمال باشا ت ٩٤٠هـ .
— شرح علي بن عبدالله بن احمد المعروف بزين العرب ، والمفهوم من اول شرحه انه شرحه ثلاث مرات ، والمتداول ابسط من الاول ، وذكر في اوسطه انه ألفه في حدود سنة ٦٥٠ هـ .
— شرح مظهر الدين الحسين بن محمود بن الحسن الزيداني ت ٧٥٧هـ وسماه المفاتيح في شرح اوحل المصابيح ، اورد في أوله مقدمة في اصطلاحات اصحاب الحديث وانواع علومه .
— شرح الازهار الذى اختصره الشيخ ابو النجيب عبدالقاهر بن عبدالله السهروردى ت ٥٦٣ هـ .
— شرح الشيخ تقي الدين علي بن عبدالكافى السبكى ت ٧٥٦ هـ وسماه ضياء المصابيح .
— شرح الشيخ مجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى ت ٨١٧ هـ وسماه التخاريج في فوائد متعلقة باحاديث المصابيح .
— شرح العلامة حسن بن محمد الطيبي ت ٧٤٣ هـ وسماه الكاشف عن حقائق السنن ، وهو شرح المفضل لمشكاة المصابيح للخطيب[١٧] .
— شرح ابي الحسن علي بن محمد المعروف بعلم الدين السخاوى ت ٦٤٣هـ .

---

(١٧) نسخة مخطوطة منه في مكتبة الحرم المكي .

— شرح عبدالعزيز بن محمد بن عبدالعزيز الأبهرى ت بحدود ٨٩٥ هـ وسماه منهاج المشكاة .

— حاشية السيد الشريف على المشكاة .

— شرح الشيخ نور الدين علي بن سلطان محمد الهروى المعروف بالقارى ت ١٠١٤ هـ وسماه المرقاة ، وهو شرح عظيم جمع فيه الشروح والحواشي في أربع مجلدات[١٨] .

— شرح آخر لاحد الفضلاء سماه انوار المشكاة وزاد في كل باب فصلا .

— شرح الشيخ عبد المؤمن أبي بكر بن محمد الزعفراني .

— شرح خليل بن مقبل الحلبي وهو شرح بسيط .

— شرح السخرمي « ذكره شارح الشفا » .

— شرح مفتاح الفتوح فرغ منه رمضان سنة ٧٠٧ هـ .

— شرح الشيخ ابي عبدالله اسماعيل بن محمد بن اسماعيل بن عبدالملك بن عمر المدعو « بالاشرف الفقاعي » .

— شرح الشيخ صدر الدين ابي عبدالله محمد شرف الدين بن ابراهيم السلمي المناوى الشافعي ٧٤٨ هـ وسماه المناهج كشف المناهيج ، والتفاتيح في شرح احاديث المصابيح .

— شرح قطب الدين محمد النكيدى الازنيقي ت ٨٢١ هـ وسماه تلفيقات المصابيح .

— شرح منهل الينابيع .

— شرح ابي ذر أحمد بن ابراهيم الحلبي ولم يكمله .

— شرح محمد بن عبداللطيف المعروف بابن الملك الرومي وهو شرح لطيف ممزوج كشرح أبيه المشارق[١٩] .

---

(١٨) نسخة منه في مكتبة الحرم المكي .

(١٩) نسخة منه في مكتبة الحرم المكي .

— شرح عبدالرحمن بن خليل وسماه تنوير المصابيح وهو شرح ممزوج كشرح ابن عبدالملك .

— شرح فضل بن شمس السيواسي وسماه ضياء المصابيح وهو حاشية على شرح ابن الملك اكمله سنة ١٠٠٩ هـ .

— شرح عثمان بن الحاج محمد الهروى وهو شرح مختصر متأخر عن البيضاوى لانه ذكره فيه .

٥ ـ الجمع بين الصحيحين[٢٠] : الظاهر من اسم هذا الكتاب ان الامام البغوى جمع فيه الاحاديث المتفق عليها في صحيح البخارى ومسلم وهو أمر يتفق مع منهجه في سائر منتخباته من الاحاديث النبوية مما وقفنا عليه في كتابي شرح السنة ومصابيح السنة فكأنه أراد أن يجمع في كتابه هذا اصح الاحاديث واثبتها نسبة للرسول صلى الله عليه وسلم .
ويعتبر هذا الكتاب من الكتب المفقودة اذ نجهل ما يتصل به ولم يردنا وصف له في كتب التراجم التي نسبت هذا الكتاب له .

٦ ـ الانوار في شمائل النبي المختار[٢١] : الظاهر من اسم هذا الكتاب انه من كتب السيرة الشريفة التي تجمع اخبار الرسول صلى الله عليه وسلم وصفاته وهو في الغالب على النحو المعهود في كتبه السابقة التي تعتمد على الاحاديث الصحيحة .

ولم يردنا في الكتب التي ترجمت للامام البغوي وصفا لهذا الكتاب غير ما ذكره الكتاني في الرسالة المستطرفة انه رتبه على ١٠١ باب على

---

(٢٠) ورد ذكره في وفيات الاعيان ١٣٦/٢ ، سير اعلام النبلاء ١٠٣و ، مرآة الجنان ٢١٣/٣ ، المختصر في اخبار البشر ٢٤٠/٢ ، البداية والنهاية ١٩٣/١٢ ، طبقات المفسرين للسيوطي ص١٢ ، طبقات المفسرين للداودى ١٥٨/١ .

(٢١) ورد ذكره في كشف الظنون ١٩٥/١ ، الرسالة المستطرفة ١٠٥ .

طريقة المحدثين بالاسانيد .

٧ ـ الاربعين حديثا[٢٢] : الظاهر من اسم هذا الكتاب انه يجمع اربعين حديثا انتخبها من كتب الحديث الصحيحة حيث ان هذه الاحاديث تدور حول اصول الدين واركانه الاساسية ..

جـ ـ مؤلفاته في الفقه :ـ

٨ ـ التهذيب في الفقهه[٢٣] : وهو تأليف محرر مهذب مجرد عن الادلة غالبا لخصه الامام البغوي من تعليق شيخه القاضي حسين وزاد فيه ونقص، ويعتبر هذا الكتاب من الكتب المعتمدة في الفقه الشافعي ، واستفاد منه واكثر النقل منه الامام النووي في الروضة لخصه الشيخ الامام حسين المروزي وسماه لباب التهذيب .. واختصره ايضا الشهاب احمد بن محمد الاسكندرى سنة ٦٨٣ . يقع في اربع مجلدات ضخام ، يوجد منه المجلد الرابع في الظاهرية تحت رقم ٢٩٢ فقه شافعي ، يرجع تاريخ نسخه الى سنة ٥٩٩ هـ ، ونسخة اخرى في دار الكتب المصرية[٢٤] .

٩ ـ الكفاية في الفروع[٢٥] : (بالعجمية) كذا وصفه حاجي خليفة الذى انفرد بذكره ، والظاهر أنه من مؤلفات الامام البغوى باللغة الفارسية،ولعل هذا الكتاب ـ كما يلوح من اسمه ـ من المختصرات في الفقه الشافعي .

---

(٢٢) ورد ذكره في سير اعلام النبلاء ١٠٣و طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة.

(٢٣) ورد ذكره في معجم البلدان ص٤٦٨ ، وفيات الاعيان ١٣٦/٢ ، سير اعلام النبلاء ١٠٣و ، تذكرة الحفاظ ١٢٥٧/٤ ، مرآة الجنان ٢١٣/٣ ، طبقات الشافعية للسبكي ٧٥/٧ ، البداية والنهاية ١٩٣/١٢ ، المختصر فى اخبار البشر ٢٤٠/٢ ، طبقات المفسرين للسيوطي ص١٢ ، طبقات الحفاظ للسيوطي ص٤٥٧ ، طبقات المفسرين للداودى ١٥٨/١ ، طبقات الفقهاء ص٧٤ .

(٢٤) فهرس الكتبخانة المصرية ٢١٢/٣ .

(٢٥) كشف الظنون ١٤٩٩/٢ .

١٠- ترجمة الاحكام في الفروع[٢٦] (فارسي) : وهذا الكتاب كـذلك مما انفرد بذكره حاجي خليفة ، وهو كذلك بغير اللغة العـربية ، ويدخـل موضوعه ـ كما يستفاد من عنوانه ـ في الفقه .

١١- مجموعة الفتاوي[٢٧] : وهي مسائل فقهية سئل عنها الشيخ البغوى فاجاب وافتى فيها ، يقول فيها السبكي « مشهورة لنفسه غير فتاوى القاضي حسين التي علقها هو عنه »[٢٨] وهذه الفتاوى غير فتاوى شيخه وان كان قد جمعها هو عنه ايضا ، فقد ورد عن السبكي انه قال : « وقـد رأيت المسألـة في « فتاوى القاضي » وقد قال جامعها البغوى عقبها ... »[٢٩] .

وفي المكتبة الظاهـرية بدمشق نسخة تحت رقـم ٣٧٥ فقه شافعي نسخت سنة ٩١٣ هـ ، وفيها تتبع المؤلف فتاوى شيخه الامام ابي علي الحسين بن محمد المروزى ، وجمعها على ترتيب مختصر المزني .

---

(٢٦) كشف الظنون ١/٣٩٧ .

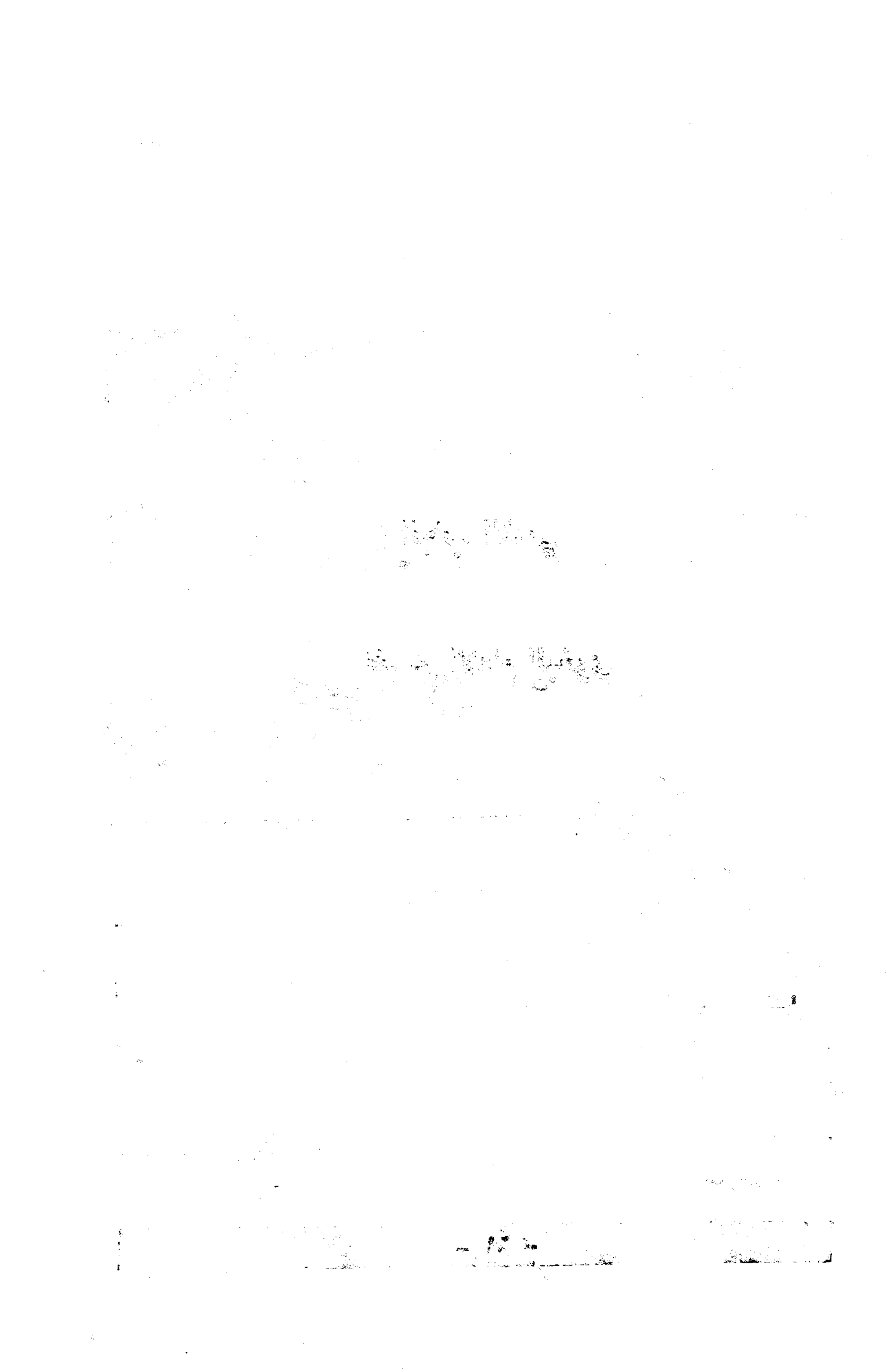
(٢٧) ورد ذكره في طبقات الشافعية للسبكي ٧/٧٥ ، طبقات المفسرين للداودى ١/١٥٧ .

(٢٨) طبقات الشافعية ٧/٧٥ .

(٢٩) المصدر نفسه ٥/١١٤ .

الباب الثاني

تفسير الامام البغوى



مقدمــة في التعريف بتفسيره

وبيان الباعـث عـلى تأليفـه

اشتهر الامام البغوى محدثا اكثر منـه مفسرا ، لكـن اهتمامه وعنايتـه بالحديث لم يقلل من شأنه في التفسير ، بل زاده رفعـة ومكانـة ، لأن معـرفة الحديث تمنح التفسير قيمة كبيرة حين تكون السنة معتمد المفسر في تفسيره .

ويعرف تفسير البغوى « بمعالم التنزيل » ، وقد نسبه اليه من ترجم لـه واثبتوه له ضمن مؤلفاته ، مثل ياقوت الحموى ، وابن خلكان ، والامام الذهبي والسبكي وغيرهم[١] .

وقد طبع تفسيره طبعات كثيرة منها طبعة بفارس في أربـع مجلدات ولـم يذكر مكان الطبع او تاريخه ، وطبع ايضا في بومباى في مجلدين سنة ١٣٠٩ هـ ـ ١٨٩١م[٢] وطبع على هامش تفسير الامام ابن كثير ، كما طبع على هامش تفسير الخازن وتقع الطبعة الاخيرة في سبعة اجزاء وفي أربعة مجلدات[٣] .

ومعالم التنزيل تفسير كامل للقـرآن الكريم مع مقدمة للمؤلف يستهلها

---

(١) راجع معجم البلدان ص٤٦٨ ، وفيات الاعيان ١٣٦/٢ ، سير اعلام النبلاء (خ) ١٠٣ وطبقات الشافعية ٧٥/٧ ، طبقـات المفسرين للداودى ١٥٧/١ طبقات المفسرين للسيوطي ص١٢ ، كشف الظنون ١٧٢٦/٢ ، الرسالـة المستطرفة ص٧٨ وقد توهم الكتاني وجعل التفسير مـن مصنفات عبدالله ابن محمد البغوي .

(٢) دائرة المعارف الاسلامية ٢٨/٤ .

(٣) اعتمدنا الطبعة الاخيرة على هامش الخازن في هذا البحث ، وقـد طبعت بمصر بمطبعة مصطفى البابي الحلبي سنة ١٩٥٥ .

بحمد الله والصلاة والسلام على رسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم يبين مهمة ارسال الرسول (عليه الصلاة والسلام) وانزال الكتاب المعجز عليه الذى تحدى به الخليقة ، ثم يذكر ما اشتمل عليه القرآن الكريم من الامور عقيدة وفقها وقصصا وحكما مما لايمكن استيعابه وفهمه الا بمعرفة تفسيره ، وأخيرا يذكر اهتمام السابقين في التفسير في معرض الثناء والشكر على جهودهم المباركة، ثم ينتقل نبين لنا دواعي تأليفه لتفسيره .

يقول البغوي : « فسألني جماعة من اصحابي المخلصين وعلى اقتباس العلم مقبلون[٤] كتابا في معالم التنزيل وتفسيره ، فأجبتهم اليه معتمدا على فضل الله تعالى وتيسيره ، ممتثلا وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فيما يرويه ابو سعيد الخدرى رضى الله عنه انه عليه الصلاة والسلام قال : « ان رجالا يأتونكم من اقطار الارض يتفقهون في الدين ، فاذا اتوكم فاستوصوا بهم خيرا ، واقتداء بالماضين من السلف في تدوين العلم ابقاء على الخلق »[٥] .

ومن هذا النص نستفيد أن تفسيره جاء نزولا عند رغبة طلابه وتلاميذه المخلصين ، والمقبلين على اقتباس العلم ، وتحقيقا لوصية الرسول صلى الله عليه وسلم في رعاية المتفقهين بالدين الضاربين في الارض سعيا له ، واقتداء بالسلف الصالح في تقييد العلم وتدوينه .

ويقدم البغوى بعد ذلك الطريقة التي اختارها وجعل عليها تفسيره وهي التوسط والاعتدال فيقول : « فجمعت بعون الله تعالى وحسن توفيقه فيما سألوا كتابا متوسطا بين الطويل الممل والقصير المخل ، ارجو ان يكون مفيدا لمن اقبل على تحصيله »[٦] ، وهذه الصفة واضحة في تفسيره بحيث تجرد عن المباحث المفصلة والموضوعات الطويلة .. وقد ادرك من اطلع على تفسيره من العلماء

---

(٤) الاصل في الكتاب مقبلين ولعله من خطأ النساخ او المطابع واثبتنا الصواب.
(٥)و(٦) معالم التنزيل ١/٣ .

هذه الصفة وقرروا انه من التفاسير المتوسطة فقال حاجي خليفة عنه « وهو كتاب متوسط نقل فيه عن مفسرى الصحابة والتابعين ومن بعدهم »[7] وكذلك وصفه طاش كبرى زادة واعتبر تفسيره من التفاسير المتوسطة[8] .

وبهذا يكون تفسير البغوى للمستويات المختلفة من القراء ، وليس لطبقة معينة ، فقد ابتعد عن المباحث العلمية الخاصة بالعلماء ، كما تجنب الاطالة والتفصيل ، واكتفى من التفسير بما يوضح آيات القرآن ويكشف عن اهدافه ومقاصده فهو كما سماه « معالم التنزيل » اي بينات كتاب الله وموضحات آياته..

وينتقل الامام البغوى في مقدمته فيذكر مصادره في تفسيره من كتب التفسير بالمأثور ، وكتب الاخبار والسيرة ، وكتب القراءات ، والحديث النبوى الشريف مما سنعرض اليه في موضعه من البحث ..

ثم يعقد ثلاثة فصول بين يدى التفسير ، وهي في فضائل القرآن وتعليمه ، وفي فضائل تلاوة القرآن ، وفي وعيد من قال في القرآن برأيه ...

ثم يبين معنى التفسير والتأويل والفرق بينهما ، ومعنى نزول القرآن على سبعة احرف ..

ثم ينطلق الى تفسير كتاب الله تعالى سورة سورة من سورة الفاتحة حتى سورة الناس ..

---

(٧) كشف الظنون ١/٤٤٤ ، ٢/١٧٢٦ .
(٨) مفتاح السعادة ٢/١٠٣ .

الفصل الاول

مصادر البغوى في تفسيره :

اشتملت مقدمة معالم التنزيل على فوائد قيمة ، وافكار جليلة يكشف فيها الامام البغوي عن دواعي تأليفه في التفسير ، ومنهجه في تفسيره ، ومصادره في هذا التفسير .

اما بالنسبة لمصادره في تفسيره فهي كثيرة خاصة كتب التفسير بالمأثور ، وكتب التأريخ والسيرة ، وكتب القراءات ، وكتب الحديث ..

أ ـ أما مصادره من كتب التفسير بالمأثور فهي ثلاثة عشر تفسيرا وعلى رأسها تفسير ابن عباس حبر الامة وترجمان القرآن ، وقد نص عليها مجتمعة ثم فصل ذكر كل تفسير مع ذكر طرق الاسناد التي بلغه بها هذا التفسير ، وقدم لذلك بالتنصيص على ان اكثرها مما أخبره به الشيخ ابو سعيد احمد بن محمد الشريحي الخوارزمي فيما قرأه عليه عن الاستاذ ابي اسحق احمد ابن محمد بن ابراهيم الثعلبي عن شيوخه[١] .

وهذه هي كتب التفسير التي اعتمدها في تفسيره مع ذكر الطرق التي روى بها تلك التفاسير[٢] :

١ ـ تفسير ابن عباس : تلقى تفسيره بثلاث طرق :

(أ) ـ قال ابو اسحق اخبرنا أبو محمد بن عبدالله بن حامد أنا ابو الحسن احمد بن محمد بن عبدوس الطوائفي ثنا عثمان بن سعيد الدارمي ثنا عبدالله بن صالح أن معاوية بن صالح حدثه عن علي بن ابي

---

(١) معالم التنزيل ١/٣

(٢) معالم التنزيل ١/٣ـ٦ .

طلحة الوالبي عن عبدالله بن عباس •

(ب) – وقال انا ابو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب ثنا عبدالله بن محمد الثقفي انا ابو جعفر محمد بن نضرويه المازني انا محمد بن سعيد ابن محمد بن الحسين بن عطيه سعد العوفي قال حدثني عمي الحسين ابن الحسن بن عطيه حدثني ابي عن جدى عطيه عن ابن عباس •

(ج) – وقال الثعلبي ثنا ابو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن النيسابورى انا احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي الصريمي المروزي انا ابو العباس احمد بن الحضر الصيرفي انا ابو داود سليمان بن معبد السنجي أنا علي بن الحسين بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس •

٢ – تفسير مجاهد بن جبر المكي قال ابو عبدالله محمد بن احمد بن بطه ثنا عبدالله بن محمد بن زكريا ثنا سعيد بن يحيى بن سعيد الاموى ثنا مسلم بن خالد الزنجي عن ابن ابي نجيح غن مجاهد •

٣ – تفسير عطاء بن ابي رباح قال ثنا ابو القاسم الحسن بن محمد بن حسن النيسابورى ثنا ابو القاسم عبدالرحمن احمد بن ياسين بن الجراح الطبرى أنا أبو محمد بن بكر بن مستهل الدمياطي ثنا عبدالغني بن سعيد اثقفي عن ابي محمد موسى بن عبدالرحمن الصغاني عن ابي جريج عن عطاء بن ابى رباح •

٤ – تفسير الحسن البصري قال حدثني ابو القاسم الحسن البصرى قال حدثني ابو القاسم الحسين بن محمد بن عبدالله بن الملكيب حدثني أبي أنا ابو الحسن محمد بن احمد الصلت المعروف بابن شبوذ المقرىء ثنا سعيد بن محمد ثنا المنهل بن واصل عن ابي صالح عن عمرو بن عبيد عن الحسن بن ابي الحسن البصري •

٥ ـ تفسير قتادة وسمعه بطريقين قال أنا ابو محمد عبدالله بن حامد بن محمد الاصبهاني أنا ابو علي حامد بن محمد الهروى ثنا ابو يعقوب اسحاق ابن الحسن بن ميمون الحربي ثنا ابو محمد الحسين بن مخمد المروزى ثنا شيبان بن عبدالرحمن النحوي عن قتادة وقال ثنا ابو القاسم الحبيبي أنا ابو زكريا العنبرى ثنا جعفر بن محمد بن سوار أنا محمد بن رافع عن عبدالرزاق عن معمر عن قتادة بن دعامة السدوسي •

٦ ـ تفسير ابي العالية واسمه رفيع بن مهران قال ثنا ابو القاسم الحسن بن ابن محمد بن الحسن المفسر أنا ابو عمر احمد بن محمد بن منصور العمركي بن حسن ثنا ابو الحسن احمد بن اسحق بن ابراهيم بن مزيد السرخسي انا ابو علي الحسن محمد بن موسى الازدى عن عمار بن الحسن بن بشير الهمذاني عن عبدالله بن ابي جعفر عن ابيه عن الربيع بن أنس عن ابي عالية الرياحي •

٧ ـ تفسير القرظي قال ثنا ابو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب عن أبي ثنا ابو العباس محمد بن الحسن الهروى ثنا رجاء بن عبدالله أنا مالك ابن سليمان الهروي عن ابي معشر عن محمد بن كعب القرظي •

٨ ـ تفسير زيد بن أسلم قال أنا الحسن بن محمد بن الحسن قال كتب اليّ احمد بن كامل بن خلف بن محمد بن جرير الطبرى حدثهم قال ثنا يونس بن عبدالاعلى الصيرفي انا عبدالله بن وهب اخبرني عبدالرحمن بن زيد بن اسلم عن أبيه •

٩ ـ تفسير الكلبي قرأه بمرو على الشيخ ابي عبدالله محمد بن الحسن المروزى في شهر رمضان سنة اربع وستين وأربعمائة قال أنا ابو مسعود محمد بن احمد بن محمد بن يونس الخطيب الكشميهني في محرم سنة خمسين واربعمائة قال أنا ابو اسحق بن ابراهيم بن احمد بن محمد بن معروف

الهرمروزى ثنا محمد بن علي الانصارى المفسر ثنا علي بن اسحق وصالح بن محمدالسمرقندى قالا ثنا محمد بن مروان عن محمد بن السائب الكلبي •

١٠- تفسير الضحاك بن مزاحم الهلالي قال أنا استاذ اسحاق الثعلبي ثنا ابو القاسم الحسن بن محمد السدوسي ثنا ابو عمرو احمد بن محمدالعمركي بن حسن ثنا جعفر بن محمد سوار ثنا احمد بن محمد بن جميل المروزى ثنا ابو معاذ عن عبيد بن سليمان الباهلي عن الضحاك •

١١- تفسير مقاتل بن حيان قال أنا عبدالله بن حامد الوزاني ثنا احمد بن محمد ابن عبدوس ثنا اسماعيل بن قتيبة ثنا ابو خالد يزيد بن صالح الفراء النيسابورى حدثنا بكير بن معروف البلخي الازدى ثنا ابو معاذ عن مقاتل بن حيان •

١٢- تفسير مقاتل بن سليمان قال اخبرنا ابو اسحاق ابراهيم بن محمد المهرجاني أنا ابو محمد عبدالخالق بن الحسن بن محمد السقيطي المعروف بابن أبي رؤية ثنا عبدالله بن ثابت بن يعقوب المقرى هكذا المقرى ابو محمد قال ثنا ابو محمد حدثني ابي الهذيل بن حبيب ابو صالح الزيداني عن مقاتل ابن سليمان •

١٣- تفسير السدى قال ثنا ابو القاسم حسن بن محمد بن الحسن أنا ابو الطيب محمد بن عبدالله بن المبارك الشعيرى ثنا احمد بن محمد بن نصر اللباد ثنا عمرو بن طلحه القناد عن أسباط عن السدى •

ويلاحظ ان كتب التفسير السالف ذكرها جميعها مما ذكره الامام الثعلبي في مصادر تفسيره « الكشف والبيان » الا كتابا واحدا ، وهو تفسير الكلبي الذى زاد فيه الامام البغوي في رجوعه اليه دون اسناده للشيخ الثعلبي •• وان كانت مصادر الثعلبي في جملتها تزيد كثيرا على مصادر البغوى وتكاد تكون ضعفي ذلك العدد •• فمن ذلك تفسير ابن عيينه ووكيع بن الجراح وهشيم بن بشير ، وشبل

بن عباد المكي ، وورقة بن عمرو ، وروح بن عباده ... الخ[٣] .

ويلاحظ تطابق كثير من الطرق التي بلغت بها تلك التفاسير اليهما ، ويفسر هذا الأمر ما سبق ذكره ، وهو أن اكثرها مما اخبره بها من قرأها على الثعلبي عن شيوخه .. و نسوق على ذلك بعض الامثلة :ـ

فالطريق الاول والثاني الذى وصل بهما تفسير ابن عباس الى البغوى هما كلاهما اللذان وصل بهما التفسير نفسه للثعلبي[٤] .

والطريق الذى تلقى به البغوى تفسير مجاهد هو احد الطرق التي تلقى بها الثعلبي التفسير نفسه ، ومثل ذاك نجد التطابق في طرق الرواية لتفسيري عطاء بن ابي رباح والحسن البصرى لدى البغوى والثعلبي ، اما تفسير قتادة الذى وصل البغوى بطريقين فهما الطريق الثالث والرابع من طرق الثعلبي في تفسيره[٥] .

وعلى النحو نفسه نجد التطابق محققا بينهما في رواية تفسير ابي العالية وزيد بن اسلم ، ومقاتل بن حيان ، ومقاتل بن سليمان والسدى ، ويطرد الامر في مطابقه طرق الرواية بين البغوى والثعلبي بالنسبة لكتابي وهب بن منبه ومحمد بن اسحاق التالية ذكرها[٦] .

والحقيقة ان كتب التفسير السابقة لم تكن الكتب الوحيدة التي اعتمدها في تفسيره ، لانه لم يذكرها على سبيل الحصر لقوله بعد ذكره اسماء المفسرين السابقين « وغيرهم » وكذلك فان صفحات تفسيره تذكر اسماء اخرى مما لم يرد ذكرها في مقدمة التفسير مثل سعيد بن جبير .

---

(٣) راجع الكشف والبيان للثعلبي (خ) ورقة ٣ ب ٤ أ
(٤) قارن بين معالم التنزيل ١/٤ والكشف والبيان في ورقة ٣ ب .
(٥) قارن بين معالم التنزيل ١/٤ والكشف والبيان في ورقة ٧ ب .
(٦) قارن بين معالم التنزيل ١/٥ـ٨ والكشف والبيان في ورقة ٤ أ ، ب ، ٨ أ ، ب .

ب ـ اما مصادره في تفسيره في مجال الاخبار والروايات والسيرة فهي عن المبتدأ لوهب بن منبه وعن المغازى لمحمد بن اسحاق .

ثم يسوق طريق السند الذى نقل به عن هذين الكتابين وهو مما اخبره به ابو سعيد الشريحي قال أنا احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي قال انبأني ابو نعيم عبدالملك بن الحسن بن محمد بن اسحاق الازهرى أنا ابو محمد الحسن بن محمد بن اسحاق بن راهويه بن اخت ابي عوانه أنا ابو الحسن محمد بن احمد بن البراء العبدى قال قرأت على ابي عبدالله عبدالمنعم بني ادريس عن ابيه عن وهب بن منبه .

وأنا ابو سعيد الشريحي أنا ابو اسحاق الثعلبي أنا ابو عبدالله محمد ابن عبدالله الحافظ أنا ابو العباس محمد بن يعقوب بن يوسف المعقلي ثنا احمد بن عبدالجبار العطاردى أنا يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق بن يسار المدني . وأنا ابو سعيد الشريحي قال ابو اسحاق الثعلبي أنا ابومحمد عبدالله بن محمد بن احمد بن عقيل الانصارى أنا ابو الحسن علي بن الفضل الخزاعي أنا ابو شعيب بن عبدالله بن الحسن الحراني أنا النقيلي أنا محمد بن سلمة عن محمد بن اسحاق[٧] .

ولم يكن اصحاب الكتب السابقة في التفسير بالمأثور والاخبار هم وحدهم الذين نقل عنهم الامام البغوى ، بل نقل عن غيرهم ، كما لم تكن الطرق التي روى بها هي وحدهاالتي ساق بها عنهم تلك التفاسير والاخبار، بل نقل بطرق واسانيد اخرى عنهم ، وقد نص على ذلك في مقدمته فهو يقول : « فهذه اسانيد اكثر ما نقلته عن هؤلاء الأئمة ، وهي مسموعة عن طرق سواها تركت ذكرها حذرا من الاطالة ، وربما حكيت عنهم او عن غيرهم من الصحابة او التابعين قولا سمعته بغير هذه الاسانيد بعضها في

(٧) معالم التنزيل ١/٦ .

موضعه من الكتاب ان شاء الله تعالى عز وجل[8] .

ج ـ اما مصادره في علم القراءات فقد تلقاها عن الامام ابي نصر محمد بن احمد بن علي المقري المروزى رحمة الله عليه (تلاوة ورواية) ، وقد ساق طريق الاسناد الذى وصل به كتاب الغاية لابي بكر احمد بن الحسين الى شيخه المروزى وذلك قراءة علي ابي القاسم طاهر بن علي الصيرفى .

وقد ذكر فى تفسيره قراءة من اشتهر من القـراء بالقـراءات ممن خلفوا الصحابة والتابعين ، واتفقت الائمة على اختيارهم ، كما اتفقت الأمة عـلى جواز القراءة بقراءتهم وهم[9] :

١ ـ ابو جعفر يزيد بن القعقاع المدني[10] .

٢ ـ وابو عبدالرحمن نافع بن عبدالرحمن المدني[11] .

٣ ـ وابو معبد عبدالله بن كثير الدارى المكي[12] .

---

(٨) معالم التنزيل ١/٦ .

(٩) معالم التنزيل ١/٧ ، وقد ذكر الزركشي في البرهان ١/٣٣٠ ان البغوى ألحق في تفسيره بهؤلاء السبعة قراءة ثلاثة وهم يعقوب وخلف ويزيد بن قعقاع ، علما بان مقدمة البغوى لم يذكر فيها خلف ، لكنــه ورد ذكـره خلال التفسير ، راجع معالم التنزيل ١/٢٢ .

(١٠) توفي سنة ١٣٠ هـ على الاصح ، وهو امام المدينة النبوية ، تابعي ، ولـم يكن بالمدينة أحد أقرأ للسنة منه . ورئي بعد وفاته فقال : بشر اصحابي وكل من قرأ قراءتى ان الله قد غفر لهم . راجع لطائف الارشادات لفنون القراءات ص٩٧ .

(١١) يكنى أبا رويم او ابا الحسن ، ولد سنة ٧٠ هـ وتـوفى سنة ١٦٩ وفـي أواخر ايام المهدى . وهو امام دار الهجرة فـي القـراءات ، وأصله مـن اصبهان ، وكان أسود اللون حالكا ، فصيحا عالما بالقراءات ووجوههـا ، راجع لطائف الاشارات ص٩٣ .

(١٢) يكنى أبا عباد أبا بكر ، ولد بمكة سنة ٤٥ هـ في ايام معاوية واقام مـدة بالعراق ثم عاد اليها وتوفي سنة ١٢٠ هـ ، وهو شيخ مكة وامامها فـي القراءة وكان فصيحا بليغا مفوها ، واسمر اللون جسيما ، اشهل اللحية ،
=

٤ – وابو عمران عبدالله بن عامر الشامي[١٣] .

٥ – وابو عمرو زياد بن العلاء المازني العطار البصرى[١٤] .

٦ – وابو محمد بن يعقوب بن اسحاق الحضرمي البصرى[١٥] .

٧ – وابو بكر عاصم بن ابي النّجُود الاسدى الكوفي[١٦] .

=

نقل قراءته الائمة كأبي عمرو بن العلاء والخليل بن احمد والشافعي . راجع لطائف الاشارات ص٩٤ .

(١٣) يكنى ابا عمرو او ابا موسى ، ولد سنة ٢١ او ٢٨ هـ على اختلاف في ذلك ، وتوفي بدمشق يوم عاشوراء سنة ١١٨ هـ ، وهو امام اهل الشام وقاضيهم ، كان تابعيا جليلا اماما بالجامع الاموى في ايام عمر بن عبدالعزيز وقبله وبعده ، جمع له بين الامامة والقضاء ومشيخة الاقراء بدمشق ، وقدّم على الكوفيين لعلو سنه ، راجع لطائف الاشارات ص٩٥ – ٩٦ .

(١٤) ولد بمكة سنة ٦٨ او ٦٩ هـ ايام عبدالملك بن مروان ونشأ بالبصرة وتوفي بالكوفة سنة١٥٤هـ او سنة١٥٧ . وهو امام البصرة ومقرئها ، وكان يلقب بسيد القراء كما كان اعلم الناس بالقرآن والعربية ، عدلا زاهدا ، يتصدق بالجوائز وينفق من ارض ورثها . راجع لطائف الاشارات ص٩٥ .

(١٥) ولد سنة ١١٧ هـ وتوفي سنة ٢٠٥ وله ثمان وثمانون سنة ، وهو امام البصرة ، انتهت اليه رياسة القراءة بعد ابي عمرو . امّ بجامع البصرة سنين ، وكانوا قبله على قراءة يعقوب ووصفه ابو حاتم السجستاني : بانه اعلم – من رآه – بالحروف والاختلاف في القرآن وعلله ومذاهبه والنحو ، واروى الناس لحروف القرآن وحديث الفقهاء . راجع لطائف الاشارات ص٩٧–٩٨ .

(١٦) توفي بالكوفة او السماوة سنة ١٢٧ او ١٢٨ هـ ، وهو امام اهل الكوفة وقارئها ، وكان اماما في القرآن والحديث ، لغويا نحويا ، انتهت اليه رياسة الاقراء بالكوفة بعد أبي عبدالرحمن السلمي ، اذا تكلم تكاد تعجب لفصاحته وحسن صوته ، راجع لطائف الاشارات ص٩٦ .

٨ - وابو عمارة حمزة بن حبيب الزيات الكوفي[١٧] .

٩ - وابو الحسن علي بن حمزة الكسائي الكوفي[١٨] .

ثم أسند لكل من القراء المذكورين الطرق التي تلقوا بها قراءتهم عن الصحابة رضي الله عنهم ممن قرأوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل أبي بن كعب وعلي وعثمان وغيرهم .

١ - فأبو جعفر اخذ القراءة عن عبدالله بن عباس وابي هريرة وغيرهما وهم قرأوا على ابي بن كعب .

٢ - ونافع قرأ على أبي جعفر القارى ، وعبدالرحمن بن هرمز الاعزج قرأ على ابي هريرة الذى قرأ على ابي بن كعب .

٤ - وابن عامر قرأ على المغيرة بن شعاب المخزومي الذى قرأ على عثمان رضي الله عنه .

٥ - وعاصم قرأ على ابي عبدالرحمن السلمي الذى قرأ على علي رضي الله عنه كما قرأ على ذر بن حبيش الذى قرأ على ابن مسعود يقول السلمي : « فكنت ارجع من عند ابي عبدالرحمن فاقرأ على ذر بن حبيش » .

٦ - وحمزة قرأ على عبدالرحمن بن ابي ليلى الذى قرأ على جماعة من اصحاب

---

(١٧) ولد سنة ٨٠ هـ ايام عبدالملك بن مروان ، وتوفي بحلوان سنة ١٥٦ هـ على الصواب ، وقيل سنة ١٥٤ او ١٥٨ هـ ايام المنصور والمهدى ، وهو (امام الكوفة) ايضا ، وهو من تابعي التابعين ، وكان عالما بتجويد كتاب الله عارفا بالفرائض والعربية ، حافظا للحديث ورعا ، انتهت اليه القراءة بعد عاصم ، وقدم على الكسائي لانه شيخه . راجع لطائف الاشارات ص٩٦-٩٧ .

(١٨) توفي سنة ١٨٩ هـ بأرنبوية من قرى الرى ، في توجهه مع الرشيد الى خراسان ونعت بالكسائي لتسربله وقت الاحرام بكساء ، وهو مولى بني أسد فارسي الاصل من تابعي التابعين ، انتهت اليه الرياسة في القراءة واللغة والنحو في الكوفة . راجع لطائف الاشارات ص٩٧ .

٦ ـ وحمزة قرأ على عبدالرحمن بن ابي‌ليلى الذى قرأ على جماعة من اصحاب علي وقرأ ايضا على سليمان بن مهران الاعمش الذى قرأ على يحيى بن وثاب وقرأ يحيى على جماعة من اصحاب عبدالله ، كما قرأ حمزة على عمدان بن الاعين الذى قرأ على ابي الأسود الدؤلي ، والدؤلي قرأ على عثمان وعلي رضي الله عنهما .

٧ ـ واما الكسائي فانه قرأ على حمزة السالف ذكره .

٨ ـ واما يعقوب فقد قرأ على ابي المنذر سلام بن سليمان الخراساني الذى قرأ على عاصم .

ولم يذكر البغوى الطريق الذى تلقى به الامام ابو عمرو بن العلاء قرآنه ..[١٩]

وهكذا نجد مصادره في القراءات عالية وهي من الائمة المشهورين في علم القراءة ممن عرفوا في الاقاليم الاسلامية ، ثلاثة من الكوفة ، وبصريان ومدنيان ومكي وشامي .

د ـ أما مصادره في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مما اورده خلال تفسيره بيانا لحكم او تفسيرا لآية قرآنية فلم يفصل في عرضها وذكرها بل اجمل القول فيها حين وصفها بانها من الكتب المسموعة للحفاظ وأئمة الحديث .

وفي هذا الوصف ما يفيد انها من الكتب الصحيحة المعتمدة في الرواية وقد اكد اعتماده على الاحاديث الصحيحة عندما ذكر اعراضه عن ذكر المناكير مما لايليق بحال التفسير .

---

(١٩) ربما يكون هذا سهوا من المؤلف او من الناسخ والناشر وهو الارجح .

مصادره في اللغة

يتضمن تفسير البغوى وينطوى على مصادر أخرى لم ينص عليها في مقدمته خاصة في مجال اللغة والنحو ، فترد في تفسيره أسماء بعض الاعلام في اللغة ممن أخذ منهم تلك المعاني والشروح ، ومن أبرز الاسماء التي تتردد خلال تفسيره :ـ

ابن الانبارى (محمد بن القاسم بن محمد أبو بكر) ت سنة ٣٢٨هـ[٢٠] .
ابن كيسان (محمد بن احمد) ت ٢٩٩هـ[٢١] .
ابو عبيدة النحوي (معمر بن المثنى) ت ٢٠٩ هـ[٢٢] .
الاخفش (سعيد بن مسعدة) ابو الحسن ت ٢١٥ هـ[٢٣] .
الازهرى (محمد بن احمد) ت ٣٧٠هـ[٢٤] .
الخليل بن احمد ت ١٧٠هـ[٢٥] .
الزجاج (ابراهيم بن السري) ت ٣١٢هـ[٢٦] .
سيبويه (عمرو بن عثمان) ت ١٨٠ هـ[٢٧] .

---

(٢٠) ورد ذكره في تفسيره ، راجع على سبيل المثال ١٩٦/٣ ، ١٠٠/١
(٢١) ورد ذكره في تفسيره ، راجع على سبيل المثال ٢٧/١ ، ٢٨٩ ، ١٨/٤ ، ٣٠٢/٧ .
(٢٢) ورد ذكره في تفسيره ، راجع على سبيل المثال ٧٧/١ ، ١٣٤/٢ ، ٧٧/٣ ، ١٨٧/٤ ، ٨٥/٦ ، ٢٩٥/٧ ، ٣٢٥ .
(٢٣) ورد ذكره في تفسيره ، راجع على سبيل المثال ٧١/٣ ، ١١٢/٥ ، ٨٥/٦ ، ٢٩٧/٧ .
(٢٤) ورد ذكره في تفسيره ، راجع على سبيل المثال ٢١٧/٢ ، ٨/٦ ، ٢٧٤/٧
(٢٥) ورد ذكره في تفسيره ، راجع على سبيل المثال ٦٥/٤ ، ١٨٥/٥ .
(٢٦) ورد ذكره في تفسيره ، راجع على سبيل المثال ٢٦/١ ، ١٦١ ، ٣٥٥ ، ١١٨/٢ ، ١٨٦ ، ٣٩/٣ ، ٥٧ ، ١٦/٥ ، ٢٨٠ ، ٨٢/٦ ، ٢٩٦/٧ ، ٢٩٧ ، ٣٢٥ .
(٢٧) ورد ذكره في تفسيره ، راجع على سبيل المثال ٦٥/٤ ، ١١٣/٥ .

الفراء (يحيى بن زياد) ت ٢٠٧ هـ [٢٨] .

القتيبي (عبدالله بن مسلم ، ابن قتيبة) ت ٢٧٦ [٢٩] .

قطرب (محمد بن المستنير) ت ٢٠٦ هـ [٣٠] .

الكسائي (علي بن حمزة) ت ١٨٩هـ [٣١] .

المبرد (محمد بن يزيد) ت ٢٨٥هـ [٣٢] .

وقد لايذكر الاسماء ويكتفي بالقول : قال اهل المعاني [٣٣] ، او قال اهل البصرة [٣٤] ، او قال اهل الكوفة [٣٥] .

---

(٢٨) ورد ذكره في تفسيره ، راجع على سبيل المثال ١/٤٠ ، ٣/٦٧ ، ٤/٤٣ ، ١٨٥ ، ٧/٢٩٥ .

(٢٩) ورد ذكره في تفسيره ، راجع على سبيل المثال ٣/٨٣ ، ١٠٩ ، ١٢٨ ، ٤/١٨ ، ٧/٣٠٦ ٥/١٨٦ .

(٣٠) ورد ذكره في تفسيره ، راجع على سبيل المثال ٧/٣٠٠ ، ٥/١٨٥

(٣١) ورد ذكره في تفسيره ، راجع على سبيل المثال ١/٢٥١ ، ٣/٩٢ ، ٧/١٤٢، ٢٩٥ ، ٢٩٧ .

(٣٢) ورد ذكره في تفسيره ، راجع على سبيل المثال ٦/٨٤ ، ٨٣ .

(٣٣) راجع معالم التنزيل ٣/٨٣ ، ٤/٦٧ .

(٣٤) راجع معالم التنزيل ٦/٢٣٥ .

(٣٥) راجع معالم التنزيل ٦/٢٣٣ ، ٢٣٥ .

الفصل الثاني

منهجه في التفسير

عرض الامام البغوى لتفسير آيات كتاب الله ، وشرح معانيه باسلوب سهل واضح ، لا لبس فيه ولا غموض ، ولا صعوبة ولا توعر في لغته التي استخدمها في تفسيره للقرآن الكريم ، وهكذا لانجد المتكلف في لغته واسلوبه ، كما جنب تفسيره الاصطلاحات العلمية والمناقشات والمحاجات المنطقية العالية التي ترد في بعض كتب التفسير حين تثار قضايا العقيدة وبعض المسائل الشرعية خاصة لدى العلماء والمفسرين الذين تغلب على لغتهم الاساليب والاصطلاحات الفنية المختصة بعلومهم .

ويلاحظ على تفسيره الابتعاد عن ذكر التفاصيل والاسترسال في المسائل الفرعية ، وبعده عن الحشو والتكرار والتطويل(١) .

وطريقة تفسيره التي اتبعها تأتي في ذكر اسم السورة وعدد آياتها وبيان مكيها ومدنيها ، وقد يفصل فيذكر الآيات المكية في السورة المدنية والعكس بذكر الآيات المدنية في السورة المكية ان كان فيها ذلك ، ثم يسوق اسباب النزول ان كانت السورة قد نزلت في مناسبة معينة .. وقد يعرض خلال التفسير لاسباب نزول بعض الآيات الخاصة فيها .

ثم يشرع في توضيح معاني الآيات بلغة واضحة فصلة واقفا على الالفاظ والكلمات الصعبة التي تحتاج الى الكشف عن معناها اللغوى بالرجوع الى اصلها ومصدرها ثم يبين معناها في هذا السياق بالاستدلال بالآيات القرآنية والاحاديث

---

(١) تجنبا للتكرار يحيل البغوي الى ما سبق ذكره دون اعادة له راجع معالم التنزيل ٥/٢١٦ ، ١٨٨ وراجع ايضا ٦/٨٤ ، ٥/١٥٩ .

النبوية ويسوق كذلك آراء السلف الصالح في معنى تلك الكلمة ، وما أثر من تفسير الصحابة والتابعين لها •

ويورد في تفسيره كذلك وجوه الاعراب لبعض الآيات ، وما يترتب عليه من معنى ويذكر كذلك القراءات الاخرى المأثورة لبعض الآيات •

وهو في آيات العقيدة والتوحيد يتناولها موضحا رأي أهل السنة والجماعة ويدحض ويرفض آراء الفرق الاخرى ، وينكر البدع والخرافات في هذا المجال •

كما انه في آيات الاحكام الفقهية يورد آراء الفقهاء المختلفة بايجاز واختصار فيذكر رأى الامام الشافعي وابي حنيفة وغيرهما ••

وللبغوي منهج متميز في التفسير ، يعتمد على عناصر اساسية وهي : اعتماده على المأثور من الكتاب والسنة النبوية واقوال الصحابة والتابعين مع عنايته بالقراءات واللغة والنحو بايجاز يحقق فهم الآيات ، وذكره لمسائل العقيدة والاحكام الفقهية بطريقة مختصرة •

وهذا تفصيل منهجه في التفسير :

أ ـ اعتماده على الكتاب والسنة :

يعتبر كتاب الله العزيز معجزة الاسلام الخالدة في تفوق بلاغته وحسن بيانه وجمال اسلوبه ، وقد انزل القرآن الكريم منجما من عند الله تعالى ليكون مسايرا للاحداث والوقائع •• فكان موافقا لحاجات البشر مبينا بعضها اجمالا وبعضها الآخر تفصيلا •

وآي القرآن الكريم يوضح بعضها البعض الآخر ، فما اجمل واوجز في موضع من القرآن الكريم قد فسر وبين وبسط في مكان آخر ، وقد تخصص آية عموم آية سابقة ، وقد تأتي آيات مؤكدة على معنى آية سابقة في هدفها وتوجيهها • والمهم أن كتاب الله تعالى يوضح بعضه البعض الآخر ، وهو سر

كونه من عند الله تعالى : « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً[٢] .

وتأتي السنة المطهرة بعد كتاب الله في تفسير آى القرآن الكريم واقوال الرسول صلى الله عليه وسلم المبينة الموضحة لآيات كتاب الله ذات اهمية كبيرة . قال تعالى « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون »[٣] وفي الحديث الشريف أخرج أبو داود أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « ألا انني أوتيت الكتاب ومثله معه »[٤] وفي معنى الحديث قال البهيقي : « انه اوتي الكتاب وحيا يتلى ، واوتي مثله من البيان أى أذن له أن يبين ما في الكتاب فيعم ويخص وأن يزيد عليه فيشرع ما ليس في الكتاب له ذكر فيكون ذلك في وجوب الحكم ولزوم العمل به ، كالظاهر المتلو من القرآن »[٥] .

ويأتي تفسير كتاب الله تعالى في المقام الاول بآيات الكتاب نفسها وهو ما يسمى « بتفسير القرآن بالقرآن » ، وقد أدرك الامام البغوى أهمية هذه الصلة بين آيات كتاب الله تعالى بعضها بالبعض الآخر ، وبينها وبين حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قرر معنى التفسير وجعله مما يجب ان يكون مسوقا بطرق ثابتة فهو يقول : « اما التفسير وهو الكلام في اسباب نزول الآية وشأنها وقصتها فلا يجوز الا بالسماع بعد ثبوته من طريق النقل ..»[٦] وينبني على هذا المفهوم أن التفسير لايكون مقبولا ومرضيا الا اذا كان ثابتا في طريق نقله ، ولاشك أن كتاب الله تعالى وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(٢) سورة النساء آية ٨٢ .
(٣) سورة النحل آية ٤٤
(٤) اخرجه ابو داود ، وابن حنبل ٤/١٣١ .
(٥) عون المعبود ١٢/٣٥٥ .
(٦) معالم التنزيل ١/١٤ .

الصحيحة أثبتها وأصدقها في طريق النقل ، فهي أجدر السبل في تفسير كتاب الله العزيز ..(٧)

وهكذا عني البغوى كثيرا بايراد نصوص من القرآن في تفسير معنى الآية من القرآن كما كانت عنايته اكبر وأبعد مدى في كثرة ايراده لنصوص الاحاديث النبوية الشريفة .

اولا : تفسير القرآن بالقرآن :

يعتمد تفسير « معالم التنزيل » على كتاب الله تعالى اعتمادا كبيرا ، وتطرد ظاهرة التمثيل والاستشهاد بآيات القرآن لبيان معنى الآيات الاخرى ونسوق لهذا الجانب بعض الامثلة :

ففي تفسيره لسورة الفاتحة يبين في مستهلها معنى البسملة فيقول : الاسم هو المسمى وعينه وذاته قال الله تعالى : « انَّا نُبشرُكِ بِغُلامٍ اسمُهُ يَحيَى »(٨) .

وحين يفرق بين معنى الحمد ومعنى الشكر في تفسيره لفاتحة الكتاب نفسها يقول الحمد باللسان قولا ، والشكر بالاركان فعلا قال الله تعالى « وقل الحمدُ لله الَّذى لمْ يَتَّخِذْ وَلَدا »(٩) وقال « اعمَلُوا آلَ داوُدَ شُكْراً »(١٠) .

وفي تفسيره الفاتحة كذلك يوضح لنا المراد بالمنعم عليهم في قوله تعالى « الذين انعمت عليهم » فهم « كل من ثبّته الله على الايمان من النبيين والمؤمنين

---

(٧) راجع التفسير والمفسرون ١/٤٥ ، ٥٥ .
(٨) معالم التنزيل ١/١٧ ، والاية رقم ٧ من سورة مريم .
(٩) سورة الاسراء الاية ١١١ .
(١٠) معالم التنزيل ١/٢٠ والاية رقم ١٣ من سورة سبأ .

الذين ذكرهم الله تعالى في قوله «فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيهِم مِنَ النبيين ..»[11] .

وعلى النحو نفسه كان صنيعه في بيان المراد من قوله تعالى في ختام سورة الفاتحة « غير المغضوب عليهم ولا الضالين » : فاما المغضوب عليهم فهم اليهود واما الضالون فهم النصارى ، وقد فسر القرآن بالقرآن وحدد هاتين الطائفتين من سورة اخرى وهي المائدة ، فقد حكم تعالى على اليهود بالغضب فقال : « مَن لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيهِ »[12] وقال عن الفئة الثانية النصارى « وَلَا تَتَّبِعوا أَهواءَ قَومٍ قَد ضَلُّوا مِن قَبلُ وَأَضَلُّوا كَثيراً وَضَلُّوا عَن سَواءِ السَّبِيلِ »[13] .

ومن قبيل تفسير القرآن بالقرآن ما ذكره الامام البغوى في تفسيره لمعنى الكلمات التي تلقاها آدم (عليه السلام) من ربه في قوله تعالى من سورة البقرة « فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَبِّهِ كَلِماتٍ فَتابَ عَلَيهِ انه هوَ التوابُ الرحيمُ»[14] اذ يذكر عن تلك الكلمات انها هي المقصودة في قوله في سورة الاعراف « رَبَّنا ظَلَمْنا أَنفُسَنا .. »[15] وينسب هذا الرأى لسعيد بن جبير ومجاهد والحسن .

ويفسر كلمة الله الحسنى التي أتمها على بني اسرائيل بانها النصر والتمكين مستدلا بالقرآن نفسه فيقول في قوله تعالى من سورة الاعراف « وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الحُسنى عَلى بَني إِسرائيلَ »[16] يعني وتمت كلمة الله وهي وعده

---

(١١) آية ٦٩ النساء ، راجع معالم التنزيل ١/٢٣ .
(١٢) آية ٦٠ المائدة .
(١٣) آية ٧٧ المائدة راجع معالم التنزيل ١/٢٤ .
(١٤) آية ٣٧ البقرة .
(١٥) آية ٢٣ الاعراف راجع معالم التنزيل ١/٥١ .
(١٦) آية ١٣٧ الاعراف .

اياهم بالنصر والتمكين في الارض وذلك قوله تعالى « وَنُرِيدُ أن نمنَّ عَلى الذين استُضْعِفُوا في الأرضِ »[١٧] .

والملاحظ في الأمثلة السابقة التي فسر فيها معنى الآيـة بالاستعانة بآيات قرآنية اخرى انه لم يتمثل ويورد تلك الآيات كاملة ، واكتفى بجزء يسير منها يوضح ويبين المنى ، وهو موضع الشاهد المطلوب ، وان كان سوق الآية كاملة يزيد المعنى وضوحا وجلاء .

ويورد الامام البغوى خلال تفسيره النظائر من الآيات لبيان المعنى المطلوب، وقد يستشهد - للكشف والابانة عن المعنى - بنصوص وآيات كثيرة لتوثيق المراد وتأكيده : فهو حين يفسر معنى البياض والسواد في الوجوه في قوله تعالى « يوم تبيضُ وُجُوهٌ وتسودُّ وُجُوهٌ »[١٨] يورد عن أهل المعاني أن بياض الوجوه : اشراقها واستبشارها وسرورها بعملها وثواب الله ، واسودادها : حزنها وكآبتها وكسوفها بعملها وبعذاب الله يدل عليه قوله : « للَّذين أحسنوا الحُسنى وزيادةٌ ، ولا يَرهَقُ وجوهَهُم قَتَرٌ ولا ذلةٌ »[١٩] وقال تعالى « وَالَّذين كسَبُوا السَّيِّئاتِ جَزاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَترهَقُهُمْ ذِلَّةٌ »[٢٠] وقال تعالى « وُجُوهٌ يَومَئِذٍ ناضِرةٌ الى رَبِّها نَاظِرةٌ ووجُوهٌ يومئذٍ باسِرَةٌ »[٢١] وقال تعالى « وجوهٌ يومئذٍ مُسْفِرةٌ ضاحِكَةٌ مُستبشرةٌ ، ووجوهٌ يومئذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ »[٢٢] .

وفي موقف الكفار من الرسول صلى الله عليه وسلم وسخريتهم واستهزائهم به يورد الامام البغوى في مقام استعجالهم للرسول بالعقوبة والعذاب ما يدل على

---

(١٧) آية ٥ القصص راجع معالم التنزيل ٢/٢٧٩ .
(١٨) آل عمران الاية ١٠٦ .
(١٩) يونس آية ٢٦ .
(٢٠) يونس آية ٢٧ .
(٢١) القيامة آية ٢٣ .
(٢٢) عبس آية ٣٩ راجع معالم التنزيل ١/٤٠١ وراجع مثلا اخر ١/٧٤ .

ذلك في آيات اخرى ففي قوله تعالى « قُلْ أرأيتم إنْ أتاكُم عذابُه بياتاً أو نهاراً ماذا يستعجل منهُ المجرمون »[٢٣] وفي قوله من سورة الرعد « ويَستعجلونَكَ بالسيئة قَبْلَ الحَسَنَةِ »[٢٤] يفسر هذا الاستعجال في الموضعين بمقالتهم التي أوردها تعالى في سورة الانفال : « وإذْ قالوا اللَّهُمَّ إن كانَ هذا هوَ الحقَّ مِنْ عِندِكَ فأمطِرْ عَلينَا حجارةً مِن السَّماء او ائتِنا بعذابٍ أليمٍ »[٢٥] وذلك ان مشركي مكة كانوا يطلبون العقوبة بدلا من العافية استهزاء منهم .

وفي تفسيره لقوله تعالى « ومَا دُعاءُ الكافرينَ إلاّ في ضَلالٍ »[٢٦] يؤكد معنى ضياع دعائهم وعدم استجابة الآلهة والاوثان التي تعبد من دون الله لهم بآية قرآنية اخرى تناظرها في المعنى فيقول : يضل عنهم اذا احتاجوا اليه كما قال « وضَلَّ عَنْهُم مَّا كانوا يفترونَ »[٢٧] .

وفي تفسيره لمعنى المرض الذى يزداد في قلوب المنافقين في قوله تعالى « في قُلوبِهِم مرضٌ فزادَهمُ اللهُ مَرَضاً »[٢٨] يقول : لأن الآيات كانت تنزل تترى آية بعد آية كلما كفروا بآية ازدادوا كفرا ونفاقا ، وذلك معنى قوله تعالى « وأما الَّذينَ في قُلوبِهِم مرضٌ فَزادَتْهُمْ رِجساً الى رِجْسِهِمْ »[٢٩] .

ولا يكتفي الامام البغوى بايراد النظائر المتفقة في المعنى خلال التفسيرولكنه يسوق احيانا الآية التي تخالف ـ في ظاهرها ـ معنى الاية المفسرة لبيان

---

(٢٣) يونس آية ٥٠ وراجع معالم التنزيل ٣/١٩٣ .

(٢٤) الرعد آية ٦ وراجع معالم التنزيل ٤/٥ .

(٢٥) الانفال آية ٣٢ .

(٢٦) الرعد آية ١٤ ، وراجع معالم التنزيل ٤/١٢ .

(٢٧) الاعراف آية ٥٣ .

(٢٨) البقرة آية ١٠ ، وراجع معالم التنزيل ١/٣٣ .

(٢٩) التوبة آية ١٢٥ .

وايضاح هذا الاشكال ، وهذا ما فعله حين قرر معنى اطمئنان قلوب المؤمنين بذكر الله تعالى في قوله « ألا بذكرِ اللهِ تطمئِنُّ القلوبُ »[٣٠] ثم قال : اليس قد قال الله تعالى « انَّما المؤمِنُونَ الذينَ اذا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهم »[٣١] فكيف تكون الطمأنينة والوجل في حالة واحدة ، قيل الوجل عند ذكر الوعيد والعقاب ، والطمأنينة عند ذكر الوعد والثواب .

وتفسير القرآن بالقرآن يسلكه الامام البغوى ايضا في مقام بيان المعنى اللغوى لبعض الكلمات التي يفسرها ويوضح المراد منها : فمعنى الناس جمع انسان سمي به لانه عهد اليه فنسى كما قال الله تعالى « ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى »[٣٢] .

ومعنى المثل في قوله تعالى « مَثَلُ الجنَّةِ التي وُعِدَ المُتَّقونَ »[٣٣] اى صفة الجنة كقوله تعالى « ولله المثَلُ الأعلى »[٣٤] اى الصفة العليا .

وفي تضمين معنى حرف الجر (من) معنى حرف الجر (الباء) في قوله تعالى « تَنَزَّلُ الملائِكَةُ والرُّوحُ فيها باذْنِ ربِّهِم مِن كُلِّ أمرٍ »[٣٥] أى بكل أمر من الخير والبركة كقوله « يَحفظونَهُ مِنْ أمْرِ اللهِ » أى بأمر الله[٣٦] .

وأحيانا يورد الدليل على صحة القراءة المختارة من كتاب الله تعالى خلال

---

(٣٠) الرعد آية ٢٨ ، وراجع التنزيل ٤/٢٠ .
(٣١) الانفال آية ٢
(٣٢) معالم التنزيل ١/٣٣ ، طه ١١٥ ، وراجع امثلة اخرى ١/١٥٠ ، ١٥٩ ، ٧/١٤٥ .
(٣٣) الرعد آية ٣٥ ، وراجع معالم التنزيل ٤/٢٥ .
(٣٤) النحل آية ٦٠ .
(٣٥) القدر آية ٤ ، وراجع معالم التنزيل ٧/٢٧٦ وراجع مثلا اخر ١/٢١٧ .
(٣٦) الرعد آية ١١ .

آيات اخرى ، وهذا ما صنعه في آخر اية من سورة الرعد « وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الكتابِ »[٣٧] وقرأ الحسن وسعيد بن جبير ومن عنده بكسر الميم والدال علم الكتاب على الفعل المجهول دليل هذه القراءة « وعلّمناهُ مِن لَدُنّا »[٣٨] وقوله « الرحمنُ علّمَ القرآنَ »[٣٩] .

ثانيا : تفسير القرآن بالسنة :

يعتبر الامام البغوى محي السنة ابرز اعلام عصره في ميدان الحديث والسنة ، ولم يزل كذلك في العصور التالية لما تركه من آثار ومؤلفات نفيسة في السنة النبوية ، وعلى رأسها مصابيح السنة وشرح السنة ..

وقد ترك اهتمامه الكبير وشغفه العظيم بالسنة سمة بارزة في تفسيره فجاء « معالم التنزيل » تفسيرا حافلا بالنصوص الحديثية الصحيحة والحسنة ، والذى يؤكد اهتمامه بالحديث ادراكه الصلة الوثيقة بين الكتاب والسنة فهو يقول في مقدمة تفسيره : « ان الكتاب يطلب بيانه من السنة ، وعليهما مدار الشرع وأمور الدين »[٤٠] .

ويتميز البغوى في تفسيره بجودة اختياره وانتخابه لنصوص الحديث التي يوردها في مطاوى التفسير ، وتحريه وحرصه على الصحيح منها ، وبعده واعراضه عن الضعيف والمنكر من الاحاديث مما لايتناسب ولا يتفق مع تفسير كتاب الله تعالى يقول البغوى في مقدمته « وما ذكرت من احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في اثناء الكتاب على وفاق آية او بيان حكم ... فهي من الكتب المسموعة للحفاظ وأئمة الحديث ، واعرضت عن ذكر المناكير وما لايليق بحال

---

(٣٨) الرعد آية ٤٣ وراجع معالم التنزيل ٣١/٤ .
(٣٨) الكهف آية ٦٥ .
(٣٩) الرحمن آية ٢ .
(٤٠) معالم التنزيل ٨/١ .

التفسير»[41] .

وقد امتدح الامام ابن تيمية البغوى في تفسيره ، وان كان مختصرا عن تفسير الثعلبي ، وذلك لان البغوى حذف منه الاحاديث الموضوعة والآراء المبتدعة[42] .

ولا غرابة ان نجد من البغوى هذه العناية الكبيرة بالحديث ، فهو ذو قدم راسخة ، وذو اهتمام اصيل بالحديث النبوى ، وقد سمع صحيح البخارى من ابي عمر عبدالواحد المليحي ، وحدث به عنه[43] كما سمع الحديث عن شيوخ آخرين منهم القاضي حسين والداودى ، والصيرفي ، والجويني وزياد الحنفي ، واحمد الكوفاني ، وحسان المنيعي ، وابو بكر الترابى ، ومحمد الشيرازى[44] .

وقد سلك البغوي طريق المحدثين في ايراده اسناد الحديث حتى الصحابي الجليل (رض) الذى روى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعله اكتفي بذكره لرجال السند واستغنى به عن تخريجه لنصوص الاحاديث النبوية الشريفة ، ولذلك فالملاحظ أنه لم يخرج الاحاديث التي ذكرها في تفسيره وان كان قد خرج البعض منها . واكتفى بالبعض الآخر ببيان درجة الحديث من الصحة والحسن وهذه نماذج لبعض الاحاديث نذكرها مع رجال السند والتخريج :

اخبرنا الامام ابو علي الحسين بن محمد بن القاضي وابو حامد احمد بن عبدالله الصالحي قالا أنا ابو بكر احمد بن حسن الحيرى أنا ابو علي محمد بن احمد بن محمد بن معقل الميداني ثنا محمد بن يحيى ثنا عبدالرزاق أنا معمر عن الزهرى عن بن المسيب عن ابي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم

---

(41) معالم التنزيل 1/8 .
(42) مجموعة الفتاوى 13/354 .
(43) التقييد (خ) 83 ب .
(44) راجع طبقات الشافعية 7/75 وطبقات المفسرين للداودى 1/157 .

قال « اذا قال الامام غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا آمين فان الملائكة تقول آمين وان الامام يقول آمين فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه » صحيح[٤٥] .

اخبرنا ابو بكر محمد بن عبدالصمد الترابي أنا الحاكم ابو الفضل محمد ابن الحسين الحدادى أخبرنا ابو يزيد محمد بن يحيى بن خالد أنا اسحاق بن ابراهيم الحنظلي ثنا يحيى بن آدم ثنا ابو الاحوص عن عمار بن ذريق عن عبدالله بن عيسى عن سعيد بن جبير عن بن عباس قال « بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده جبريل اذ سمع نقضا من فوقه فرفع جبريل بصره الى السماء فقال هذا باب فتح من السماء ما فتح قط قال فنزل منه ملك فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفا منها الا اعطيته » صحيح[٤٦] .

انا ابو عبدالله محمد بن الفضل الخرقي المروزى انا ابو الحسن علي بن عبدالله الطيسفوني انا عبدالرحمن بن ابي شريح انا عبدالله بن عمر الجوهرى انا احمد بن علي الكشمهيني انا علي بن حجر انا اسماعيل بن جعفر بن ابي كثير الهمذاني عن حميد الطويل عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو أن امرأة من نساء اهل الجنة اطلعت على الأرض لاضاءت ما بينهما ريحا ولنصفيها على رأسها خير من الدنيا وما فيها » صحيح اخرجه محمد

---

(٤٥) معالم التنزيل ١/ ٢٤ وفي الصفحة نفسها خرج حديثا اخر وقال عنه انه حسن صحيح ـ والحديث اخرجه البخارى/تفسير سورة ١ ، ٢٠ اذان١١٣ ومسلم/صلاة ٢٦ ، ٨٧ وابو داود/صلاة ١٢٨ ، ١٧٨ ، والنسائي/اقامة ٣٨ ، تطبيق ٢٣ ، ١٠١ سهو ٤٤ افتتاح ٤/٣٣ـ٣٦ ، ابن ماجة/اقامة ١٣ ، ١٤ ، والدارمي/صلاة ٣٨ ، ٧١ ، ٩٢ ، الموطأ/نداء ٤٥ ابن حنبل ٢/٢٣٣/٤٥٠ ٤/٤٠١ .

(٤٦) معالم التنزيل ١/٢٥ والحديث اخرجه مسلم/مسافرين ٢٥٤ والنسائي/ افتتاح ٢٥ .

ابن عبدالله بن محمد بن معاوية بن عمر عن ابي اسحاق عن حميد[٤٧] .

اخبرنا عبدالواحد المليحي أنا احمد بن عبدالله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا آدم ثنا شيبان عن منصور عن ابراهيم عن عبيدة عن عبدالله بن مسعود قال : « جاء حبر من الاحبار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد : انا نجد أن الله يجعل السموات على اصبع والارضين على اصبع والشجر على اصبع والماء والثرى على اصبع وسائر الخلق على اصبع فيقول انا الملك فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر ثم قرأ « وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة » ورواه مسلم ابن الحجاج عن احمد بن عبدالله بن يونس عن فضيل بن عياض عن منصور » وقال والجبال والشجر على اصبع وقال ثم يهزهن هزا فيقول أنا الملك أنا الله[٤٨].

وقد جاء عمل الامام الخازن صاحب لباب التأويل مكملا لتفسير البغوى حيث خرج الاحاديث التي وردت في التفسير ، وقد كانت جلها ان لم تكن كلها من الاحاديث الصحيحة والحسنة .. مما رويت في الكتب الستة .

لكن بعض الاحاديث القليلة لم يذكر البغوى رجال السند فيها ولعله ذكر تلك الاحاديث في موضع سابق مع رجال السند ، فلم يذكرها تجنبا للتكرار فمن ذلك :

قال : وروينا عن عطاء عن ابن عباس في قوله الا اللمم قال : قال رسول الله صلى عليه وسلم :

ان تغفر اللهم تغفر جمّا ... وأيّ عبدٍ لك لا ألما[٤٩]

---

(٤٧) معالم التنزيل ٤٢/١ والحديث اخرجه البخارى/جهاد ٦ ، الترمذى/فضائل الجهاد ١٧ وابن حنبل ١٤١/٣ ، ١٤٧ .

(٤٨) معالم التنزيل ٨٤/٦ والحديث اخرجه البخارى/توحيد ٣٦/٢٦ ، مسلم/صفة المنافقين ١٩ـ٢٠ ، حيض ٣٤ ، وابن حنبل ٤٥٧/١ .

(٤٩) معالم التنزيل ٢٦٥/٦ والحديث اخرجه الترمذى/تفسير سورة ٥٣ ، ٩

وقد ذكر البغوى سلسلة رجال السند لهذا الحديث في موضع سابق حيث قال : اخبرنا عبدالرحمن بن ابي بكر القفال أنا ابو مسعود محمد بن احمد ابن يونس الخطيب ثنا محمد بن يعقوب الاصم ثنا ابو قلابه ثنا ابو عاصم ثنا زكريا بن اسحاق عن عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس في قوله تعالى الا اللمم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ... الحديث(٥٠) .

وقال . وروينا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « يقول الله سبحانه وتعالى شتمني عبدى يقول اتخذ الله ولدا وانا الاحد الصمد لم الد ولم اولد ولم يكن لي كفوا احد »(٥١) .

وذكر سلسلة السند في موضع آخر فقال : اخبرنا عبدالواحد المليحي انا احمد بن عبدالله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا ابو اليمان انا شعيب عن الزهرى انا ابو الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال .. الحديث(٥٢) .

والامثلة على عدم ذكره لرجال السند في رواية الاحاديث كثيرة(٥٣) .

ومما يؤكد عناية الامام البغوى بالحديث النبوى الشريف الفصول التي عقدها في مقدمة تفسيره ، وضمنها نصوصا من السنة المطهرة .

فالفصل الاول : في فضائل القرآن وتعليمه ، أورد فيه سبعة أحاديث في فضل القرآن الكريم وتعليمه ، وقد ساقها سماعا عن شيوخه المليحي والترابي والسرخسي والحسين القاضي وغيرهم .

---

(٥٠) معالم التنزيل ٦/ ٨١ .

(٥١) معالم التنزيل ٥/٢٧٦ والحديث اخرجه البخارى/ تفسير سورة ١١٢/١٠١ ، ٢ ، النسائي جنائز ١١٧ وابن حنبل ٢/٣١٧ ، ٣٥٠ .

(٥٢) معالم التنزيل ٧/ ٣٢١ .

(٥٣) راجع معالم التنزيل ١/٤٤٩ ، ٢/٤٨ ، ١٩٣ ، ٢٥٤ ، ٣/١٧ ، ٥/١٥٩ ، ١٨٨ ، ٢٢٤ ، ٧/٤٦ .

وقد خرّج عددا من هذه الاحاديث فالحديث الاول اخرجه البخاري والخامس اخرجه مسلم والسادس صحيح حسن والسابع : ناقله غريب .

اما الفصل الثاني : في فضائل تلاوة القرآن فقد ساق فيه تسعة نصوص حديثية في معنى الباب وقد اتبع الطريقة نفسها بذكره لرجال سند تلك الاحاديث ، كما خرج بعضها ، فكان الحديث الاول صحيحا والثاني صحيح ما اخرجه البخاري والثالث حسن صحيح والرابع صحيح والخامس غريب والسابع صحيح .

ولم يقتصر ذكره لفضائل تلاوة القرآن على هذا الفصل ، بل اعتمد على السنة المطهرة في بيان فضل بعض سور القرآن في خاتمة تفسيره لتلك السور كما فعل في سورة الفاتحة ويس والحشر وتبارك والاخلاص[٥٤] .

اما الفصل الثالث : في وعيد من قال في القرآن برأيه من غير علم فقد اورد فيه ثلاثة احاديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم ثم بعض الآثار عن الصحابة رضي الله عنهم وهم ابو بكر الصديق وابو الدرداء ورأى شيخه الامام رحمه‌الله .

ثم أورد حديثا عن ابن مسعود (رضى) في نزول القرآن على سبعة أحرف وهكذا يكون مجموع الاحاديث التي اشتملت المقدمة عليها عشرين حديثا .

ونمثل لكل فصل بنموذج واحد من تلك الاحاديث : فالحديث الاول الذي اورده في فضل تعليم القرآن هو قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه »[٥٥] .

والحديث الاول في فضل تلاوة القرآن قوله صلى الله عليه وسلم « مثل

---

(٥٤) راجع معالم التنزيل ١/٢٤ ـ ٢٥ ، ٦/١٧ ، ٧/٧٣ ، ٧/١٢٨ ، ٧/٣٢١ .

(٥٥) اخرجه البخاري/فضائل القرآن ٢١ ، وابو داود/وتر ، الترمذي/ثواب القرآن ١٥ ، ابن ماجة/مقدمة ١٦ ، الدارمي/فضائل القرآن ٢ .

الماهر بالقرآن مثل السفرة الكرام البررة ، ومثل الذى يقرؤه وهو عليه شاق له اجران »[٥٦] .

والحديث الاول في وعيد من قال في القرآن برأيه قوله صلى الله عليه وسلم : « من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار »[٥٧] .

وتحتل نصوص الحديث النبوى والسنة المطهرة مساحة فسيحة في تفسيره، حتى يبلغ الامر به ان يعقد فصولا حديثية في مقام التدليل على المعنى المراد في تلك الآية ... وهو شغف وتعلق كبير يكشف عنه محدثا كبيرا .

ونسوق على ذلك بعض الامثلة :

ففي تفسيره لمعنى الظلم في قوله تعالى في سورة الانعام « الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ »[٥٨] يورد حديثا عن الرسول صلى الله عليه وسلم يبين معنى الظلم عن عبدالله قال : لما نزلت « الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم » شق ذلك على المسلمين فقالوا يارسول الله فاينا لايظلم نفسه ؟ فقال : ليس ذلك انما هو الشرك الم تسمعوا الى ما قال لقمان لابنه وهو يعظه « يابُنَيَّ لاتشرك بالله ان الشِّرْكَ لظُلْمٌ عظيم »[٥٩].

وفي تفسيره لمعنى القوة التي وردت في قوله تعالى من سورة الانفال

---

(٥٦) اخرجه مسلم/مسافرين ٢٤٤ ، البخارى/تفسير سورة ٨٠ ، ابو داود/وتر ١٤ ، الترمذى/ثواب القرآن ١٣ ، ابن ماجة/ادب ٥٢ ، الدارمي/فضائل القرآن ١١ .

(٥٧) اخرجه البخارى/علم ٣٨ ، جنائز ٣٣ ، مسلم/ايمان ١١٢ ، زهد ٧٢ . ابو داود/ايمان ١ ، الترمذى/فتن ٧٠ ، ادب ١٣ ، ابن ماجة مقدمة ٤ ، الدارمي/مقدمة ٢٥ ، ابن حنبل/١/٦٥ .

(٥٨) الانعام آية ٨٢ وراجع معالم التنزيل ٢/١٥٤ .

(٥٩) لقمان آية ١٣ والحديث أخرجه البخارى/انبياء ٤١ ، ابن حنبل ١/١٢٤.

« وَأعدُّوا لَهُم ما استَطَعتُم مِن قوَّةٍ »[٦٠] يورد ستة احاديث لبيان المعنى وتوضيحه ، واولها ما رواه عقبة بن عامر يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو على المنبر « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة » ألا ان القوة الرمي الا ان القوة الرمي »[٦١] اما بقية الاحاديث فهي في فضل الرمي وثوابه ، ومنها ما رواه عقبة بن عامر ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « ان الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر في الجنة ، صانعه والممد به والرامي في سبيل الله »[٦٢] .

وفي تفسيره للحساب اليسير الذى ورد في قوله تعالى « فَأَمَّا مَنْ أوتيَ كتابَهُ بيمينهِ فسوفَ يُحاسبُ حِساباً يسيراً »[٦٣] ، يسوق حديثا للرسول صلى الله عليه وسلم يبين معنى يسر الحساب وموعده ، وهو ما ورد عن عائشة (رضى) انها كانت لاتسمع شيئا لاتعرفه الا راجعت فيه حتى تعرفه وان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من حوسب عذب ، قالت عائشة : يارسول الله اوليس يقول الله عز وجل فسوف يحاسب حسابا يسيرا قالت فقال : انما ذلك العرض ولكن من نوقش في الحساب يهلك »[٦٤] .

وفي مستهل تفسيره لسورة الكوثر يسوق حديثا عن الرسول صلى الله عليه وسلم يبين فيه عنه معنى الكوثر في الآية المذكورة فيقول عن انس

---

(٦٠) الانفال آية ٦٠ وراجع معالم التنزيل ٣/٤٥ .
(٦١) اخرجه مسلم/امارة ١٦٧ ، ابو داود/جهاد ٢٣ ، الترمذى/تفسير سورة ٨ ابن ماجة/جهاد ١٩ ، الدارمي/جهاد ١٤ ، ابن حنبل ٤/١٥٧ .
(٦٢) معالم التنزيل ٣/٤٦ ، والحديث اخرجه النسائي/جهاد ٢٦ ، ٨ ، وابو داود/جهاد ٢٣ الترمذى/فضائل الجهاد ١١ ، ابن ماجة/جهاد ١٩ ، الدارمي/جهاد ١٤ .
(٦٣) الانشقاق آية ٨ وراجع معالم التنزيل ٧/٢٢٤ .
(٦٤) اخرجه البخارى/علم ٣٥ ، تفسير سورة ١،٨٤ ، مسلم/جنة ٧٩ ، ٨٠ ، ابو داود/جنائز ١ ، الترمذى/قيامة ٥ ، ابن حنبل ٦/٤٨ .

(رضي) قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين اظهرنا اذ اغفى اغفاءة ثم رفع رأسه مبتسما فقلنا ما اضحكك يا رسول الله قال : نزلت علي آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر ثم قال : اتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله اعلم قال : فانه نهر وعدنيه ربي فيه خير كثير هو حوض ترد عليه امتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم فاقول رب انه مني فيقول : ما تدرى ما احدث بعدك[٦٥] ويسوق أربعة أحاديث اخرى في وصف نهر الجنة الكوثر من لذة طعمه وطيب ريحه وبياض لونه[٦٦] .

ولكن الامر يتجاوز التفسير والبيان لمعنى الآية الى التمثيل وعرض الشواهد الكثيرة في المعنى والهدف المراد خلال آية من آيات القرآن الكريم .

ففي تفسير لمعنى التقوى التي يحققها لنا الصوم يسوق جملة من الصحيحة في فضل هذا الشهر الكريم ، وما فيه من الثواب والجزاء العظيم نذكرها تواليا مجردة من سندها الذى سمع به تلك الاحاديث[٦٧] .

١ ـ « اذا دخل رمضان صفدت الشياطين وفتحت ابواب الجنة وغلقت ابواب النار »[٦٨] .

---

(٦٥) معالم التنزيل ٧/٣٠٠ والحديث اخرجه البخارى/تفسير سورة ١٠٨ ، ١ ، رقاق٤٥ مسلم/طهارة ٣٧ ، صلاة ٥٣ ، الترمذى/قيامة ٣ ، نسائي/ افتتاح ٣١ ، ابن ماجة/مناسك ٤٠ ، الدارمى/مناسك ١٨ ، الموطأ/جهاد ٣٢ ، ابن حنبل ١/٣٩ ، ٣٠/٢٨ .

(٦٦) معالم التنزيل ٧/٣٠٢ ـ ٣٠٤ .

(٦٧) معالم التنزيل ١/١٥٧ ـ ١٨٥ وراجع أمثلة اخرى في الاحاديث التي اوردها حول قيام الليل ٤/١٧٣ ، ٥/٢٢٤ ، وحول التوبة ٦/٨٠ وحول علامات الساعة ٢/٣٢٢ ، ٥/١٥٧ ، ٦/١٧٩ .

(٦٨) اخرجه مسلم/صيام ١ ، الترمذى/صوم ١ ، النسائي/صيام ٤٣ ، ٥ ،

٢ ـ قال رسول الله صلى الله عليه : « من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من من ذنبه ومن قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه »[٦٩] .

٣ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل عمل ابن آدم يضاعف ، الحسنة بعشر امثالها الى سبع مائة ضعف قال الله تعالى الا الصوم فانه لي وانا اجزي به يدع الصائم طعامه وشرابه وشهوته من اجلي ، للصائم فرحتان فرحة عنده فطره وفرحة عند لقاء ربه ، ولخلوف فيه اطيب عند الله من ريح المسك ، الصوم جنة واذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث ولا يفسق فان سابه احد أو قاتله فليقل اني امرؤ صائم »[٧٠] .

٤ ـ .... « في الجنة ثمانية ابواب منها باب يسمى الريان لايدخله الا الصائمون »[٧١] .

٥ ـ .... « الصيام والقرآن يشفعان للعبد ، يقول الصيام اى رب اني منعته الطعام والشراب والشهوات بالنهار فشفعني فيه ، ويقول القرآن : رب

=

ابن ماجة/صيام ٢ ، الدارمي/صوم ٥٣ ، الموطأ/صيام ٥٩ ، وابن حنبل ٢٩٢/٢ ، ٣١٢/٤ ، ٤١١/٥ .

(٦٩) اخرجه البخاري/ايمان ٢٥ ، ٢٧ ، ٣٥ ، صوم ٦ ، تراويح ١ ، ليلة القدر ١ مسلم/مسافرين ١٧٣ ـ ١٧٦ ، ابو داود/رمضان ١ ، الترمذي/صوم ١ ، النسائي ١ قيام الليل ٣ ، صيام ٣٩ ، ايمان ٢١ ، ابن ماجة/اقامه ١٧٣ ، صيام ٢ ، الموطأ/رمضان ٢ ، الدارمي/صوم ٥٤ ، ابن حنبل ١٩١/١ ، ٢٣٢/٢ ، ٣١٨/٥ .

(٧٠) اخرجه البخاري/صوم ٢ ، توحيد ٣٥ ، مسلم/صيام ١٦٤ ، النسائي/صيام ٤٢ ، ابن ماجة/صيام ١ ، الموطأ/صيام ٥٨ ، ابن حنبل ٢٦٦/٢ ، ٤٠/٣ ، الترمذي/صوم ٥٥ ، الدارمي/صوم ٥٠ .

(٧١) اخرجه البخاري في بدء الخلق ٩ .

اني منعته النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان »[72] .

وفي مقام رعاية الحقوق والوفاء بها ، وعلى رأس ذلك بر الوالدين يسوق احاديث نبوية كثيرة تكشف عن الواجبات والتكاليف الشرعية تجاه الوالدين يقدم ذلك كله خلال تفسيره لقوله تعالى : « وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا الاَّ ايَّاهُ وبالوالدينِ احساناً ، امَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الكِبَرَ أحدُهُما أو كِلاهُما فلا تَقُلْ لهما أُفٍ ولا تنهرْهُما وقلْ لهُما قولاً كريماً ، وَاخفضْ لَهُما جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحمَةِ وَقُل رَّبِّ ارحَمهُما كما رَبَّيَاني صَغيراً »[73] . وأما الاحاديث فهي[74] :

١ ــ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الوالد اوسط ابواب الجنة فاحفظ ان شئت أو ضيع »[75] .

٢ ــ ... « رضا الله في رضا الوالد وسخط الله في سخط الوالد »[76] .

٣ ــ ... « لايدخل الجنة منان ولا عاق ولا مدمن خمر »[77] .

٤ ــ ... « رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ، ورغم أنف رجل اتى عليه شهر رمضان فلم يغفر له ، ورغم أنف امرىء ادرك أبويه الكبر فلم يدخلاه الجنة »[78] .

ومثل ذلك صنع الامام البغوى للتدليل على أهمية صلة الرحم والبر

---

(٧٢) اخرجه ابن حنبل ٢/١٧٤ .

(٧٣) الاسراء ٢٣ .

(٧٤) معالم التنزيل ٤/١٥٥ ، وراجع مثالا اخر في الاحاديث التي ساقها في معنى الحمد والشكر لله ٤/١٩٠ .

(٧٥) اخرجه ابن حنبل ٥/١٩٨ .

(٧٦) اخرجه الترمذى/بر ٣ .

(٧٧) اخرجه الترمذى/بر ٤١ ، النسائي/اشربه ٤٦ ، الدارمي/اشربه ٥ ، ابن حنبل ٢/٦٩ .

(٧٨) اخرجه مسلم/بر ٨ ، الترمذى/دعوات ١٠٠ ، ابن حنبل ٢/٢٥٤ .

بالاقارب وذوي الرحم ، فحين يفسر قوله تعالى « والذين يصلون ما أمر الله به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب ...»[79] يذكر ان المقصود هم الاقارب والارحام ثم يسوق مجموعة من الاحاديث في هذا المقام وهي[80] :

١ – قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه عز وجل : « انا الله وانا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته »[81] .

٢ – ... « خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فاخذت بحقوى الرحمن فقال مه قالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال الا ترضين ان أصل من وصلك واقطع من قطعك ، قالت : بلى يا رب قال فذاك لك »[82] .

٣ – ثلاثة تحت العرش يوم القيامة القرآن يحاج العباد له ظهر وبطن ، والامانة والرحم تنادي الا من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله »[83] .

٤ – ... « من احب ان يبسط له في رزقه وينسأ له في اثره فليصل رحمه »[84] .

---

(٧٩) الرعد آية ٢١ .

(٨٠) معالم التنزيل ٤/١٧ وراجع احاديث اوردها عن خلق الرسول ٧/١٣٠ – ١٣٢ واحاديث في فضل ليلة القدر ٧/٢٤٧ .

(٨١) اخرجه البخاري/ادب ١٣ ، ابو داود/زكاة ٤٥ ، الترمذي/بر ٩ ، ابن حنبل ٢/١٦٠ ، ١٩٤ .

(٨٢) اخرجه البخاري/تفسير سورة ٤٧ ، ادب ٣ ، مسلم/بر ١٦ ، ابن حنبل ٢/٣٣٠ ، ٣٨٣ .

(٨٣) اخرجه مسلم/بر ١٧ .

(٨٤) اخرجه البخاري/ادب ١٢ ، بيوع ١٣ ، مسلم/بر ٢٠ ، ٢١ ، ابو داود/ زكاة ٤٥ .

٥ - ••• « ما من ذنب أحرى أن يجعل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم »[٨٥] .

٦ - ••• « لايدخل الجنة قاطع »[٨٦] .

٧ - ••• « ان اعرابيا عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير له فقال : اخبرني بما يقربني من الجنة ويباعدني من النار قال صلى الله عليه وسلم : « تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم »[٨٧] .

٨ - ••• « ليس الواصل بالمكافي ولكن الواصل الذي اذا قطعت رحمه وصلها »[٨٨] .

وعند تفسيره لآخر سورة الشعراء وشرحه قول الله تعالى : « والشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُم الغَاوونَ ألمْ تَرَ أنَّهم في كلِ وادٍ يَهيمونَ وانهم يقولون ما لا يفعلون »[٨٩] يورد بيانا لمعنى هذه الآية وتوضيحا لموقف الاسلام من الشعر مجموعة من الاحاديث النبوية الشريفة تكشف عن موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من الشعر[٩٠] :

١ - قال صلى الله عليه وسلم « لان يمتلىء جوف احدكم قيحا حتى يريه خير من ان يمتلأ شعرا »[٩١] .

(٨٥) اخرجه الترمذي/قيامة ٥٧ ، ابن ماجة زهد ٢٣ ، ابن حنبل ٥/٢٦ .
(٨٦) اخرجه مسلم/بر ١٨ ، ١٩ ، ابن حنبل ٢/٤٨٤ .
(٨٧) اخرجه البخاري/زكاة ١ ، ادب ١٠ ، مسلم/ايمان ١٢ ، ١٤ ، النسائي/ صلاة ١٠ ، ابن حنبل ٥/٤١٧ ، ٤١٨ .
(٨٨) اخرجه البخاري/ادب ١٥ ، ابو داود/زكاة ٤٥ ، الترمذي/بر ١٠ ، ابن حنبل ٢/١٦٣ .
(٨٩) الشعراء آية ٢٢٤ - ٢٢٥ .
(٩٠) راجع معالم التنزيل ٥/٣٠ .
(٩١) اخرجه البخاري/ادب ٩٢ ، مسلم/شعر ٧ ، ابو داود/ادب ٨٧ ، الترمذي أدب ٧٦ ، ابن ماجة ادب ٤٢ .

٢ ـ ... « ان المؤمن من يجاهد بسيفه ولسانه والذى نفسي بيده لكأنما ترمونهم به نضح النبل »[٩٢] .

٣ ـ ... « ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة سمرة القضاء وابن رواحه يمشي بين يديه ويقول :

خلوا بني الكفار عن سبيله   اليوم نضربكم على تنزيله

ضربا يزيل الهام عن مقيله   ويذهل الخليل عن خليله

فقال له عمر يا ابن رواحه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حرم الله تقول الشعر فقال النبي صلى الله عليه وسلم خل عنه يا عمر فلهى اسرع فيهم من نضح النبل »[٩٣] .

٤ ـ ... « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان « اهجهم او هاجهم وجبريل معك »[٩٤] .

٥ ـ ... « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع لحسان بن ثابت منبرا في المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلى الله علية وسلم او ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله يؤيد حسان بروح القدس ما ينافح او يفاخر عن رسول الله »[٩٥] .

ب ـ حرصه على المأثور من التفسير[٩٦] :

جاء تفسير الامام محيي السنة البغوي « معالم التنزيل » ـ فضلا عن

---

(٩٢) أخرجه ابن حنبل ٣٨٧/٦ .

(٩٣) أخرجه الترمذى/أدب ٧٠ ، النسائي/مناسك ١٠٩ .

(٩٤) أخرجه البخارى/ابدء الخلق ٦ مغازى ٣٠ ، ادب ٩١ ، مسلم/فضائل الصحابة ١٥٣ ، ابن حنبل ٢٨٦/٩ .

(٩٥) اخرجه الترمذى/ادب ٧٠ .

(٩٦) المراد بالمأثور في هذا الفصل ما أثر عن الصحابة والتابعين فـي تفسير

اعتماده على الكتاب والسنة اعتمادا ظاهرا ـ معتمدا على المأثور من تفسير الصحابة والتابعين (رضي الله عنهم اجمعين) ، وهو اعتماد يكاد يكون مطلقا لاحدود له .. ومقدمة تفسيره تكشف لنا بوضوح عن اتجاهه النقلي في تفسير آيات كتاب الله ، فمصادر تفسيره ـ في المقام الاول ـ كتب التفسير بالمأثور ، وذلك ما ذكرناه ووضحناه بصورة مفصلة في الفصل المخصص لمصادره في التفسير ، وقد بلغت مصادره في المأثور والاختيار خمسة عشر مصدرا ، وهي لابن عباس ومجاهد بن جبر المالكي ، وعطاء بن ابي رباح ، والحسن البصرى وقتادة وابي العالية ، والقرظي ، وزيد بن اسلم والكلبي والضحاك ومقاتل بن حيان وابن سليمان والسدى ، ووهب بن منبه ومحمد ابن اسحق .

وقد ساق في المقدمة طرق السند التي تلقى بها تلك التفاسير المعتبرة فاستغنى بذلك عن تكرار تلك الطرق خلال التفسير ، كما نص على ان اكثر تلك التفاسير مما اخبره به الشيخ ابو سعيد احمد بن محمد الشريحي الخوارزمي فيما قرأه عليه عن الاستاذ ابي اسحق احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي عن شيوخه .

والملاحظ على بعض تلك الطرق التي تلقى بها تفاسير الصحابة (رضي) انها ضعيفة واهية ليست معتبرة او معتمدة لدى علماء الجرح والتعديل :ـ كما بالنسبة للطريق الثاني في تفسير ابن عباس عن ابن عطية سعد العوفي عن عمه عن ابيه عن جده عطية فهي غير مرضية لان عطية ضعيف ليس بواه[٩٧] . وكذلك بالنسبة لتفسير زيد بن اسلم لانه من تفاسير ضعفاء التابعين عن طريق

القرآن الكريم ولذلك فصلنا بينه وبين المأثور من القرآن والسنة وان كان ذلك كله من المأثور ..

(٩٧) التفسير والمفسرون للذهبي ١/ ٨٠ ، الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير لابي شهبة ص٢١٦ .

ابنه عبدالرحمن وهو من الضعفاء[٩٨] .

ولكن اكثر تلك الطرق جيدة وحسنة وصالحة في النقل عن هؤلاء الصحابة (رضي) : كما بالنسبة للطريق الاول لتفسير ابن عباس وهي عن معاوية بن صالح عن علي بن ابي طلحة الوالبي فهي اجود الطرق عنه قال الامام احمد : « وان فى مصر صحيفة في التفسير رواها علي بن ابي طلحة لو رحل رجل فيها الى مصر قاصدا ما كان كثيرا » ، وقد اعتمد عليها البخارى في صحيحه[٩٩] .

وكذلك بالنسبة للطريق الثالث في تفسير ابن عباس ما اخذ عن عكرمة بطريق الحسن بن واقد النحوى فهي جيدة واسناده حسن[١٠٠] .

وكذلك بالنسبة لتفسير مجاهد عن طريق ابن ابي نجيح ، فالطريق الى ابن ابي نجيح قوية[١٠١] .

وكذلك بالنسبة لتفسير مقاتل بن حيان فهو صدوق فى المرتبة الرابعة عند بعض العلماء[١٠٢] .

ومثل ذلك بالنسبة لتفسير مقاتل بن سليمان فقد ورد عن الشافعي ان تفسيره صالح (يعني للاحتجاج به) وقال فيه : قاتله الله لما اشتهر عنه التجسيم[١٠٣] .

---

(٩٨) الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص٢١٦ .

(٩٩) الاتقان للسيوطي ٢/٨٨ ، التفسير والمفسرون ١/٧٧ ، الاسرائيليات واثرها في كتب التفسير لرمزى نعناعة ص١٢٥ .

(١٠٠) التفسير والمفسرون ١/٧٩ ، الاسرائيليات واثرها في كتب التفسير ص١٣٠

(١٠١) الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص٢١٢ .

(١٠٢) الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص٢١٦ .

(١٠٣) الاتقان ٢/١٨٨ ، الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص٢١١، ٢١٦ .

وعلى النحو نفسه نجد تفسير السدى الذى رواه اسباط فهو وان لم يتفقوا عليه غير أن من امثل التفاسير تفسير السدى[١٠٤] .

ومعالم التنزيل وان كانت بعض مباحثه تتصل بموضوعات العقيدة والاحكام الفقهية ، كما انه يعنى بمسائل العربية والنحو واللغة لكنه بالدرجة الاولى يعتبر من كتب التفسير بالمأثور ، وذلك لغلبة هذا الجانب عليه ، فنحن لانكاد نجد آية من القرآن فسرها الامام البغوى الا أورد خلال تفسيره لها آراء الصحابة الاجلاء (رضي الله عنهم) ، ومن هنا اعتبر تفسيره القدماء والدارسون المحدثون اقرب الى التفسير بالمأثور .. فحاجي خليفة يقول عنه : « نقل فيه عن مفسري الصحابة والتابعين ومن بعدهم »[١٠٥] واعتبر تفسيره الشيخ الزرقاني من التفسير بالمأثور[١٠٦] والدكتور محمد حسين الذهبي يذكر في وصف « معالم التنزيل » أنه « ينقل ما جاء عن السلف في تفسيره ، وذلك بدون ان يذكر السند »[١٠٧] .

ولكن نقله عن السلف لم يكن طريقه ومسلكه الوحيد في تفسيره ومن اجل ذلك قال الدكتور محمد محمد ابو شهبة عن تفسيره بانه « ليس خالصا للتفسير بالمأثور ، بل جمع فيه بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأى والاجتهاد المقبول »[١٠٨] فهو وسط بين كتب التفسير بالمأثور نحو تفسير ابن جرير الطبرى والدر المنثور للسيوطي ، وكتب التفسير بالرأي والمعقول والاجتهاد .

وجاء هذا الوصف كذلك من قبل الدكتور رمزى نعناعة والدكتور منيع

---

(١٠٤) الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص٢١١ .
(١٠٥) كشف الظنون ٢/٦ ١٧٢ .
(١٠٦) مناهل العرفان للزرقاني ١/٤٩٨ .
(١٠٧) التفسير والمفسرون ١/٢٣٦ .
(١٠٨) الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص١٨٠ .

عبدالحليم محمود ، والدكتور عبدالله محمود شحاته[١٠٩] .

وهكذا نخلص الى ان كتابة « معالم التنزيل » من الكتب المعتبرة في التفسير بالمأثور ، وان لم يكن خالصا للتفسير بالمأثور ..

ونسوق بعض الامثلة للتدليل على هذا الاتجاه الغالب على تفسير الامام البغوى ، وهو حرصه في تفسيره على المأثور ..

فمن ذلك انه في بيانه لمعنى الصراط المستقيم يوضح ذلك خلال آراء السلف : قال ابن عباس وجابر هو الاسلام ، وهو قول مقاتل ، وقال ابن مسعود هو القرآن ، وروي عن علي مرفوعا « الصراط المستقيم » كتاب الله ، وقال سعيد بن جبير طريق الجنة ، وقال سهل بن عبدالله طريق السنة والجماعة ، وقال بكر بن عبدالله المزنى ، طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال ابو العالية والحسن ، رسول الله وآله وصاحباه . وكذلك يصنع فى بيانه لمعنى « الذين أنعمت عليهم » فيورد فهم وتفسير عكرمة وابن عباس ، وعبدالرحمن ، وأبي العالية ، وعبدالرحمن بن زيد ، وشهر بن حوشب[١١٠] .

والحقيقة ان للتفسير بالمأثور اهمية كبيرة في فهم المراد من آيات كتاب الله تعالى ، لانه يعرض لنا فهم الصحابة الكرام (رضى) لهذه الآيات ، خاصة وان القرآن انزل فيهم ، وان الرسول المبلغ والمبين له كان بين ظهرانيهم .. ومثل ذلك من الاهمية لاراء التابعين الذين تلقوا القرآن الكريم عن الرعيل الاول من الصحابة الكرام ..

وتتجلى اهمية التفسير بالمأثور في بعض آيات كتاب الله التي لاسبيل الى

---

(١٠٩) راجع كتب الاساتذة توالياً الاسرائيليات واثرها في كتب التفسير ص٢٦٢ مناهج المفسرين لمنيع عبدالحليم ص١٣٣ ، تاريخ القرآن والتفسير لعبدالله شحاته ص٧٧ .

(١١٠) معالم التنزيل ٢٣/١ .

فهمها دون فهم الصحابة (رضي) ، وذلك كما في الحروف المقطعة التي استهلت بها بعض سور القرآن الكريم .

وهذا ما اختاره الامام البغوى في تفسيره لاول البقرة اذ اورد في ذلك رأى الشعبي والصديق وعلي وابن عباس والربيع بن انس ومحمد بن كعب، وسعيد بن جبير ، وقتاده ومجاهد وابن زيد[111] .

وكذلك يتجه البغوى الى التفسير بالمأثور في فهم الآيات الكونية التي لم يكن لدى القدماء تعليل علمي واضح لها وانما ادركوا الظاهر منها كالبرق والرعد والامطار والانواء فيورد رأي بعض الصحابة مثل علي وابن عباس ، وبعض التابعين كمجاهد وشهر بن حوشب وذلك في تفسيره لقوله تعالى « أو كَصَيِّبٍ مِنَ السَّماءِ فيهِ ظُلُماتٌ وَرَعدٌ وَبَرقٌ »[112] .

ومن التفسير بالمأثور ما اورده الامام البغوى في سبب نزول قوله تعالى « تَتَجافى جُنوبهم عَنِ المضاجعِ »[113] وفي بيانه لمعنى مجافاة المضاجع يورد اقوالا عدة ، عن انس وابن عباس ، وابي الدرداء وابي ذر وعبادة بن الصامت وابي حازم ، ومحمد بن المنكدر قال البغوى « واختلفوا في المراد بهذه الآية قال انس نزلت فينا معشر الانصار كنا نصلي المغرب فلا نرجع الى رحالنا حتى نصلي العشاء مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وعن انس ايضا قال : نزلت في اناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يصلون من صلاة المغرب الى صلاة العشاء ، وهو قول ابي حازم ومحمد بن المنكدر وقالا هي صلاة الاوابين ، وروى عن ابن عباس (رضى) قال : ان الملائكة لتحف بالذين يصلون بين المغرب والعشاء وهي صلاة الاوابين وقال عطاء : هم الذين

(111) معالم التنزيل ١/٢٦ ، وراجع في الحروف المقطعة ايضا ٣/١٧٢ ، ٤/٢٣٨ .

(112) راجع معالم التنزيل ١/٣٧ والاية ١٩ من سورة البقرة .

(113) السجدة آية (١٦) .

لاينامون حتى يصلوا العشاء الآخرة ، وعن ابي الدرداء وابي ذر وعبادة بن الصامت ثم الذين يصلون العشاء الآخرة والفجر في جماعة(١١٤) .

وفي تفسير البغوى لمعنى الامانة التي جاءت في قوله تعالى « انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال ... » الآية يورد سبعة اقوال للصحابة والتابعين رضي الله عنهم وهو لاشك من التفسير بالمأثور فيقول : اراد بالامانة الطاعة والفرائض التي فرضها الله وهذا قول ابن عباس ، وقال ابن مسعود : الامانة اداء الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت و .. و .. واشد من هذا كله الودائع ، وقال مجاهد الامانة : الفرائض وحدود الدين ، وقال ابو العالية : ما أمروا به ونهوا عنه ، وقال زيد بن اسلم هو الصوم والغسل من الجنابة وما يخفى من الشرائع وقال عبدالله بن عمرو بن العاص « اول ما خلق الله من الانسان فرجه ، وقال هذه امانة استودعكها فالفرج امانة والاذن امانة ... وقال بعضهم هي امانات الناس والوفاء بالعهود وهي رواية الضحاك عن ابن عباس(١١٥) .

وكذلك يستعين بالمأثور من التفسير في بيان معنى اللمم الذى ورد في قوله تعالى «الذّينَ يجتنبونَ كبائرَ الاثمِ والفواحِشَ الاّ اللّممَ»(١١٦) فيورد قول ابي هريرة ومجاهد والحسن ، ورواية عطاء عن ابن عباس وهو ان معنى الآية « الا ان يلم بالفاحشة مرة ثم يتوب ، ويقع الوقعة ثم ينتهى . ثم يذكر اقوالا اخرى : قال عبدالله بن عمرو بن العاص : اللمم ما دون الشرك ، وقال السدى : قال ابو صالح : سئلت عن قول الله تعالى الا اللمم فقلت هو الرجل يلم بالذنب ثم لايعاوده(١١٧) .

---

(١١٤) راجع معالم التنزيل ٥/٢٢٣ ، ٢٢٤ .
(١١٥) راجع معالم التنزيل ٥/٢٧٩ .
(١١٦) النجم آية ٣٢ .
(١١٧) راجع معالم التنزيل ٦/٢٦٥ .

ويعتمد على المأثور في بيان معنى الماعون الذى يمنعه بعض المصلين ، روى عن علي (رض) انه قال هي الزكاة وهو قول ابن عمرو الحسن وقتاده والضحاك وقال عبدالله بن مسعود : الماعون الفاس والدلو والقدر واشباه ذلك ، وهي رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس قال مجاهد الماعون : العارية وقال عكرمة : اعلاها الزكاة المعروفة وادناها عارية المتاع ، وقال محمد بن كعب والكلبي : الماعون المعروف الذى يتعاطاه الناس فيما بينهم[١١٨] .

ونكتفي بهذه الامثلة السابقة في التدليل على اعتماد الامام البغوى على المأثور في تفسيره ، وهو اعتماد ظاهر في السور كلها ، وان كان هذا لايعني ان تفسيره اقتصر على المأثور من التفسير بل يستعين في فهم الآية باللغة العربية والمعقول من الاجتهاد .

وقد جرد البغوى تفسيره المأثور من رجال السند اختصارا لانه ذكر طرقه في مقدمة التفسير ، ولكننا نجد اسماء اخرى لم يذكرها في مقدمته ، فقد وردت بعض الاراء في تفسير الآيات عن جماعة من الصحابة والتابعين لم تذكر اسماؤهم ولا طرق روايته عنهم في مقدمته التي استهل بها تفسيره فمن هؤلاء :

الربيع بن أنس[١١٩] وابن مسعود[١٢٠] وعكرمة[١٢١] وابراهيم النخعي[١٢٢] والشعبي[١٢٣] وسعيد بن جبير[١٢٤] ، وابن جريج[١٢٥] ، وابراهيم بن ادهم[١٢٦] وغيرهم ...

كما انه احيانا لايذكر الاسماء ويكتفي بان يقول قال اكثر المفسرين او

(١١٨) راجع معالم التنزيل ٧/ ٣٠٠ .
(١١٩) راجع معالم التنزيل ١/ ٢٦ ، ٤١ ، ٤٧ .
(١٢٠) راجع معالم التنزيل ١/ ٤٩ .
(١٢١) راجع معالم التنزيل ٧/ ٣٠٠

قال سائر المفسرين ، او قال اهل التفسير[127] او قيل كذا وكذا[128] .

وكذلك فقد روى عمن ذكر اسانيده اليهم باسناد آخر غير الذى ذكره فى مقدمته ، كما فعل في بعض ما نقله عن ابن عباس (رضى) حيث روى عنه بطرق اخرى غير التي ذكرها في مقدمته[129] .

ج – بعده عن البدع وقلة الاسرائيليات والموضوعات :

الاسرائيليات[130] جمع اسرائيلية – نسبة الى بني اسرائيل أبناء يعقوب (عليه السلام) ومن تناسلوا فيما بعد – وهي قصة او حادثة تروى عن مصدر اسرائيلي .

ومصادر معارف بني اسرائيل وثقافتهم من التوراة والتلمود والتاريخ والقصص والمواعظ والاساطير والخرافات .

وقد اتسعت دلالة الاسرائيليات فشملت اللون النصراني كذلك ، بل اطلقها البعض على جميع العقائد غير الاسلامية ، وخاصة ما دسه اليهود والنصارى في الدين الاسلامي منذ القرن الاول .

وهكذا نأخذ بالمفهوم الواسع للاسرائيليات بحيث يشمل كل دخيل على

---

(١٢٢) راجع معالم التنزيل ١/٤١ ، ٤٥٨ .
(١٢٣) راجع معالم التنزيل ١/٤٥٧ .
(١٢٤) راجع معالم التنزيل ٤/٦ .
(١٢٥) راجع معالم التنزيل ١/٢٩ .
(١٢٦) راجع معالم التنزيل ١/٥٠ .
(١٢٧) راجع معالم التنزيل ١/٤٨ ، ٤٥٦ ، ٤٦٦ ، ٤/٦ .
(١٢٨) راجع معالم التنزيل ١/٣٣ ، ٤/٥ .
(١٢٩) راجع معالم التنزيل ٢/٤١ ، ٣/٥٦ ، ٢٩٢ ، ٧/٣٠١ .
(١٣٠) راجع التفسير والمفسرون ١/١٦٥ ، الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص٥١ ، الاسرائيليات واثرها في كتب التفسير ص٧١ .

التفسير ، ولو كان مرويا عن مصدر غير اسرائيلي او متعلقا بقصص غير اسرائيلي •

والاسرائيليات انواع •• فمنها ما هو صحيح في سنده ومتنه[131] ، ومنها ما هو ضعيف في السند[132] ، ومنها ما هو ضعيف في المتن[133] ، ومنها ما هو موضوع ومختلف ومصنوع[134] •

والاسرائيليات تدخل من حيث موضوعها في العقائد والاحكام الشرعية والمواعظ والقصص ، ومنها ما يوافق شرعنا ، ومنها ما لايوافق شرعنا ، ومنها ما هو مسكوت عنه •

وحكم الاخذ بالاسرائيليات الجواز للرواية التي يصدقها الشارع مما شهد له بالصحة ، والرد لما يكذبه الشارع لمخالفته ما عندنا ، وجواز رواية ما سكت عنه وحكايته ، فلا نؤمن به ولا نكذبه •• وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود الى امر ديني[135] •

وقد اعتمد اهل التفسير في حكاية اقاويل اهل الكتاب على قول الرسول صلى الله عليه وسلم الذى اباح به ذلك حيث قال : « بلغوا عني ولو آية ، وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج ، ومن كذب علي معتمدا فليتبوأ مقعده من النار » رواه البخاري •

ولكن هذه الاحاديث الاسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد كالذى يرد في اسماء اصحاب الكهف ، ولون كلبهم وعدتهم ، وعصا موسى من أى

---

(١٣١) راجع ما ورد في قوله تعالى « يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا » تفسير ابن كثير ٢/٢٥٣ ، صحيح البخارى ٦/١٦٩ •

(١٣٢) راجع ما رواه الطبرى عن الملائكة وتفسيره ١/٣٤٤ •

(١٣٣) راجع ما نبه اليه ابن كثير في تفسيره عن « هاروت وماروت » ١/١٣٨ •

(١٣٤) راجع ما نبه اليه ابن كثير في تفسيره عن « بناء بيت المقدس » ٣/٢٥ •

(١٣٥) راجع مقدمة في اصول التفسير ص١٠٠ وراجع الاسرائيليات في كتب التفسير ص٧١ ـ ١٠٥ •

الشجر كانت ، وأسماء الطيور التي احياها الله تعالى لابراهيم ٠٠ الى غير ذلك مما ابهمه الله تعالى في القران مما لا فائدة من تعيينه تعود على المكلفين في دنياهم ولا دينهم[١٣٦] ٠

وقد شحنت كتب التفسير بالمأثور وابتليت بالاحاديث الاسرائيلية ، ولا شك أن المحذور منها هو النوع الثاني مما يكذبه الشارع بما عندنا مما يخالفه ٠٠

وقد اشتمل تفسير معالم التنزيل للامام البغوى على نقول كثيرة من الاسرائيليات فمن ذلك ما اورده في قصة « هاروت وماروت » حيث يقول : « وكانت قصتهما على ما ذكر ابن عباس والمفسرون ان الملائكة رأوا ما يصعد الى السماء من اعمال بني آدم الخبيثة في زمن ادريس عليه السلام فعيروهم وقالوا هؤلاء الذين جعلتهم في الارض خليفة واخترتهم فهم يعصونك فقال الله تعالى لو انزلتكم الى الارض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لارتكبتم مثل ما ارتكبوا فقالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نعصيك قال الله تعالى فاختاروا ملكين من خياركم اهبطهما الى الارض فاختاروا هاورت ومازوت وكانا من اصلح الملائكة واعبدهم ٠

وقال الكلبي قال الله تعالى لهم اختاروا ثلاثة فاختاروا عزا وهو هاروت وعزايا وهو ماروت غير اسمهما لما قارفا الذنب ، وعزرائيل فركب الله فيهم الشهوة واهبطهم الى الارض وأمرهم ان يحكموا بين الناس بالحق ونهاهم عن الشرك والقتل بغير الحق والزنا وشرب الخمر ، فاما عزرائيل فانه لما وقعت الشهوة في قلبه استقبل ربه وسأله ان يرفعه الى السماء فأقاله فسجد اربعين سنة لم يرفع رأسه ولم يزل بعد ذلك مطأطئا رأسه حياء من الله تعالى ، وأما الاخران فأنهما ثبتا على ذلك وكانا يقضيان بين الناس يومهما فأذا أمسيا ذكرا

---

(١٣٦) راجع مقدمة في اصول التفسير ص١٠٠ ٠

اسم الله الاعظم وصعدا به الى السماء • قال قتادة : فما مر عليهما شهر حتى افتتنا قالوا جميعا وذلك أنه اختصم اليهما ذات يوم الزهرة وكانت من اجمل النساء ، قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه وكانت من اهل فارس وكانت ملكة في بلدها ، فلما رآياها اخذت بقلوبهما فراوداها عن نفسها فأبت وانصرفت ثم عادت في اليوم الثاني ففعلا مثل ذلك فأبت وقالت لا الا أن تعبدا ما اعبد وتصليا لهذا الصنم وتقتلا النفس وتشربا الخمر فقالا لاسبيل الى هذه الاشياء فان الله تعالى قد نهانا عنها فأنصرفت ثم عادت في اليوم الثالث ومعها قدح من خمر وفي أنفسهما من الميل اليها ما فيها فراوداها عن نفسها فعرضت عليهما ما قالت بالامس فقالا : الصلاة لغير الله عظيم وقتل النفس عظيم واهون الثلاثة شرب الخمر فشربا فانتشيا ووقعا بالمرأة فزنيا فلما فرغا رآهما انسان فقتلاه • قال الربيع بن انس وسجدا للصنم فمسخ الله الزهرة كوكبا • وقال بعضهم جاءتهما امرأة من احسن الناس تخاصم زوجا لها فقال : احدهما للاخر هل سقط في نفسك مثل الذى سقط في نفسي قال : نعم فقال وهل لك أن تقضي لها على زوجها فقال له صاحبه أما تعلم ما عند الله من العقوبة والعذاب فقال له صاحبه اما تعلم ما عند الله من العفو والرحمة فسألاها عن نفسها فقالت لا الا أن تقضيا لي على زوجي فقضيا لها ثم سألاها نفسها فقالت : لا الا أن تقتلاه فقال احدهما اما تعلم ما عند الله من العقوبة والعذاب فقال له صاحبه أما تعلم ما عند الله من العفو والرحمة فقتلاه ثم سألاها نفسها فقالت لا الا ان لنا صنما نعبده ان انتما صليتما معي عنده فعلت فقال احدهما لصاحبه مثل القول الاول وقال صاحبه مثله فصليا معها فمسخت شهابا قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه والكلبي والسدى انها قالت لهما لن تدركاني حتى تخبراني بالذى تصعدان به الى السماء فقالا باسم الله الاكبر قالت فما انتما بمدركي حتى تعلمانيه فقال احدهما لصاحبه علمها فقال اني اخاف الله ، قال الاخر فأين رحمة الله تعالى فعلماها ذلك فتكلمت به وصعدت الى السماء فمسخها الله كوكبا • وذهب بعضهم الى انها هي الزهرة بعينها وانكر الآخرون

هذا وقالوا ان الزهرة من الكواكب السبعة السيارة التي اقسم الله بها فقال ، « فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس » والتي فتنت هاروت وماروت امرأة كانت تسمى الزهرة لجمالها فلما بغت مسخها الله تعالى شهابا • قالوا فلما أمسى هاروت وماروت بعدما قارفا الذنب هما بالصعود الى السماء فلم تطاوعهما اجنحتهما فعلما ما حل بهما فقصدا ادريس النبي عليه السلام فأخبراه بأمرهما وسألاه ان يشفع لهما الى الله عز وجل وقالا له انا رأيناك يصعد لك من العبادات مثل مايصعد لجميع اهل الارض فاستشفع لنا الى ربك ففعل ذلك ادريس عليه السلام فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا اذ علما أنه ينقطع فهما ببابل يعذبان(١٣٧) •

ثم يذكر البغوى بعد ذلك نوع العذاب الذى عوقبا به ، ويسوق ذلك عن ابن مسعود ، وابن ابي رباح وقتادة ومجاهد وعمر بن سعد •

وبالطبع فقد اورد غير البغوى هذه القصص عن الملكين هاروت وماروت ومنهم الطبرى والسيوطي ، بل ذكرت غرائب اخرى حولهما لم يوردها البغوى •• بل تجاوز الامر حده حين نسبت بعض هذه الاخبار الى الرسول صلى الله عليه وسلم(١٣٨) •

ولاشك ان تلك الاخبار موضوعة مهما بلغت في سندها ، وقد نص أئمة الحديث على ذلك ومنهم ابن الجوزى والشهاب العراقي والقاضى عياض(١٣٩) •

وحكم الحافظ ابن كثير بالوضع على المرفوع من هذه الاخبار ، اما ما ليس مرفوعا فمنشؤه الاسرائيليات قال : « ورفع مثل هذه الاسرائيليات الى

---

(١٣٧) راجع معالم التنزيل ١/٨٩ •

(١٣٨) راجع تفسير الطبرى ١/٣٦٢ ـ ٣٦٧ ، الدر المنثور للسيوطي ١/٩٧ ـ ١٠٣

(١٣٩) راجع اللآلىء المصنوعة ١/٨٢ ، روح المعاني للالوسي ١/٣٤١

النبي كذب واختلاق الصقه الزنادقة أهل الكتاب زورا وبهتانا »[١٤٠] .

ويناقش الدكتور ابو شهبة هذه الروايات من الناحيــة العقلية ، فيرى انها غير مسلمة ، فالملائكة معصومون عن مثل هــذه الكبائر التي تصدر عــن عربيد ، كما ورد في بعض الروايات .. رد لكلام الله .. ورد كلام كفره .. ثم كيف ترفع الفاجرة الى السماء وتصير كوكبا مضيئا .. »[١٤١] .

كما يناقش بعض العلماء الذين مالوا الى ثبوت هذه الروايات فيرى ان كون بعض اسانيدها صحيحة وحسنة لاينفي كون مـرجعها ومخرجها مـن اسرائيليات بني اسرائيل وخرافاتهم « وان كونها صحيحة في نسبتها لاينافي كونها باطلة في ذاتها »[١٤٢] .

والحقيقة ان الامام البغوى لو لم يتابع المفسرين في نقل هذه الاسرائيليات والاخبار الموضوعة لكان خيرا له ، خاصة وان فيما ذكره عن الملكين قبل ذلك مغنى عن تلك الاراء والاخبار فقد قال : « إن الله تعـالى امتحن الناس بالملكين في ذلك الوقت فمن شقي يتعلم السحر منهما فيكفر به ، ومن سعد بتركـه فيبقى على الايمان ويزداد المعلمان بالتعليم عذابا ، ففيه ابتلاء للمعلم والمتعلم ، ولله ان يمتحن عباده بما شاء فله الامر والحكم »[١٤٣] .

ومن الامثلة تلك الاسرائيليات التي ذكـرها في تفسيره ما اورده فـي وصف الدابة التي ذكـرت فـي قوله تعـالى « وَاذا وَقَعَ القولُ عَلَيْهِم أخرجْنَا لهُمْ دابةً مِنَ الأرضِ تُكلمُهُم أنَّ النـاسَ كانـوا بآياتنـا لايوقنونَ »[١٤٤] . يروى عن علي رضي الله عنه قوله « ليست بداية لها ذنب

---

(١٤٠) تفسير ابن كثير ١/٢٥٤ ، وراجع البداية والنهاية ١/٣٧ .
(١٤١) الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص٢٢٩ .
(١٤٢) الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص٢٣٠ .
(١٤٣) راجع معالم التنزيل ١/٨٨ .
(١٤٤) سورة النمل آية ٨٢ .

ولكن لها لحية كأنه يشير الى انه رجل والاكثرون على انها دابة ، وروى ابن جريج عن ابن الزبير انه وصف الدابة فقال : رأسها رأس الثور وعينها عين الخنزير وأذنها اذن فيل وقرنها قرن ايل وصدرها صدر أسد ولونها لون نمر وخاصرتها خاصرة هر وذنبها ذنب كبش وقوائمها قوائم بعير بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعا معها عصا موسى وخاتم سليمان فلا يبقى مؤمن الا نكتته في مسجده بعصا موسى نكتة بيضاء يضيء بها وجهه ولا يبقى كافر الا نكتت وجهه بخاتم سليمان فيسود بها وجهه حتى ان الناس يتبايعون في الاسواق بكم يا مؤمن بكم ياكافر ، ثم تقول لهم الدابة يا فلان أنت من اهل الجنة ويافلان أنت من اهل النار »(١٤٥) .

والملاحظ ان الامام البغوى لم يستطع التخلص من هذه الاخبار الواهية وان كانت بعض كتب التفسير الاخرى قد فاقته في تفاصيل اسرائيلية اخرى حول هذه الدابة . ولكن البغوى اورد في هذا المقام ـ كما هو معهود منه دائما ـ سبعة نصوص حديثية عن الرسول صلى الله عليه وسلم تذكر اخبار الساعة وعلاماتها وخرجات الدابة .. وهكذا فان هذه الاحاديث تغني عن تلك الاخبار لان أمر الدابة الغيبي ليس من سبيل الى معرفته غير احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم . وقد ورد عن الامام الرازى ـ بعد أن حكى شيئا عن اخبارها ـ قوله : « واعلم انه لا دلالة في الكتاب على شيء من هذه الامور ، فان صح الخبر فيه عن الرسول صلى الله عليه وسلم قبل والا لم يلتفت اليه »(١٤٦) .

ومن الاسرائيليات كذلك ما ذكره الامام البغوى في خاتمة سورة البروج في سياق تفسيره وبيانه لـ « اللوح المحفوظ » اذ روى عن مقاتل وابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس قال : « ان في صدر اللوح لا اله الا الله

---

(١٤٥) معالم التنزيل ١٥٨/٥ .
(١٤٦) تفسير الرازى ٢١٨/٢٤ .

وحده ، دينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن بالله عز وجل وصدق بوعده واتبع رسله ادخله الجنة « قال » واللوح لوح من درة بيضاء طوله مابين السماء والارض وعرضه مابين المشرق الى المغرب وحافتاه الدر والياقوت ودفتاه ياقوتة حمراء ، وقلمه نور وكلامه قديم ، وكل شيء فيه مستور ، وقيل اعلاه معقود بالعرش وأصله في حجر ملك » • قال مقاتل « اللوح المحفوظ عن يمين العرش »[147] •

والصحيح ان القرآن الكريم لم يتحدث عن ماهية اللوح المحفوظ ، كما لم ترد احاديث صحيحة في ذلك ، ولذلك ينبغي الا نتجاوزهما في بيان وتفسير ما استأثر الله به •

والاخبار الاسرائيلية كثيرة وخاصة في سياق قصص الانبياء (عليهم السلام) ونضرب لذلك مثلا حول قصة يوسف (عليه السلام) مع امرأة العزيز التي راودته ، « ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه »[148] اذ يسوق – متابعا لكثير من المفسرين – اسرائيليات تمس عصمة النبي يوسف (عليه السلام) ولا يعقب عليها وذلك في بيان معنى البرهان • يقول البغوي : « اختلفوا في ذلك البرهان ، قال قتادة : واكثر المفسرين انه رأى صورة يعقوب وهو يقول له : يايوسف تعمل عمل السفهاء وانت مكتوب في الانبياء • وقال الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك انفرج له سقف البيت فرأى يعقوب عليه السلام عاضا على اصبعه ، وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : مثل له يعقوب عليه السلام فضرب بيده في صدره فخرجت شهوته من انامله ، وقال السدى : نودي يا يوسف تواقعها انما مثلك ما لم تواقعها مثل الطير في جوف السماء لايطاق ومثلك ان تواقعها مثله اذا مات ووقع في الارض لايستطيع ان يدفع نفسه ومثلك مالم

---

(١٤٧) معالم التنزيل ٧/٢٣٢ •
(١٤٨) يوسف آية ٢٤ •

تواقعها مثل الثور الصعب الذي لايطاق ومثلك ان واقعتها مثل الثور يموت فيدخل النمل في اصل قرنيه لايستطيع ان يدفعه عن نفسه . وعن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله « وهم بها » قال : حل سراويله وقعد منها مقعد الرجل من امرأته فاذا بكف قد بدت بينهما بلا معصم ولا عضد مكتوب عليها « وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون » فقام هاربا وقامت فلما ذهب عنهما الرعب عادت وعاد فظهرت تلك الكف مكتوبا عليها « ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا » فقام هاربا وقامت فلما ذهب عنهما الرعب عادت وعاد فظهر ورأى تلك الكف مكتوبا عليها « واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله » فقام هاربا وقامت فلما ذهب عنهما الرعب عادت وعاد فقال الله عز وجل لجبريل عليه السلام أدرك عبدي قبل ان يصيب الخطيئه فانحط جبريل عليه السلام عاضا على اصبعه يقول يا يوسف تعمل عمل السفهاء وانت مكتوب عند الله في الانبياء ، وروى انه مسحه بجناحه فخرجت شهوته من انامله وقال محمد بن كعب القرظي رفع يوسف رأسه الى سقف البيت حين هم بها فرأى كتابا في حائط البيت « ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا » وروى عطية عن ابن عباس في البرهان انه رأى مثال الملك وقال جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهما البرهان النبوة التي اودعها الله في صدره حالت بينه وبين ما يسخط الله عز وجل وعن علي بن الحسين قال : كان في البيت صنم فقامت المرأة وسترته بثوب فقال لها يوسف لم فعلت هذا فقالت : استحييت منه ان يراني على المعصية فقال يوسف اتستحين مما لايسمع ولا يبصر ولايفقه فأنا احق ان استحي من ربي وهرب »(١٤٩) .

والعجب كل العجب من هذه الاخبار والروايات التي تعلن عن زيفها وكذبها ، مما لايتفق مع درجة النبوة ، وليس لها اصل صحيح ، ولا دليل لها ولا برهان . وهو يناقض شهادة الله له في قوله : « كذلكَ لِنصرِفَ عَنْهُ

---

(١٤٩) راجع معالم التنزيل ٣/٢٧٥ .

السوءَ والفحشاءَ انَّه مِن عبادِنَا المُخلصِينَ »[150] ، وتفسير الآية الصحيح ان الكلام من قبيل التقديم والتأخير ، والتقدير « ولـولا ان رأى برهان ربه لهم بها » .

والحقيقة ان المجال يضيق علي ولا يتسع لمناقشة هذه الاسرائيليات خاصة وقد نبه الى ذلك القدماء والمحدثون[151] .

وكذلك كان صنع البغوى – في سياقه للاسرائيليات – حين تكلم عن الهدية التي ارسلتها ملكة سبأ الى النبي سليمان (عليه السلام) اذ اورد عن ابن عباس ومجاهد ومقاتل وصفا مفصلا للهديـة المرسلة[152] ، وأنى لنا معرفة تفاصيل هذه الهدية وليس في الكتاب والسنة ما يكشف عن ذلك .

ومن الاسرائيليات ايضا ما ورد ذكره عن سبب الخلاف الذى وقع بين ابني آدم (عليه السلام) ، وهو تنافسهما على الزواج مـن اختيهما ، ورأى ابوهم آدم ان يقدما القربان لمعرفة من يقبـل قـربانه كي يكـون المتزوج لهـا[153] .

ومن الاسرائيليات كذلك الاخبار التي تتحدث عن قصة اصحاب الكهف مما يتصل بهويتهم وزمانهم ومكانهم وعددهم واسمائهم واسم كلبهم ولونـه ... الخ .. مما لايدل عليها كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومما لايتوقف فهم القرآن والعمل به عليه[154] .

---

(١٥٠) يوسف آية ٢٤ .
(١٥١) راجع الاسرائيليات والموضوعات ٣٠٧ – ٣١٩ ، والاسرائيليات واثرها في كتب التفسير ٢٧١ – ٢٧٩ .
(١٥٢) راجع معالم التنزيل ٥/١٤٥ – ١٤٧ .
(١٥٣) راجع معالم التنزيل ٢/٣٨ ، ٣٩ .
(١٥٣) راجع معالم التنزيل ٢/٣٨ ، ٣٩ .
(١٥٤) راجع معالم التنزيل ٤/١٩٢ .

وهكذا لانكاد نمر بقصة من قصص القرآن الا وآثار الاسرائيليات فيها ظاهرة مما لاحاصل لها ولا طائل تحتها ، ولا فائدة منها ولا حاجة اليها ، ولا دليل عليها(١٥٥) .

ومن الاخبار الموضوعة ما ورد في قوله « الذين يُقيمون الصَّلاةَ ويؤْتونَ الزكاةَ وهمْ راكعونَ »(١٥٦) قال البغوى : « اراد به علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) مر به سائل وهو راكع في المسجد فاعطاه خاتمه »(١٥٧) ويورد بعد ذلك رواية عن الضحاك ومحمد بن علي الباقر انها عامة في المؤمنين . ويقرر ابن تيمية ان حديث تصدق علي بخاتمه في الصلاة « موضوع باتفاق أهل العلم »(١٥٨) .

ونخلص من هذا كله الى ان اتجاه الامام البغوي في التفسير بالمأثور ادخل الى تفسيره الاخبار الاسرائيلية الموضوعة ، والاخبار الضعيفة الواهية ، على اهتمامه وعنايته بالاحاديث والسنة النبوية المطهرة ، ولعل الذى سلك به هذا الطريق اتجاه المفسرين السابقين المعنيين بالمأثور الى ايراد وذكر تلك الاخبار والحكايات الاسرائيلية خاصة وقد اعتمد على تفسير شيخه الثعلبي الذى حشى وامتلأ بتلك الاخبار الموضوعة والحكايات الغريبة .

ومما لاشك فيه أن الاسرائيليات في تفسيره ـ على كثرتها ـ أقل من غيره في تفاسيرهم(١٥٩) ، وبالطبع ـ وكما اسلفنا ـ فقد تقبل بعض

---

(١٥٥) راجع امثلة اخرى في قتل داود لجالوت مما ورد في سورة البقرة معالم التنزيل ١/٢٦٠ ـ ٢٦٤ وفي اتخاذ قوم موسى للعجل معالم التنزيل ١/٦٠ وفي قصة داود معالم ٦/٤٥ ، وسليمان ٦/٥١ .

(١٥٦) سورة المائدة آية ٥٥ .

(١٥٧) معالم التنزيل ٢/٦٧ .

(١٥٨) مقدمة في اصول التفسير ص ٧٨ .

(١٥٩) راجع على سبيل المثال معالم التنزيل ٢/٣٠ ، ٣/٢٦٢ حيث لم يورد فيهما من الاسرائيليات ما اورده اصحاب التفاسير الاخرى .

الاسرائيليات المسكوت عنها والتي لايترتب على تصديقها شيء - وان كان الاجدر تنزيه التفاسير منها - علما بان الامام البغوى ساق الاسانيد في روايته لتلك الاخبار عن الصحابة والتابعين ، وكثير من تلك الاسانيد صحيحة وحسنة ..

وقد سئل الامام ابن تيمية عن اى التفاسير اقرب الى الكتاب والسنة الزمخشرى ام القرطبى ام البغوى ام غير هؤلاء ؟ فأجاب تغمده الله برحمته ورضوانه : واما التفاسير المسئول عنها فاسلمها من البدعة والاحاديث الضعيفة البغوى ، لكنه مختصر من تفسير الثعلبي ، وحذف الاحاديث الموضوعة والبدع التي فيه وحذف اشياء غير ذلك »(١٦٠) .

ويقول كذلك : « والبغوى تفسيره مختصر من تفسير الثعلبي لكنه صان تفسيره عن الاحاديث الموضوعة والاراء المبتدعة »(١٦١) .

ويقول الكتاني في تفسيره : « وقد يوجد فيه من المعاني والحكايات ما يحكم بضعفه او وضعه »(١٦٢) .

وقد لاحظ بعض الدارسين المحدثين وجود هذه الاسرائيليات في تفسيره(١٦٣) ، ويناقش الدكتور ابو شهبة كلام ابن تيمية فلا يوافقه على صيانته تفسيره من الاحاديث الموضوعة فيقول « فان اراد الحديث الطويل الموضوع في فضائل السور سورة سورة فمسلم ، وان اراد غير ذلك فلست موافقا لشيخ الاسلام لانه ذكر في كتابه بعض الموضوعات والاسرائيليات بكثرة ، اللهم الا ان يقال : انه اقل من تفسير الثعلبي في الموضوعات

---

(١٦٠) الفتاوى لابن تيمية ٦٨/١٣ .
(١٦١) راجع الفتاوى ٣٥٤/١٣ ، مقدمة في اصول التفسير ص ٧٦ .
(١٦٢) الرسالة المستطرفة ص٧٨ .
(١٦٣) راجع التفسير والمفسرون ٢٣٧/١ ، الاسرائيليات والموضوعات ص١٨٠، الاسرائيليات واثرها في كتب التفسير ص٢٦٤ .

والاسرائيليات »[١٦٤] .

كما يرى الدكتور رمزى نعناعة أن ابن تيمية لم يكن دقيقا في حكمه على البغوى ، وان الكتاني كان ادق حكما واصوب رأيا ثم يعتذر له فيقول : ولعل ابن تيمية ـ وهو من تعرف بصيرة وحذقا ـ لم يطلع على تفسير البغوى ولكن حكم عليه بما حكم لما يعرفه عنه من انه من رجال الحديث البارزين ، ومن كان هذا شأنه يستبعد عليه عادة ان يغتر بموضوع فيرويه على انه صحيح لا غبار عليه »[١٦٥] .

والحقيقة ان صيانة تفسير البغوى عن الاراء المبتدعة مسلم به ، اما صيانته عن الاحاديث الموضوعة ، فغالب على تفسيره خاصة وان تلك الاسرائيليات مما اورده عن الصحابة والتابعين وليس عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وان كان بعض من روى عنهم موضع تهمة مثل الكلبي والضحاك والسدى ، فان طرفه الاخرى طرق موثوقة ، وهكذا فان البغوى وان ذكر في تفسيره الاسرائيليات لكنه أقل من غيره في ذلك الا أنه لم يحقق الروايات على طريق المحدثين ولم يعقب عليها بشيء أو ينبه على ما فيها من غرابة ، وان كان يعتمد على السنة كثيرا وهذا الامر من أهم المآخذ على الامام البغوى في تفسيره .

د ـ عنايته باللغة والنحو والقراءات :

يعتمد تفسير الامام البغوى ـ في المقام الاول ـ على المأثور من الكتاب والسنة وآراء الصحابة والتابعين ... ويعتمد بعد ذلك على بيانه للمعنى اللغوى للمفردات ، والجوانب النحوية .

ويلاحظ ان حظ تفسيره من اللغة والنحو معتدل ، فهو لا يفصل او يبالغ في تناوله للمسائل النحوية واللغوية بل يتناول تلك الامور بقدر ما يؤدى الغرض ويبلغ الهدف في بيانه للمعنى وشرحه للايات .

---

(١٦٤) الاسرائيليات والموضوعات ص ١٨١ .

(١٦٥) الاسرائيليات واثرها في كتب التفسير ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠ .

ومن اجل ذلك اغفل في مقدمته ذكر مصادره في اللغة والنحو ، واقتصر على مصادره في المأثور من كتب التفاسير وآراء الصحابة والتابعين ، والاخبار وعلم القراءات .

ولكن السمة الظاهرة على تفسيره والاتجاه الغالب عليه شرحه للكلمات والمفردات بصورة مختصرة تبين المعنى في السياق العام دون تفصيل ..

فمن ذلك ما صنعه في تفسير سورة الرعد حيث يذكر معاني المفردات بصورة ميسرة تشبه جهود بعض التفاسير الحديثة المختصرة التي تتجنب التطويل والتفصيل . فهو يشرح مفردات هاتين الآيتين « اللهُ الذي رَفَعَ السماوات بغيرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها ثُمَّ استَوى على العَرشِ وسَخَّرَ الشَّمسَ والقَمَرَ كُلٌّ يجري لأجلٍ مُسمّىً ، يُدبِّرُ الأمرَ يُفَصِّلُ الآياتِ لعلَّكُم بلقاءِ ربكُمْ تُوقِنونَ ، وهو الذّي مَدَّ الأرضَ وجَعَلَ فيها رواسيَ وأنهاراً ومِن كُلِّ الثمراتِ جَعَلَ فيها زَوجينِ اثنينِ يُغشِي الليلَ النهارَ ، إنَ في ذلكَ لآياتٍ لقومٍ يتفكَّرونَ »(١٦٦) ، فيقول: استوى : علا عليه ، سخر : ذللهما ، لاجل مسمى : الى وقت معلوم ، يدبر الامر : يقضيه وحده ، يفصل الآيات : يبين الدلالات ، لعلكم بلقاء ربكم توقنون : لكي توقنوا بوعده وتصدقوه ، مد الأرض : بسطها : رواسي : جبالا ثابتة واحدتها راسية ، زوجين : صنفين ، يغشي : يلبس ، يتفكرون : يستدلون : والتفكير تصرف القلب في طلب معاني الاشياء(١٦٧) .

وهكذا يسلك في تفسيره لكتاب الله تعالى حيث يبين معاني الكلمات بكلمات مفردة تناظرها في العدد وتقابلها في المعنى ، بحيث ينقل الكلمة من الغموض وعدم الوضوح الى البيان والوضوح . وقد يذكر معنى الكلمة باكثر من كلمة تدل على وجوه المعنى حيث يقول مثلا في معنى فراشا : اى بساطا وقيل مناما

---

(١٦٦) الرعد آية ٢ ، ٣ .

(١٦٧) راجع معالم التنزيل ٤/٣ ، ٤ .

وقيل وطاء[١٦٨] • وفي بعض الاحيان يعرف المعنى بطريقة اكثر تفصيلا كما صنع مع كلمة يتفكرون السابقة ومن ذلك ايضا تعريفه للبشارة في تفسيره لقوله تعالى : « وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا •• »[١٦٩] حيث يقول : « البشارة : كل خبر صدق تتغير به بشرة الوجه ، ويستعمل في الخير والشر وفي الخير اغلب »[١٧٠] • ويقول الامام البغوى في معنى العجب الذى ورد في قوله تعالى : « وان تَعجَبْ فَعَجَبٌ قَولُهم •• »[١٧١] ، العجب : تغير النفس برؤية المستبعد في العادة »[١٧٢] • ويقول في بيانه لمعنى الماء : « جسم رقيق مائع به حياة كل نام »[١٧٣] •

وكأن الامام البغوى في بيانه لمعنى البشارة والعجب والماء يريد الاصل اللغوى لتلك الكلمات ، وهذا ماصنعه خلال تفسيره لسورة الفاتحة حيث يبين معنى الصراط والضلال فقال في الاول : واصله في اللغة : الطريق الواضح[١٧٤] وقال في الضلال : الهلاك والغيبوبة يقال ضل الماء في اللبن اذا هلك وغاب[١٧٥] •• وكذلك في معنى القرض : اسم لكل ما يعطيه الانسان ليجازى عليه •• واصل القرض فى اللغة القطع سمى به القرض لانه يقطع به من ماله شيئا يعطيه ليرجع اليه مثله[١٧٦] • وفى الاصل اللغوى لكلمة قريش حيث يقول : وسموا قريشا من القرش والتقرش وهو التكسب والجمع ، يقال فلان يقرش لعياله ويقترش اى يكتسب وهم كانوا تجارا حرصا على جمع المال

---

(١٦٨) معالم التنزيل ١/٣٨ •
(١٦٩) البقرة آية ٢٥
(١٧٠) معالم التنزيل ١/٤٠ •
(١٧١) الرعد آية ٥ •
(١٧٢) معالم التنزيل ٤/٤ •
(١٧٣) معالم التنزيل ٤/٥ •
(١٧٤) و (١٧٥) معالم التنزيل ١/٢٣ •
(١٧٦) معالم التنزيل ١/٢٥١ •

والافضال[١٧٧] . والامثلة على ذلك كثيرة[١٧٨] .

الجوانب النحوية والصرفية :

وكانت عناية الامام البغوى بالمسائل النحوية عناية سطحية سريعة ، فهو يمس المسألة النحوية مسا خفيفا ولا يطيل الوقوف عليها بل يعرضها بايجاز واختصار .

فمن ذلك مثلا بيانه للمعنى النحوى لكلمة (لكن) حيث يقول : « ومعنى لكن نفي الخبر الماضي واثبات المستقبل »[١٧٩] .

ويوضح عمل كلمة (حتى) في قوله تعالى « حتى يقولَ الرسولُ والذينَ آمنوا معَهُ متى نَصْرُ اللهِ »[١٨٠] فيقول : « واذا كان الفعل الذى يلي حتى في معنى الماضي ولفظه لفظ المستقبل فلك فيه الوجهان الرفع والنصب ، فالنصب على ظاهر الكلام لان حتى تنصب الفعل المستقبل ، والرفع لان معناه الماضي ، وحتى لاتعمل في الماضي »[١٨١] .

ويبين مايقع من التضمين فى حروف الجر حيث تأتي على بمعنى في كما في قوله تعالى « ولَو ترى اذْ وقِفُوا على النّارِ » يعني في النار كقوله تعالى « على مُلْكِ سُليمانَ » اى في ملك سليمان[١٨٢] ، وكذلك تأتي الباء بمعنى عن كما في قوله تعالى « سألَ سائِلُ بِعذَابٍ واقعٍ » قيل هي بمعنى عن كقوله تعالى « فَاسأَلْ بهِ خَبِيرا » اى عنه خبيرا[١٨٣] .

---

(١٧٧) معالم التنزيل ٢٩٧/٧ .

(١٧٨) راجع امثلة اخرى في معنى الاعجاب ١٠٦/٣ ، مغارات ١٠٧/٣ ، صنوان ٤/٤ .

(١٧٩) معالم التنزيل ٨٧/١ .

(١٨٠) البقرة آية ٢١٤ .

(١٨١) معالم التنزيل ٢٠٣/١ .

(١٨٢) الانعام ٢٧ ، البقرة ١٠٢ وراجع معالم التنزيل ١٢٧/٢

(١٨٣) المعارج ١ ، الفرقان ٥٩ وراجع معالم التنزيل ١٤٨/٧ .

ويتحدث عن انواع جواب القسم في القرآن الكريم بمناسبة وقوفه على القسم في قوله تعالى « وَالقرآنِ المجيدِ »[١٨٤] ويجتهد فيقدم عدة اقوال في جواب القسم للآية ، ثم يذكر الاصناف السبعة التي ورد فيها جواب القسم في القرآن الكريم ، يقول البغوى : « واختلفوا في جواب هذا القسم فقال اهل الكوفة : جوابه بل عجبوا ، وقيل جوابه محذوف مجازه والقرآن المجيد لتبعثن وقيل جوابه قوله : « ما يلفظ من قول » ، وقيل : « قد علمنا »[١٨٥] •وجوابات القسم سبعة ان الشديدة كقوله « والفَجْرِ وليالٍ عَشْرٍ •• ان ربّك لبالمرصَادِ »[١٨٦] وما النفي كقوله : « والضُّحَى •• ما وَدَّعكَ ربك • • »[١٨٧] ، واللام المفتوحة كقوله « فَوَرَبِّكَ لنسأَلنَّهُم أجمَعِين »[١٨٨] ، وان الخفيفة كقوله تعالى « تَاللّه ان كُنَّا لَفي ضلالٍ مُبينٍ »[١٨٩] ، ولا كقوله « وَأقسَموا باللّهِ جَهْدَ أيمانِهم لايبعثُ اللّهُ من يَمُوتُ »[١٩٠] ، وبل كقوله تعالى « والقرآنِ المجيدِ ــ بَلْ عَجبُوا •• »[١٩١] ، وقد كقوله تعالى « والشَّمْسِ وضُحاها •• قَدْ أفلَحَ مَن زكّاها •• »[١٩٢] •

ويقف احيانا على المسائل التي تنطوى في ظاهرها على اشكال نحوى ، ليبسط المسألة ويوضحها ويجيب عن الاشكال الذى تتضمنه مدللا على ذلك بآيات اخرى •

---

(١٨٤) ق آية ١ •
(١٨٥) معالم التنزيل ٦/٢٣٣ •
(١٨٦) الفجر آية ١ ، ١٤ •
(١٨٧) الضحى آية ١ ، ٣ •
(١٨٨) الحجر آية ٩٢ •
(١٨٩) الشعراء آية ٩٧ •
(١٩٠) النحل آية ٣٨ •
(١٩١) ق آية ١ ، ٢ •
(١٩٢) الشمس آية ١ ، ٩ •

فمن ذلك عود الضمير المفرد الى المثنى في قوله تعالى تعالى « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم »[193] قيل لم قال : ولا ينفقونها في سبيل الله ولم يقل ولا ينفقونهما وقد ذكر الذهب والفضة جميعا ، قيل اراد الكنوز واعيان الذهب والفضة ، وقيل رد الكناية الى الفضة لانها اعم كما قال تعالى « واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة »[194] رد الكناية الى الصلاة لانها اعم وكقوله تعالى « واذا رأوا تجارة او لهواً انفضوا اليها»[195] « رد الكناية الى التجارة لانها اعم »[196] .

ومن ذلك أيضا ايضاحه لعدم مطابقة الصفة للموصوف في قوله تعالى « فظلت أعناقهم لها خاضعين »[197] حيث ينبغي ان تكون خاضعة وهي صفة الاعناق ، ففيه اقاويل : احدها اراد اصحاب الاعناق فحذف الاصحاب واقام الاعناق اذا خضعت فأربابها خاضعون ، جعل الفعل اولا للاعناق ثم جعل خاضعين للرجال »[198] ، ثم يورد آراء اخرى لتوضيح وتعليل الاشكال .

ويوضح الامام البغوى بعض الاشكالات الصرفية حول صيغة المفاعله التي تأتي للمشاركة واحيانا لغير المشاركة ، فالمخادعة من المنافقين لله تعالى لاتعني المشاركة ، يقول : فان قيل ما معنى قوله « يخادعون الله » والمفاعلة للمشاركة، وقد جل الله تعالى عن المشاركة في المخادعة . قيل قد ترد المفاعلة لاعلى معنى المشاركة كقولك : عافاك الله وعافيت فلانا ، وطارقت النعل »[199] .

وقد يذكر اوزان بعض الكلمات كما فعل في كلمة « النسيء » قيل

---

(١٩٣) التوبة آية ٣٤ .

(١٩٤) البقرة آية ٤٥ .

(١٩٥) الجمعة آية ١١

(١٩٦) معالم التنزيل ٨٨/٣ وراجع مثلا آخر ٤٣/٥ .

(١٩٧) الشعراء آية ٤ .

(١٩٨) معالم التنزيل ١١٢/٥ .

(١٩٩) معالم التنزيل ٣٣/١ والاية ٩ من سورة البقرة

هو مصدر كالسعير والحريق ، وقيل هو مفعول كالجريح والقتيل »[200] .

اما إعرابه للآيات فكثير ، وهو في ذلك ايضا يتجنب التطويل والتفصيل ويكتفي على البيان والوضيح بمقدار ما يدفع اللبس ويوضح الموقع فيقول في اول سورة التوبة ، « بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ » اي هذه براءة من الله ..[201] ويقول عن اعراب « هاروت وماروت » اللذين وردا في قوله تعالى « وَمَا أُنزِلَ عَلَى المَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ » : وهما في محل الخفض على تفسير الملكين الا انهما نصبا لعجمتهما ومعرفتهما »[202] ، ويقول ايضا في اعراب ايلافهم التي وردت في سورة قريش : بدل من الايلاف الاول »[203] .

ويعرب حروف الجر الزائدة في القرآن الكريم كما في قوله تعالى « كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً »[204] و « وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَأِ المُرْسَلِينَ »[205] ويوضح ما يحتاج الى الايضاح فيقول في « لَيَجْمَعَنَّكُمْ » اللام فيه لام القسم والنون نون التوكيد مجازه والله ليجمعنكم »[206] .

واحيانا يوضح الاعراب بالتمثيل اذا لزم الامر ذلك ، كما صنع في اعرابه لـ « فَنِعِمَّا هِيَ » حيث يقول : وما في محل الرفع وهي في محل النصب كما تقول نعم الرجل رجلا فاذا عرفت رفعت فقلت نعم الرجل زيد »[207] .

---

(٢٠٠) معالم التنزيل ٣/٩٠ وراجع ٣/٥٦ في وزن كلمة براءة
(٢٠١) معالم التنزيل ٣/٥٦ وهي من سورة التوبة آية ١ .
(٢٠٢) معالم التنزيل ١/٨٨ وهي من سورة البقرة آية ١٠٢ .
(٢٠٣) معالم التنزيل ٧/٩٨ ، وهي من سورة قريش آية ١ .
(٢٠٤) البقرة آية ٢٥ .
(٢٠٥) الانعام آية ٣٤ ، معالم التنزيل ١/٤٠ ، ٢/١٣ وراجع مثلا آخر ٧/١٤٧ .
(٢٠٦) معالم التنزيل ٢/١٢٢ وهي من سورة الانعام آية ١٢ .
(٢٠٧) معالم التنزيل ١/٢٩٢ وهي من سورة البقرة آية ٢٧١

وقد يذكر اكثر من وجه لاعراب الكلمة ، كما فعل في اعـراب « من » التي وردت في قوله تعالى « هذا ما توعدون لكل اواب حفيظ من خشي الرحمن بالغيب » فيقول : « محل من جر على نعت الاواب ، وقيل رفع على الاستئناف »[208] • وكذلك يحتمل اسم الموصول « الذى » وجهين من الاعراب وذلك في قوله تعالى بمستهل سورة الرعد « المر تلك آيات الكتاب والذى انزل اليك من ربك الحق » يقول البغوى « فيكون محل الذى على الابتداء ، والحق خبره ، وقيل محله الخفض يعني تلك ايات الكتاب وآيات الذى انزل اليك •• »[209] وكذلك يذكر لكلمة « ماذا » وجهين من الاعراب وذلك في قوله تعالى « يسألونك ماذا ينفقون » فيقول « وفي قوله ماذا وجهان من الاعراب احدهما ان يكون محله نصبا بقوله ينفقون تقديره اى شيء ينفقون ، والآخرأن يكون رفعا بما ومعناه ما الذى ينفقون »[210] •

عنايته بالقراءات :

وجه الامام البغوي اهتمامه الكبير الى القراءات ووقف عليها كثيرا خلال تفسير ، فما نرى آية وردت فيها قراءة او قراءات اخرى الا ونبه الى ذلك وذكر تلك القراءات الاخرى •

فجاء تفسيره زاخرا بمباحث علم القراءات خاصة ويقف في احيان كثيرة مفصلا وباسطا تلك المسائل وذاكرا كل ما يتصل بها ، وحين يورد البغوى القراءة الاخرى ينبه الى فرق مابين القراءتين في المعنى ، او علاقة ذلك باللغة والنحو والاعراب •

ولا عجب ان ينال موضوع القراءات اهتمام البغوى الكبير ، فقد عرف

---

(٢٠٨) معالم التنزيل ٦/٢٣٨ وهي من سورة ق آية ٣٢ ، ٣٣ •
(٢٠٩) معالم التنزيل ٤/٢ وهي من سورة الرعد آية ١ •
(٢١٠) معالم التنزيل ١/٢٠٣ وهي من سورة البقرة آية ٢١٥ •

من آثاره كتاب (الكفايه) في هذا الفن[٢١١] ، كما اكد في مقدمة كتابه على هذا الاهتمام حين ذكر مصادره في القراءات ـ مما سبق ذكره في موضعه من البحث ـ والمهم ان تلك القراءات التي اوردها ـ خلال التفسير ـ ممن اشتهر منهم بالقراءات وهم ثلاثة من قراء الكوفة ومدنيان وبصريان وشامي ومكي ، وهؤلاء قد اتفق العلماء على جواز تلاوة القرآن بقراءتهم • ويعالج البغوى موضوع القراءات من الناحية اللغويه والنحويه •

ففي سورة الفاتحة مثلا يقف على ثلاثة مواضع منها يبين فى كل القراءات الاخرى عنها ، وهي قراءة ملك بدلا من مالك ثم ادغام الميم في الرحيم بالميم من ملك ، وقراءة صراط بالسين ، وقراءة عليهم بالضم والكسر وهو خلال ذلك يذكر الفرق في المعنى للقراءة الاخرى •

قال البغوى في الموضع الاول « قرأ عاصم والكسائي ويعقوب مالك وقرأ الاخرون ملك ، قال قوم معناهما واحد مثل فرهين وفارهين ، وحذرين وحاذرين •• ومعناهما الرب ••• قال ابو عبيدة مالك اجمع واوسع يقال مالك العبد والطير والدواب ولا يقال ملك هذه الاشياء ولانه لايكون مالك الشيء الا وهو يملكه ، وقد يكون ملك الشيء ولا يملكه ، وقال قوم ملك اولى لان كل ملك مالك وليس كل مالك ملكا ولانه اوفق لسائر القران مثل قوله تعالى « فتعالى الله الملك الحق » و « الملك القدوس » و « ملك الناس » •• وقرأ ابو عمر الرحيم ملك بادغام الميم في الميم وكذلك يدغم كل حرفين من جنس واحد او مخرج واحد او قريبي المخرج سواء كان الحرف ساكنا او متحركا[٢١٢] ثم يستثنى من ذلك بعض الحالات ويسوق على ذلك امثلة •

وفي الموضع الثاني يذكر لكلمة (صراط) قراءة اخرى فيقول : «قرىء بالسين ، رواه رويس عن يعقوب وهو الاصل ، سمي سراطا لانه يسرط

---

(٢١١) راجع مؤلفاته في الفصل الثالث من الباب الاول •
(٢١٢)و(٢١٣)و(٢١٤) راجع معالم التنزيل ١/٢٢ ـ ٢٣ •

لسابله ، ويقرأ بالزاى ، وقرأ حمزة باشمام الـزاى وكلها لغـات صحيحة والاختيار الصاد عند اكثر القراء لموافقة المصحف »[213] .

وفي الموضع الثالث يقول « قرأ حمزة عليهم ولديهم واليهم بضم هاءاتها ، ويضم يعقوب كل هاء قبلها ياء ساكنـة تثنية وجمعا الا قولـه « بـين ايديهـم وارجلهم » وقرأ الاخرون بكسرهما ، فمن ضم الهاء ، ردها الى الاصل لانهـا مضمومة عند الانفراد ومن كسرها فلاجـل الياء الساكنـة واليـاء اخـت الكسرة ... »[214] ثم يتابع تفصيل هذه القراءة لدى ابن كثير وابي جعفـر والكسائي وابن عمر ويعقوب وغيرهم ..

والملاحظ على البغوى ـ فضلا عن حرصه على رصد القـراءات المعتبرة انه يتناول الموضوع بطريقة اكثر تفصيلا من تناوله للمسائل النحوية واللغوية السابقة ، وهو ـ كما ترى ـ لايكتفى بذكر القراءة في المـوضع نفسه ولكنـه يرصد النظائر الاخرى والتي وردت في القرآن الكريم ، كما صنع في قـوله تعالى « أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد » حيث يذكر فيها قراءة اخرى لنافع والكسائي ويعقوب هي « انا لفي حلق جديد » على الخبر ، بخلاف ابي جعفر وابن عامر ، ثم يذكر المواضع الاخرى التى قرأت على الطريقة نفسها فيقـول « وكذلك في سبحان في موضعين والمؤمنون والم السجدة ، وقـرأ الباقـون بالاستفهام فيهما ، وفي الصافات في موضعين هكذا الا ان ابا جعفر يوافق نافعا في اول الصافات فيقدم الاستفهام ، ويعقـوب لايستفهم الثانيـة أئذ متنا انـا لمدينون »[215] .

وكما بين فرق ما بين القراءتين في « مالك وملك » فكذلك يفعـل فـي مواضع اخرى من القرآن الكريم ، ومن ذلك قراءة الكسر للقاف في قولـه تعالى « وَقَرْنَ في بُيُوتِكُنَّ » يقول البغوى « قرأ اهل المدينة وعاصم وقرن بفتح القاف ، وقرأ الاخرون بكسرها ، فمتى فتح القاف فمعناه اقرون اى الزمن

---

(٢١٥) معالم التنزيل ٤/ ٥ .

بيوتكن من قولهم قررت بالمكان اقر اقرارا ... ومن كسر القاف فقد قيل هو من قررت اقر معناه اقررن بكسر الراء ، فحذفت الاولى ونقلت حركتها الى القاف كما ذكرنا ، وقيل وهو الاصح انه أمر من الوقار كقولهم من الوعد عدن ومن الوصل صلن اى كن اهل وقار وسكون من قولهم وقر فلان يقر وقورا اذا سكن واطمأن »(٢١٦) .

وهو يستعين باللغة في ترجيح قراءة على قراءة ، كما رجح قراءة وعشيرتكم على « عشيراتكم » بالالف على الجمع وهي قراءة ابي بكر عن عاصم، وقرأ الاخرون بلا ألف على التوحيد لان العشيرة واقعة على الجمع . يقول البغوى : « ويقوى هذه القراءة ان ابا الحسن الاخفش قال : لاتكاد العرب تجمع العشيرة على العشيرات انما تجمعها على العشائر »(٢١٧) .

وكذلك يذكر ما يترتب من معنى على القراءة الجديدة فى قوله « وان كُلٌّ لمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ » قرأ عاصم وحمزة لمّا بالتشديد هاهنا وفي الزخرف والطارق وافق ابن عامر الا في الزخرف ، ووافق ابو جعفر الا في الطارق وقرأ الاخرون بالتخفيف فمن شدد جعل ان بمعنى الجحد ولما بمعنى الا تقديره وما كل الا جميع ، ومن خفف جعل ان للتحقيق وما صلة مجازه كل جميع »(٢١٨) .

وقد تتعدد القراءات للكلمة الواحد ةولكن ذلك لايؤثر في المعنى كما في قوله تعالى « وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلاًّ كثيراً ... » قرئت جبلا على صور اربع (جِبِلاًّ ، جُبُلاً ، جُبْلا ، جُبُلاًّ) ويعلق البغوى على ذلك

---

(٢١٦) معالم التنزيل ٢٥٨/٥ والآية ٣٣ من سورة الاحزاب ، وراجع مثلا آخر في الفرق بين القراءتين تفجر وتفجز ١٨٣/٤ .

(٢١٧) معالم التنزيل ٧١/٣

(٢١٨) معالم التنزيل والآية ٣٢ من سورة يس .

قائلا : و كلها لغات صحيحة ومعناها الخلق والجماعة »[219] .

كما ان للقراءات علاقة بالنحو من حيث الموقع والاعراب فتغير حركة الاعراب في القراءة يلزم تغير الموقع الاعرابي كما في قوله تعالى « حمالة الحطب » قرأ عاصم بالنصب ، وقرأ الآخرون بالرفع وله وجهان احدهما : سيصلى نارا هو وامرأته حمالة الحطب والثاني : وامرأته حمالة الحطب في النار ايضا » [220] .

ومثل ذلك في قراءة « وكلمةُ اللهِ هيَ العُليا » قرأ يعقوب بنصب التاء على انها معطوفة على المفعول الاول لجعل وهو كلمة الذين كفروا والتقدير وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وجعل كلمة الله هي العليا ، فكلمة الله معطوفة على المفعول الاول[221] .

وهكذا يعتبر تفسير البغوى من التفاسير المعنية بباب القراءات مع ذكره للعلاقة بين القراءة والمعنى ، وصلة القراءة باللغة والنحو .

هـ ـ ذكره لقضايا العقيدة والاحكام الفقهية :

لقد تعرض الامام البغوى في تفسيره الى بعض من قضايا العقيدة ، وكثير من الأحكام الفقهية ، وقد سبقت الاشارة من قبل ـ فى ترجمته ـ الى انه كان في عقيدته من اهل السنة ، وانه كان من حيث المذهب شافعيا ، بل من أئمة هذا المذهب .. ولذلك وجدنا آثار ذلك في مواطن كثيرة من تفسيره معالم التنزيل ..

---

(٢١٩) معالم التنزيل ٦/١٣ والاية ٦٢ من سورة يس ، ومثل ذلك قراءة « تسقى ويفضل » لـ « يسقى ونفضل » راجع ٤/٤ وراجع مثلا آخر ١٤٩/٣ .

(٢٢٠) معالم التنزيل ٣١٦/٧ .

(٢٢١) معالم التنزيل ١٠٠/٣ وراجع مثلا آخر في قراءة « زرع » بالرفع ٤/٤ . والآية (٤٠) التوبة .

وإذا تذكرنا أنه من المحدثين أدركنا أنه كان يعالج كثير من الآيات بالاستعانة بالأحاديث النبوية الشريفة ، ومع ذلك فقد كان يورد باختصار رأي أهل السنة وينصر رأيهم في بيان تلك الآيات التي تتصل بالعقيدة ارادا على المعتزلة فيما ذهبوا اليه ، فمن ذلك ما ذكره خلال تفسيره لقوله تعالى « عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا »(٢٢٢) حيث أورد جملة من أحاديث الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم حول مقامه المحمود وشفاعته يوم القيامة بلغت سبعة أحاديث ، ثم يعقب على ذلك بتأكيده على شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم للمسلمين يوم القيامة على خلاف المعتزلة فيقول : « والأخبار في الشفاعة متواترة كثيرة وأول من أنكرها عمرو بن عبيد وهو مبتدع باتفاق أهل السنة »(٢٢٣) ثم يسرد خبرا يؤكد شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم للعصاة يوم القيامة ، وهو عن يزيد بن صهيب الفقيه الذي مر في طريق حجه الى المدينة فسمع جابر بن عبدالله يذكر حديث الجهنميين فاستفهمه في ذلك ليوفق بين قوله وقول الله تعالى « إنكَ مَن تُدخِلِ النارَ فقد أخزيتَهُ » و « كُلَّما أرادوا أن يَخرُجوا مِنها أُعيدوا فيها » فقال له : « فإنه مقام محمد المحمود الذي يخرج الله به من يخرج من النار »(٢٢٤) .

وهو يذكر رأي أهل السنة في قبول توبة القاتل فيقول : « والذي عليه الأكثرون وهو مذهب أهل السنة أن قاتل المسلم عمدا توبته مقبولة لقوله تعالى « ... وإنّي لغفّارٌ لمَن تابَ وآمَنَ وعمِلَ صالحاً » وقال « إنَّ اللهَ لا يَغفرُ أن يُشرَكَ بهِ ويغفرُ ما دونَ ذلكَ لمَن يشاءُ »(٢٢٥) . ثم

---

(٢٢٢) الاسراء آية ٧٩ .

(٢٢٣) معالم التنزيل ٤/١٧٨ .

(٢٢٤) معالم التنزيل ٤/١٧٨ ، الآية الاولى من سورة آل عمران آية ١٩٢ والثانية من سورة السجدة آية ٢٠ .

(٢٢٥) معالم التنزيل ١/٥٧٧ والاية من سورة طه آية ٨٢ والثانية من سورة النساء آية ٤٨ .

يعلق البغوى على الآية المفسرة وهي قوله تعالى « ومَن يقتُل مؤمناً متعمِّداً فجزاؤه جهنّمُ خالداً فيها وغضِبَ اللهُ عليه ولعنَه وأعدَّ له عذاباً عظيماً » فيقول : « وليس في الآية متعلق لمن يقول بالتخليد في النار بارتكاب الكبائر لان الآية نزلت في قاتل وهو كافر ... »[226] ويورد بعد ذلك اوجها اخرى لفهم الاية الكريمة ..

وفي معنى الاستواء على العرش يورد رأى وتفسير المعتزلة وهو تأويلهم له بالاستيلاء ثم يتبع ذلك برأى اهل السنة فيقول : « فاما اهل السنة فيقولون الاستواء على العرش صفة لله تعالى بلا كيف يجب على الرجل الايمان به ويكل العلم فيه الى الله عز وجل »[227] . ثم يورد رأى الامام مالك بن انس جوابا على السائل « الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ، والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة .. »[228] ويورد رأى الامام الاوزاعي والسفيانيين والليث بن سعد وابن المبارك وغيرهم من علماء السنة وهو انهم « امروها كما جاءت بلا كيف »[229] .

وفي معنى خلود النعيم في الجنة يرد على الجهمية خلال تفسيره لقوله تعالى « أُكُلُها دائِمٌ وظِلُّها .. »[230] فيقول : اى ظلها ظليل لايزول وهو رد على الجهمية حيث قالوا ان نعيم الجنة يفنى »[231] .

كما يؤكد على ما يكون من نعيم اهل الجنة في رؤية المؤمنين لله تعالى ، ويرد على نفاة الرؤية الذين استدلوا بقوله تعالى لموسى « لَن تَراني »[232]

---

(٢٢٦) معالم التنزيل ١/٥٧٧ والآية من سورة النساء آية ٩٣ .

(٢٢٧) معالم التنزيل ٢/٢٣٧ .

(٢٢٨)و(٢٢٩) معالم التنزيل ٢/٢٣٨ وراجع مثلا آخر في الصفات عند تفسيره لقوله تعالى « بل يداه مبسوطتان » .

(٢٣٠) الرعد آية ٣٥ .

(٢٣١) معالم التنزيل ٤/٢٥ .

(٢٣٢) الاعراف آية ١٤٣ .

فيقول : « وتعلقت نفاة الرؤية بظاهر هذه الآية » وقالوا : « قال الله لن تـراني ولن تكون للتأبيد ولا حجة لهم فيها ومعنى الآية لن تراني في الدنيا او فـي الحال لانه كان يسأل الرؤيا في الحال ، ولن تكون للتأبيد لقوله تعالى « ولَـن يَتمنَّوه أبداً »[٢٣٣] اخبارا عن اليهود ثم أخبر عنهم انهم يتمنون الموت فـي الآخـرة ، كما قـال تعـالى « ونَادَوا يا مالكُ ليقضي علينَـا رَبُّكَ »[٢٣٤] و « يا ليتَـهَا كَانت القاضية »[٢٣٥] ، والدليل عليه انه لم ينسبه الى الجهـل بسؤال الرؤية على استقرار الجبل ، واستقرار الجبل عند التجلي غير مستحيل اذا جعل الله تعالى له تلك القوة والمعلق بما لايستحيل لايكون محالا »[٢٣٦] .

وتحدث البغوى في الموضوع نفسه عند تفسيره لقـوله تعالى « لاتدركه الابصار » ، فرد على اهل الاعتزال الذين تمسكوا بظاهر الآية واثبت مذهب اهل السنة في ثبوت رؤية الله عز وجل عيانا بدليل قوله تعالى « وجـوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة » وقوله « كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » وقـوله « للذين أحسنُوا الحُسنى وزَيادة » وقد فسر صلى الله عليه وسلم الزيـادة بالنظر الى وجه الله عز وجل ، ثم يورد حديثا في اثبات الرؤية ، ويفرق بـين الادراك والرؤية لان الادراك الوقوف على كنه الشيء والاحاطة به ، والرؤية المعاينة وقد تكون بلا ادراك ، ثم يورد تفسير سعيد بن المسيب وعطاء وابن عباس ومقاتل بما يؤيد التفسير السابق[٢٣٧] .

وهكذا تناول الامام البغوى مسائل العقيـدة بايجاز ودون ذكـر مفصل لآراء الفرق والمذاهب واهل الكلام ، بل يكتفي بايراد رأي أهل السنة الراجح

---

(٢٣٣) البقرة آية ٩٥ .

(٢٣٤) الزخرف آية ٧٧ .

(٢٣٥) الحاقة آية ٢٧ .

(٢٣٦) معالم التنزيل ٢/٢٨٢ ، وراجع مسألة اخرى في العقيدة ٢/١٩٧ .

(٢٣٧) معالم التنزيل ٢/١٦٦ وراجع الآيات الانعام ١٠٣ ، القيامة ٢٢ ـ ٢٣ ، المطففين ١٥ ، يونس ٢٦ .

مدللا عليه بالمنقول والمعقول •

ففي مقام الرد على من تمسكوا بقوله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم « ••• واستَغفِر اللهَ •• » على جواز صدور الذنب من الانبياء وقالوا لو لم يقع من الرسول صلى الله عليه وسلم ذنب لما أمر بالاستغفار اجاب على ذلك باختصار فقال : والاستغفار في حق الانبياء بعد النبوة على احد الوجوه الثلاثة : اما لذنب تقدم على النبوة او لذنوب امته وقرابته ، او لمباح جاء الشرع بتحريمه فيتركه بالاستغفار ، فالاستغفار يكون معناه السمع والطاعة لحكم الشرع »(٢٣٨).

الاحكام الفقهية :

اهتم الامام البغوى بالاحكام الفقهية خلال التفسير اهتماما فاق اهتمامه بمسائل وقضايا العقيدة السابقة ، ولعل ذلك يرجع الى شغفه وعنايته بالفقه – اجمالا – فهو من أبرز فقهاء الشافعية في عصره ، وقد صنف كتاب التهذيب في الفقه كما صنف كتبا اخرى في الفروع كالكفاية والفتاوى(٢٣٩) •

ومظهر اهتمامه بالاحكام الفقهية في تفسيره نجده واضحا في عقده فصولا لتلك الاحكام ، فمن ذلك عقده فصلا في قدر الصداق وفيما يستحب منه ، ويذكر فيه أقل المهر وأكثره معتمدا على ماورد في سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وذاكرا آراء الصحابة والتابعين ، عمر بن الخطاب وعائشة ، وسفيان الثورى وربيعة ، والفقهاء الاربعة الشافعي واحمد ومالك وابو حنيفة(٢٤٠) •

ويعقد فصلا آخر في أن الطلاق في حال الحيض والنفاس بدعة ،وكذلك في الطهر الذى جامعها فيه لقول النبي صلى الله عليه وسلم « وان شاء طلق قبل ان يمس » •• اما الخلع في حال الحيض او في طهر جامعها فيه فلا يكون بدعيا لان النبي صلى الله عليه وسلم اذن لثابت بن قيس في مخالعة زوجته من

---

(٢٣٨) معالم التنزيل ١/٥٩٥ والاية ١٠٦ من سورة النساء •

(٢٣٩) راجع آثاره ومؤلفاته في هذا البحث •

(٢٤٠) معالم التنزيل ١/٥٠٨ ، وراجع في حكم تزويج المرأة لنفسها ٥/٧٣ •

غير ان يعرف حالها .. »[٢٤١] ويمضى ذاكرا بعض الامور الاخرى التي تتصل بالطلاق موردا رأى الامام الشافعي واحمد ومالك وآخرين .

وفي مسألة الظهار يورد صورة الظهار وصيغته ثم يبين حكم الظهار والعود ، وحكم الكفارة من عتق رقبة او اطعام ستين مسكينا او صيام شهرين متتابعين ... ويذكر خلال ذلك آراء الفقهاء مالك والشافعي وابي حنيفة وغيرهم[٢٤٢] .

وهو كما نلاحظ يذكر احيانا آراء الفقهاء دون ترجيح او ذكر لرأيه ، وفي احيان اخرى يرجح ويختار وينتصر لاحد المذاهب ، كما فعل ذلك في القرء حيث رجح رأى الشافعي ومالك في أنه الطهر ، ودلل على ذلك بما قاله صلى الله عليه وسلم لابن عمر لما طلق امرأته ، وبالمعنى اللغوى في الشعر واقوال اهل اللغة وينتهي قائلا : « فعلى هذا يكون الترجيح فيه للطهر لانه يحبس الدم ويجمعه والحيض يرخيه ويرسله »[٢٤٣] . ثم يفصل حكم العدة للحامل ، ولغير الحامل اذا مات زوجها ، وللمطلقة قبل الدخول ، وبعد الدخول .

وفي الخلاف الذى وقع فى وجوب العمرة او سنيتها يختار الامام البغوى وينتصر لرأى الشافعي فى اصح قوليه ، وهو رأى الثورى واقوال عمر وعلي وابن عمر وابن عباس وعطاء وطاوس ومجاهد والحسن وقتادة وسعيد بن جبير (رضي الله عنهم) في انها واجبة ، ويذكر الرأى الثاني القائل بسنيتها ودليله ثم يقول : والقول الاول اصح ومعنى قوله : « واتموا الحجَّ والعمرةَ للهِ » اى ابتدؤهما فاذا دخلتم فيهما فأتموهما ، فهو أمر بالابتداء والاتمام اى اقيموهما

---

(٢٤١) معالم التنزيل ١٠٧/٧ وراجع في حكم الخلع وآراء الفقهاء فيه ٢٢٩/١ .

(٢٤٢) معالم التنزيل ٤٤/٧ ، وراجع في اقل مدة الحمل واكثره ٦/٤

(٢٤٣) معالم التنزيل ٢٢٥/١ وراجع ٨٨/١ في نقله لرأى الشافعي في وجوب القصاص على من قتل بالسحر .

كقوله تعالى : « ثم اتموا الصيام الى الليل » اى ابدئوه واتموه [٢٤٤] ويورد بعد ذلك حديثين نبويين للاستدلال على وجوب العمرة ثم ينتقل الى انواع الحج والعمرة افرادا وتمتعا وقرانا •

وفي انتصاره لاحد الآراء اورد ثلاثة اقوال في المال المعتبر كنزا مع الادلة في شرحه لقوله تعالى « والذينَ يكنِزونَ الذّهبَ والفضّةَ ولا ينفقونَها في سَبيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذابٍ أليمٍ » ، وهي رأى ابن عمر وابن عباس (رضي الله عنهم) في ان كل مال تؤدى زكاته فليس بكنز وان كان مدفونا وكل مال لاتؤدى زكاته فهو كنز وان لم يكن مدفونا • والرأى الثاني لعلي (رضي الله عنه) في اعتبار كل ما زاد على اربعة الاف درهم فهو كنز اديت الزكاة او لم تؤد • والرأى الثالث في اعتبار كل ما فضل عن الحاجة كنزا ثم يعقب قائلا : « والقول الاول اصح ، ان الآية في منع الزكاة لا في جمع المال الحلال »[٢٤٥] ويستدل على اختياره بحديثين عن الرسول صلى الله عليه وسلم وبقولين لعمر وابنه (رضي الله عنهما) والراجح ما اختاره البغوى لوجود الادلة عليه من الاحاديث الصحيحة ، وهذا ما اختاره القرطبي في تفسيره[٢٤٦] •

ولكن الامام البغوى يكتفي في احيان اخرى بسرد وعرض الآراء ثم يجمل تلك الاراء ويلخصها كما فعل في بيان الفرق بين الفقير والمسكين اللذين تجب لهما الصدقة فيقول بعد ايراده عشرة آراء في ذلك : « وفي الجملة الفقر والمسكنة عبارتان عن الحاجة وضعف الحال ، فالفقير المحتاج الذى كسرت الحاجة فقار ظهره ، والمسكين الذى ضعفت نفسه وسكنت عن الحركة في

---

(٢٤٤) معالم التنزيل ١/١٧٣ ، وراجع في حكم السعي بين الصفا والمروة ١/١٣١ •

(٢٤٥) معالم التنزيل ٣/٨٧ ـ ٨٨ والآية ٣٤ من سورة التوبة •

(٢٤٦) تفسير القرطبى ٤/٢٩٦٤ •

طلب الموت »[٢٤٧] .

واكتفى كذلك بذكر حكم الجهاد عند العلماء في شرحه لقوله تعالى « كُتِبَ عليكم القتالَ » فذكر ثلاثة آراء : الاول انه تطوع ، والثاني انه فرض على كافة المسلمين ، والثالث وهو ما عليه الجمهور : أن الجهاد فرض على الكفاية اذا قام من البعض سقط عن الباقين مثل صلاة الجنازة ورد السلام »[٢٤٨] .

والحقيقة ان هناك رأى آخر يفصل الآراء السابقة التي ذكرها البغوى وهو أن الاصل في الجهاد فرض كفاية ، وقد يكون فرض عين اذا دخل العدو بأرض المسلمين ، وقد ذكره القرطبي عن ابن عطية قال : « والذى استمر عليه الاجماع ان الجهاد على كل امة محمد صلى الله عليه وسلم فرض كفاية فاذا قام به من قام من المسلمين سقط عن الباقين ، الا ان ينزل العدو بساحة الاسلام فهو حينئذ فرض عين »[٢٤٩] .

وهكذا ننتهي من خلال الامثلة السابقة الى ان منهج البغوى في تفسيره لآيات الاحكام كان قائما ـ في الغالب ـ على عرض آراء المذاهب الفقهية المختلفة دون ان يتعصب لمذهبه الشافعي وانه كان يهتم بذكر الادلة من السنة النبوية لبيان الرأى الراجح .

---

(٢٤٧) معالم التنزيل ٣/١٠٩ وراجع في قسمه الزكاة على المحتاجين ٣/١١٤ .
(٢٤٨) معالم التنزيل ١/٢٠٤ والآية (٢١٦) البقرة .
(٢٤٩) تفسير القرطبى ١/٨٤٦ .

الفصل الثالث

مباحث علوم القرآن
في
تفسيره

لقد تعرض البغوى خلال تفسيره لمباحث علوم القرآن ، وهي المباحث المتعلقة بكتاب الله عز وجل من حيث ترتيبه واسباب نزوله ، ومكية ومدنية ، وتفسيره واعجازه ، وناسخه ومنسوخه الى غير ذلك من المباحث .

ولا شك ان كل تفسير لا محالة يعتمد على هذه المباحث ، لان العلم بها من شروط المفسر ، كما انها من تمام تفسير كتاب الله .

وقد تفاوتت درجة اهتمام البغوى بتلك العلوم ، بين التناول السريع ، والوقوف الطويل ، ولكن المهم انه عرض لها وعني بها في مواضعها المناسبة .

والملاحظة الظاهرة على طريقة تناوله لهذه العلوم انه اعتمد في عرضه لها على المأثور من اقوال الصحابة والتابعين دون مناقشة ، وفى احيان قليلة يرى رأيه ويرجح ويختار ما يراه مناسبا .

فمن هذه المباحث التي اشار اليها خلال تفسيره ، بيانه لاول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل .

اما اول ما نزل من القرآن فهو سورة العلق قال البغوى في اول سورة العلق : « اكثر المفسرين على ان هذه اول سورة نزلت من القرآن ، واول ما نزل خمس آيات من اولها الى قوله تعالى ما لم يعلم » ثم اورد حديث عائشة (رضي) في اول الوحي ، ثم اورد رواية اخرى فيها زيادة ، وحديثا آخر عن

عروة عن عائشة قالت « اول سورة نزلت اقرأ باسم ربك »[1] . كما أنه يذكر في اول سورة المدثر عن ابي سلمة بن عبدالرحمن ان اول ما انزل هو يا أيها المدثر » وكان جابر أخبر ابا سلمة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يجعل المدثر اول ما انزل من القرآن[2] . وهناك رأيان آخران لدى المفسرين الاول يقول ان اول ما نزل الفاتحة ويقول الثاني ان البسملة هي اول ما نزل والظاهر ان البغوى وان لم يرجح ويختار احد الرأيين ، لكن الراجح ما جاء عن اكثر المفسرين وهو الرأى الاول ، لان ادلة الاخرين لاتنهض لمعارضة حديث عائشة (رضى) المرفوع المتفق عليه ، وتؤول الاراء الاخرى على انها من اوائل ما نزل من القرآن وليس اول ما نزل[3] .

اما آخر ما نزل من القرآن فقد اورد الامام البغوى عن ابن عباس انه قوله تعالى « واتقوا يوما ترجعونَ فيهِ الى الله » وانه صلى الله عليه وسلم عاش بعدها واحد وعشرين يوما . وقال الشعبي عن ابن عباس (رضى) : آخر آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية الربا[4] وقال البغوى في آخر سورة التوبة عن ابي بن كعب ان آخر ما نزل من القرآن هاتان الآيتان « لقد جاءكم رسول من انفسكم .. » الى آخر السورة ، وقال هما احدث الآيات بالله عهدا »[5] ، وتحدث البغوى في آخر ما انزل من القرآن مرة ثالثة في آخر سورة النساء ، واورد هناك اربعة آراء الاول عن البراء وهو ان آخر ما انزل : خاتمة النساء « يستفتونك في الكلالة » ، والثاني والثالث لابن عباس وهو ان آخر ما انزل آية الربا ، وقوله تعالى « واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله » ، ثم يسوق في الرواية الرابعة ترتيب آخر ما انزل من القرآن الكريم وهو

---

(١) معالم التنزيل ٧/٢٦٨ ، ٢٦٩ ، والآية (١) العلق .
(٢) معالم التنزيل ٧/١٧٢ .
(٣) المدخل لدراسة القرآن الكريم ص١١٧ .
(٤) معالم التنزيل ١/٣٠٤ والآية (٢٨١) البقرة .
(٥) معالم التنزيل ٣/١٧٢

سورة النصر ثم سورة براءة ثم آخر سورة النساء ، ثم ما نزل بعرفة « اليومَ أكملتُ لكُم دِينكم ... »[6] ثم آيات الربا ، ثم « واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله »[7] .

والحقيقة ان البغوى اجمل اكثر الآراء في آخر ما انزل ورتبها ترتيبا حسنا ، وان كان للمفسرين اقوال اخرى منها : ان آخر ما انزل آية الدين ، وقيل ان آخر ما انزل قوله تعالى : « ومَن يَقْتُلْ مؤمناً متعمِّداً فجزاؤُهُ جَهَنَّمُ خالداً فيها وغَضِبَ اللهُ عليه ولعَنَهُ وأعدَّ لَهُ عَذاباً عَظِيما » وهناك رأى أخيرا يقول ان آخر ما نزل هو سورة المائدة . ولكل من هذه الآراء ادلته في اختياره ويبقى ان الراجح في آخر ما انزل هو قوله تعالى : « واتقوا يوماً ترجعونَ فيهِ الى اللهِ ثم توفى كلُ نفسٍ ما كسبتْ وهم لايظلمونَ » لورود هذا الرأى عن اكثر الصحابة (رضى) واختيار اكثر المفسرين له اختيارا لم تظفر به الاقوال الاخرى ، كما ان في هذه الآية مايفيد تحديد الوقت بين نزولها ووفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهي في معناها تناسب حسن الختام لكتاب الله تعالى .

ومباحث علوم القرآن واسعة ولا يمكن الوقوف واستقصاء كل ما ذكره البغوى فى ذلك ، ولهذا رأيت ان اقف على ابرز موضوعات علوم القرآن في التفسير وهو المكي والمدني ، واسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ .

أ ـ المكي والمدني :

للعلماء في تعريفهما اصطلاحات ثلاثة ، لوحظ فيها الزمان والمكان والخطاب ، والاول هو الراجح وما عليه جمهور العلماء ، وهو ان المكي ما نزل قبل الهجرة وان كان نزوله بغير مكة ، والمدني ما نزل بعد الهجرة وان كان

---

(٦) معالم التنزيل ١/٦٣٠ والآيات المائدة (٣) ، البقرة (٢٨١) .
(٧) النساء (٩٣) .

نزوله بغير المدينة[8] .

اما انواع ما نزل من السور فاربعة : مدني خالص ، ومكي خالص ، ومدني بعضه مكي ، ومكي بعضه مدني ..

وقد حدد الامام البغوى اول كل سورة نوعها مكية او مدنية .. فكان المدني الخالص عنده ثماني عشرة سورة ، وهي : البقرة ، آل عمران ، النساء ، النور ، الاحزاب ، محمد ، الفتح ، الحجرات ، الحديد ، المجادلة ، الحشر ، الممتحنة ، الجمعة ، المنافقون ، الطلاق ، التحريم ، البينة ، النصر .

اما السور المكية الخالصة فكثيرة منها : يس ، الصافات ، ص ، غافر ، فصلت ، الشورى ، الزخرف ، الدخان ، الجاثية ، الاحقاف ، الطور ، النجم ، القمر ، الرحمن ، الواقعة ، الحاقة ، المعارج ، نوح ، الجن ، المزمل ، المدثر ... الخ .

وهناك سور مكية فيها آيات مدنية ، ومن ذلك سورة الانعام الا ست آيات وهى من قوله تعالى « وما قَدَروا اللهَ حقَ قَدره .. » الى آخر ثلاث آيات ، وقوله تعالى : « قلْ تعالوا اتل ما حَرَمَ عليكم رَبكُم .. » الى آخر ثلاث آيات . وسورة الاعراف الا خمس آيات ، وسورة ابراهيم الا آيتين ، والرعد الا آيتين ، والحج الا آيتين او ست آيات ، والشعراء الا اربع آيات .. وغير ذلك من السور المكية التى تتضمن بعض المدني ..

وهناك سور مدنية فيها آيات مكية مثل سورة المائدة فهي مدنية الا قوله تعالى : « اليومَ أكملتُ لكمْ دينكم ... »[9] ، وسورة الانفال الا سبع آيات ، وسورة التوبة الا آيتين ... وغير ذلك من السور المدنية التي تتضمن بعض المكي .

---

(8) راجع المدخل لدراسة القرآن الكريم : د . محمد ابو شهبة ص٢٢١ وما بعدها .

(9) المائدة آية (٣) .

وقد ذكر بعض السور التي اختلف فيها فهي مكية وقيل مدنية مثل سورة الانسان ، المطففين ، القارعة ، العصر ، الفلق ، الناس .

والملاحظ في تحديد الامام البغوى لنوع السور انه يعتمد على المأثور من اقوال الصحابة والتابعين ، واحيانا يذكر ذلك دون اشارة الى الاقوال ومصادرها، كما ان البغوى – في ذلك – لايعلق على هذا التحديد ، واحيانا يرجح ويختار مع ذكر الدليل ..

فمن ذلك انه في مستهل سورة الفاتحة ذكر انها على الراجح مكية ، وقيل انها مدنية ، ثم صحح الرأى الاول بدليل ان الله منّ على الرسول بها في سورة مكية ، والمن لايكون قبل نزولها ، يقول البغوى « وهي مكية على قول الاكثرين ، وقال مجاهد مدنية ، وقيل نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة لذلك سميت مثاني ، والاول اصح انها مكية لان الله تعالى منّ على الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله « وَلَقَدْ آتيناكَ سَبْعاً مِن المثاني» [10] والمراد منها فاتحة الكتاب وسورة الحجر مكية فلم يكن يمكن عليه بها قبل نزولها »[11] .

وكذلك يصحح كون سورة الانفال كلها مدنية دون استثناء الآيات السبعة فيقول : « والاصح انها نزلت بالمدينة وان كانت الواقعة بمكة » ..

ب – اسباب النزول :

نزل القرآن الكريم منجما حسب الحوادث والوقائع وحاجات المسلمين، واجابة على اسئلتهم ، وهذا النوع من الايات والسور مرتبط باسباب خاصة نزل بسببها ، وهناك قسم آخر من القرآن الكريم نزل من الله ابتداء من غير سبب نزول خاص ، وانما نزل هداية للخلق وارشادا لهم وتوجيها لما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة وذلك كثير في القرآن الكريم كالايات التي اشتملت

---

(١٠) معالم التنزيل ١٦/١ .
(١١) الحجر آية (٨٧) .

على الاحكام والاداب والتشريعات .

وطبيعي ان نجد الامام البغوي واقفا على اسباب النزول للآيات والسور التي ترتبط بسبب خاص في نزولها لانها من لوازم التفسير ، وبيان المراد من تلك الآيات والسور ذلك لان بعض الايات لايعرف تفسيرها الا بمعرفة سبب نزولها ، ويعين سبب النزول على فهم الحكمة التي اشتمل عليها التشريع .

وطريقة معرفة سبب النزول ، النقل الصحيح بالرواية والسماع ممن شهدوا التنزيل ، وممن اخذ عنهم من التابعين .

وقد تميز تفسيره بذكره لاسباب النزول للآيات المنزلة ايضاحا وتحقيقا للتفسير ، وهو أمر يتفق مع منهجه في التفسير بالمأثور ، وكان يعتمد في ذلك على الاحاديث النبوية والمأثور من اقوال الصحابة والتابعين .

ونسوق بعض الامثلة لنوضح طريقة البغوي في ذكره لاسباب النزول .

يورد الامام البغوي في اول سورة الفلق ثلاث روايات في سبب نزول هذه السورة وسورة الناس ، الاولى عن ابن عباس وعائشة ، والثانية عن عائشة ، والثالثة عن زيد بن ارقم (رضي الله عنهم) ، ثم يروى حديثا عن ابي سعيد في رقية جبريل لرسول الله (عليه السلام) . واكتفى بذكر الرواية الاولى لان بها مغنى عن بقية الروايات وهي : « كان غلام من اليهود يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ندبت اليه اليهود فلم يزالوا به حتى اخذ مشاطة رأس النبي صلى الله عليه وسلم وعدة اسنان من مشطه ، فأعطاها اليهود فسحروه بها ، وتولى ذلك لبيد بن الاعصم رجل من اليهود ، فنزلت السورتان فيه »(١٢) .

وفي سبب نزول سورة الهمزة يورد البغوي اربعة اوجه في ذلك دون ترجيح او اختيار ، فالرواية الاولى عن الكلبي انها في الاخنس بن شريق والثانية

---

(١٢) راجع معالم التنزيل ٣٢٢/٧ ـ وراجع امثلة اخرى في اسباب نزول سورة الكوثر ٣٠٥/٧ ، وسورة تبت ٣١٧/٧ ، والحديث خرّجه الخازن وقال متفق عليه وهو في النسائي/تحريم ٢٠ وابن حنبل ٣٦٧/٤ .

لمحمد بن اسحاق انها في امية بن خلف ، والثالثة لمقاتل انها في الوليد بن المغيرة ، ويجمع مجاهد هذه الاراء ويرى انها عامة في حق كل من هذه صفته ..[13]

وفي قوله تعالى « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي .. » اورد الامام البغوى في سبب نزول الآية خمس روايات مختلفة ، الاولى عن سلمان وخباب بن الارت (رضي الله عنهما) ، والثانية عن الكلبي ، والثالثة والرابعة عن مجاهد ، والخامسة عن سعيد بن المسيب ، وهي تذكر اسبابا متقاربة لنزول هذه الاية تدور حول استكبار الكفار عن مجالسة فقراء المسلمين امثال بلال وصهيب وعمار وخباب ومطالبتهم للرسول الانفراد معهم في مجلسه ، وان يكتب لهم في ذلك صحيفة ، وقد هم الرسول بذلك لولا ان الوحي نزل عليه بالآية ، فالقى الرسول صلى الله عليه وسلم الصحيفة من يده ودعا اصحابه اليه وكان صلى الله عليه وسلم يقول : الحمد لله الذى لم يمتني حتى أمرني ان اصبر نفسي مع قوم من امتي ، معكم المحيا ومعكم الممات »[14] .

كما اورد البغوى اسبابا مختلفة لمنزل واحد وهو قوله تعالى : « قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لاتقنطوا من رحمة الله » ، فالقول الاول عن سعيد بن جبير انها فى ناس من اهل الشرك كانوا قتلوا وزنوا وارادوا كفارة لاعمالهم ، والقول الثانى عن عطاء انها في وحشي قاتل حمزة ، واسلم على اثرها ، والثالث عن ابن عمر في عياش بن ابي ربيعة والوليد ونفر من المسلمين الذين فتنوا بعد اسلامهم فاسلموا وهاجروا ، واخيرا عن مقاتل عن ابن عمر انها فيهم حين رأوا ان الكبائر مهلكة فكفوا عن هذا القول بعد نزول الآية[15] ،

---

(١٣) معالم التنزيل ٧/٢٨٩ .
(١٤) معالم التنزيل ٢/١٣٦ ، والحديث لم أجده ولم يخرجه الخازن ، لكنه خرج لمسلم حديثا فى معناه .
(١٥) معالم التنزيل ٦/٧٩ .
التنزيل ١/٤٦٩ ، ٥١٥ ، ٥/٢٥٩ .

ولا مانع من الجمع بين الاقوال لعدم وقوع التعارض بينها فتكون الحوادث في وقت متقارب ، والاية عامة فيها ٠

وأورد البغوى سببا واحدا لنزول اكثر من اية ، وذلك ماورد عن امسلمة في سؤالها لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن ثواب العمل للمرأة وتمنيها ما للرجال من نصيب كبير في الاجر وحرصها ان يذكرن كما يذكر الرجال ، فنزل قوله تعالى « فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ » ، وقوله « وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ » وقوله « إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ ٠٠ الآية » (١٦) ، وهو رأى كثير من المفسرين ، فتأتي اكثر من آية لسبب واحد تفصيلا وتأكيدا ٠

وقد يورد البغوى سبب نزول الاية ، ثم يختار غيره عليه لان ذلك لايتفق مع مكية السورة مثلا فهو يذكر في قوله تعالى « وهم يكفرون بالرحمن » اقوال قتادة ومقاتل وابن جريج في ان الاية مدنية نزلت في صلح الحديبية حين انكر سهيل بن عمرو البسملة ، فكتبوا باسمك اللهم ٠ » ثم يعلق البغوى قائلا : « والمعروف ان الاية مكية وسبب نزولها ان ابا جهل سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الحجر يدعو يا الله ، يا رحمن ، فرجع الى المشركين فقال : ان محمدا يدعو الهين ، يدعو الله ويدعو الها آخر يسمى الرحمن ولا نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة فنزلت هذه الاية »(١٧) ٠

وقد يورد البغوى سبب النزول دون الاشارة الى مصدر الرواية واصلها كما فعل سورة عبس ، والمجادلة ، اذ ذكر في الاولى قصة ابن ام مكتوم وانصراف الرسول عنه الى زعماء قريش ، وفي الثانية اورد قصة خولة بنت

---

(١٦) الآيات : آل عمران ١٩٥ ، النساء ٣٢ ، الاحزاب ٣٥ ، وراجع معالم التنزيل ٤٦٩/١ ، ٥١٥ ، ٢٥٩/٥ ٠

(١٧) راجع معالم التنزيل ٢٢/٤ والاية ٣٠ من سورة الرعد ٠

ثعلبة التي ظاهرها زوجها اوس بن الصامت[١٨] ولعل البغوى لم يذكر المصدر لاشتهار الرواية وعدم الاختلاف فيها ، ووجود ما يعارضها ..

ويعالج البغوى في اوائل سورة البقرة تفسير الآيات المتصلة بالمنافقين والمشركين واليهود وذاكرا الاسباب الخاصة التي نزلت فيها تلك الآيات دون تفصيل[١٩] .

ج ـ الناسخ والمنسوخ[٢٠] :

النسخ في اللغة ازالة الشيء واعدامه ، ومنه قوله تعالى : « فَيَنسَخُ اللهُ ما يُلقي الشَّيطانُ ثمَّ يحكمُ اللهُ اياتهِ »[٢١] .

وفي الاصطلاح رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي ، والحكمة في نسخ الحكم تدريب وترويض النفوس في قبول الاحكام الشرعية والتدرج من السهل الى الصعب ، ومن الصعب الى الاصعب كموقف الاسلام من شرب الخمر في العصر الجاهلي ، والحكمة في نسخ الحكم بمساوية للابتلاء والاختبار ليعلم المؤمن من المنافق ، واما الحكمة في نسخ الصعب بما هو اسهل منه فتخفيفا على الناس واظهارا لفضل الله ورحمته .

والنسخ في القرآن على ثلاثة أنواع :

١ ـ نسخ التلاوة والحكم معا كالذى ورد عن عائشة (رضي) انها قالت : « كان فيما انزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخن بخمس معلومات » .

٢ ـ نسخ التلاوة دون الحكم كالذى ورد عن عمر بن الخطاب وابي بن كعب

---

(١٨) راجع معالم التنزيل ٧/٢٠٨ ، ٤٢ ، وراجع مثلا آخر ٧/١٧٤ .
(١٩) راجع معالم التنزيل ١/٣٢ ، ٣٦ ، ٤٢ ، ٥٤ ـ وراجع ٣/١١٦ ، ٤/٢٦
(٢٠) راجع مناهل العرفان ٢/٧١ وما بعدها والبرهان ٢/٣٢ وما بعدها .
(٢١) الحج آية ٥٢ .

انهما قالا : « كان فيما انزل من القران : الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما ابتة » .

٣ - نسخ الحكم دون التلاوة ، وقد وقع كثيرا في المصحف ، ومن ذلك نسخ تقديم الصدقه امام مناجاة الرسول في قوله تعالى « يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة » بقوله تعالى « أأشفقتم ان تقدموا بين يدى نجواكم صدقات ؟ فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واطيعوا الله ورسوله »[٢٢] .

وقد قسم الزركشي سور القرآن بحسب ما دخله من النسخ وما لم يدخله الى اربعة اقسام :

١ - ما ليس فيه ناسخ ولا منسوخ (وهو ثلاث واربعون سورة) .
٢ - ما فيه ناسخ وليس فيه منسوخ وهو ست سور .
٣ - ما فيه منسوخ وليس فيه ناسخ وهو اربعون سورة .
٤ - ما فيه ناسخ ومنسوخ وهو اثنتان وثلاثون سورة .

وقد تحدث الامام البغوى عن النسخ خلال تفسيره لقوله تعالى : « ماننسخ من آية أو ننسها ..[٢٣] » فاورد المعنى اللغوى للنسخ ثم انواع النسخ الثلاثة ممثلا لذلك ، وبين ان النسخ يعترض على الاوامر والنواهي دون الاخبار ..

يقول البغوى : « النسخ في اللغة شيئان احدهما : بمعنى التحويل والنقل ومنه نسخ الكتاب وهو ان يحول من كتاب الى كتاب فعلى هذا الوجه كل القرآن منسوخ ، لانه نسخ من اللوح المحفوظ . والثاني : يكون بمعنى الرفع يقال نسخت الشمس الظل اى ذهبت به وابطلته فعلى هذا يكون بعض القرآن

---

(٢٢) المجادلة ١٢ و ١٣ .
(٢٣) البقرة ١٠٦ .

ناسخا وبعضه منسوخا وهو المراد من الآية » .

اما انواع النسخ فعلى وجوه ، أحدهما ان يثبت الخط وينسخ الحكم مثل آية الوصية للاقارب واية عدة الوفاة بالحول واية التخفيف في القتال واية الممتحنة[٢٤] ونحوها ... ثم من نسخ الحكم ما يرفع ويقام غيره مقامه كما أن القبلة نسخت من بيت المقدس الى الكعبة والوصية للاقارب نسخت بالميراث وعدةالوفاة نسختمن الحولالى اربعةاشهر وعشر ، ومصابرةالواحد العشر في القتال نسخت بمصابرة الاثنين ومنها ما يرفع ولا يقام غيره مقامه كامتحان النساء . ومنها ان يرفع تلاوتها ويبقى حكمها مثل آية الرجم ، ومنها أن يرفع أصلا عن المصحف وعن القلوب كما روى عن أبي امامة بن سهل بن حنيف ان قوما من الصحابة رضي الله عنهم قاموا ليلة ليقرؤا سورة فلم يذكروا منها الا بسم الله الرحمن الرحيم فغدوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبروه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك سورة رفعت بتلاوتها واحكامها « وقيل كانت سورة الاحزاب مثل سورة البقرة فرفع اكثرها تلاوة وحكما »[٢٥] .

ومن الامثلة الكثيرة التي نبه الامام البغوى خلال التفسير الى إنها من المنسوخ قطعا ما يلي :

الاتجاه الى بيت المقدس في الصلاة واتخاذه قبلة نسخ بقوله تعالى : « قَدْ نرى تقلُّبَ وَجهِكَ في السَّماء فلنولِّيَنَّكَ قِبْلةً ترضاها فَوَلِّ وجهكَ شطرَ المسجدِ الحرامِ ، وحيثُما كنتم فولُّوا وجوهكُم شطرَهُ » قال البغوى « وأمر القبلة اول ما نسخ من امور الشرع »[٢٦] .

وعدم التعرض للمشركين القاصدين بيت الله الحرام مما ورد في قوله

(٢٤) الايات المذكورة هي : البقرة ١٨٠ ، ٢٤٠ ، الانفال ٦٥ ، الممتحنة ١٠

(٢٥) معالم التنزيل ١/٩٣ ، والحديث قال فيه الخازن : اخرجه البغوى بغير سند ١/٩٤ .

(٢٦) البقرة آية ١٤٤ وراجع معالم التنزيل ١/١٢٠ .

تعالى : « ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا » منسوخ يقول البغوي : وهذه الاية منسوخة بقوله تعالى : « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » وبقوله « فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا » فلا يجوز ان يحج مشرك(٢٧) .

كما ان العفو والصفح عن اهل الكتاب في قوله تعالى : « فاعف عنهم واصفح » منسوخ بآية السيف(٢٨) .

وفي عدة الوفاة نسخ قوله تعالى « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا » قوله تعالى « وصية لأزواجهم متاعا الى الحول غير اخراج » وكانت عدة الوفاة في الابتداء حولا كاملا ثم نسخت باربعة اشهر وعشرا(٢٩) .

وفي فرض قيام الليل على الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه في مستهل الدعوة نزل قوله تعالى « يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ... » فكان صلى الله عليه وسلم واصحابه يقومون على هذه المقادير ، واشتد ذلك عليهم حتى انتفخت اقدامهم فرحمهم الله وخفف عنهم ونسخها بقوله : « فاقرءوا ما تيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى » الاية ، فكان بين اول السورة وآخرها سنة . ثم يورد البغوي حديثا عن عائشة ثم قولا لمقاتل وابن كيسان في أن القيام نسخ بالصلوات الخمس(٣٠) .

ومن المنسوخ بالقرآن والسنة الحكم على الزانية بالحبس في البيت حتى

---

(٢٧) الاية الاولى المائدة ٢ ، والثانية التوبة ٥ ، والثالثة التوبة ٢٨ ، وراجع معالم التنزيل ٢/٥ و ٣/٦٢ .
(٢٨) المائدة ١٣ وراجع معالم التنزيل ٢/٢٧ .
(٢٩) البقرة ٢٣٤ ، ٢٤٠ وراجع معالم التنزيل ١/٢٣٦ .
(٣٠) المزمل ١ ـ ٤ ، ٢٠ وراجع معالم التنزيل ٧/١٦٤ .

المـوت وذلـك في قـوله تعـالى « واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم ، فان شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت ، أو يجعل الله لهن سبيلاً » نسخ ذلك في حـق البكـر بالجلد والتغريب ، وفي حق الثيب بالجلد والرجم ، والجلد في القرآن قـال تعالى « الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائـة جلدة « والرجـم فـي السنة ويورد حديثين في ذلك »[٣١] .

ويورد عن الشعبي ان حكم كتابة الدين والاشهاد والرهـن فرض ثـم نسخ الكل بقوله تعالى « فـأن أمن بعضكم بعضاً فليؤد الـذى أؤتمن أمانته »[٣٢] .

والمنسوخ في القرآن الكريم مما اختلف فيه العلماء ومـن اجـل ذلك يفصل الامام البغوى في ذكر الاراء المختلفة حول الاية نسخا او احكاما ثـم يرجح ويختار ، فمن ذلك ما ساقه حول قوله تعالى « وعـلى الـذين يطيقونه فدية »[٣٣] ، فقد ذكر فيها وجوها اربعـة ، وقـدم رأى الاكثرين اولا ، يقول البغوى : أختلف العلماء في تأويل هذه الآية وحكمها ، فذهب اكثرهـم الى ان الاية منسوخة وهو قول ابن عمر وسلمة بن الاكوع وغيرهما ، وذلك انهم كانوا في ابتداء الاسلام مخيرين بـين ان يصوموا وبـين ان يفطـروا او يفتدوا ، خيرهم الله تعالى لئلا يشق عليهم لانهـم كانوا لم يتعودوا الصوم ثـم نسخ التخيير ونـزلت العزيمة بقـوله تعـالى : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه »[٣٤] ثم اورد رأى قتادة وهي انها خاصة في حـق الشيخ الكبير رخص له ان يفطر ويفدى ثم نسخ ، ورأى الحسن انها خاصة في المـريض خير بين الصوم او الفطر والفداء ، اما الرأى الاخير فقد ذهب جماعـة الى ان

---

(٣١) النساء ١٥ والنور ٢ وراجع معالم التنزيل ١/٤٩٥ ـ ٤٩٧ .
(٣٢) البقرة ٢٨٣ وراجع معالم التنزيل ١/٣٠٥ .
(٣٣)و(٣٤) البقرة ١٨٤ ، ١٨٥ .

الاية محكمة غير منسوخة ، ومعناه وعلى الذين كانوا يطيقونه في حال الشباب فعجزوا عنه في حال الكبر فعليهم الفدية بدل الصوم »[٣٥] .

وفي قوله تعالى : « كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيراً الوصية للوالدين والاقربين » يقول كانت الوصية فريضة في ابتداء الاسلام للوالدين والاقربين على من مات وله مال ، ثم نسخت باية الميراث ، ثم يورد رأيين آخرين الاول قول ابن عباس وطاووس وقتادة والحسن قالوا : ان وجوبها صار منسوخا في حق الاقارب الذين يرثون ، وبقي وجوبها في حق الذين لايرثون من الوالدين والاقارب ، اما الرأى الاخر وقد ذهب اليه الاكثرون « ان الوجوب صار منسوخا في حق الكافة وهي مستحبة في حق الذين لايرثون »[٣٦] .

وفي قوله تعالى « واذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولاً معروفا » يورد خلاف العلماء في حكم هذه الآية فقد رأى انها منسوخة بآية المواريث وهو قول سعيد بن جبير والضحاك ورأى الاخرون انهما محكمة وهو قول ابن عباس والشعبي والنخعي والزهرى ، وقال مجاهد واجبة ما طابت به انفسهم ، وقال الحسن : كانوا يعطون التابوت والاواني ورث الثياب والمتاع ، والشيء الذى يستحيا من قسمته .

ثم يذكر الحكم اذا كان الورثة اطفالا ، وذلك بالاعتذار اليهم ، ويرى البعض وجوب القسمة واخيرا يرجح ويختار فيقول : « وقال بعضهم وهو اولى الاقاويل ان هذا على الندب والاستحباب لا على الحتم والايجاب »[٣٧] .

ولكن البغوى يكتفي — في بعض الاحيان — بذكر الخلاف في حكم الاية

---

(٣٥) راجع معالم التنزيل ١/١٥٢ .
(٣٦) البقرة ١٨٠ وراجع معالم التنزيل ١/١٤٨ — ١٤٩ .
(٣٧) النساء ٨ وراجع معالم التنزيل ١/٤٨٣ .

نسخا او احكاما دون الترجيح او الاختيار ، كما فعل في حكم قوله تعالى « وانْ عاقَبْتُم فعاقِبوا بمثلِ ما عُوقِبْتُم به »[38] اذ اورد رأى ابن عباس والضحاك في ان حكمها كان قبل نزول براءة حين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتال من قاتله ، ومنع من الابتداء بالقتال ، فلما اعز الاسلام واهله نزلت براءة وأمروا بالجهاد ونسخت هذه الاية ... اما النخعي والثوري ومجاهد وابن سيرين فيقولون ان الايه محكمة نزلت في من ظلم بظلامة ، فلا يحل له ان ينال من ظالم اكثر مما نال الظالم منه »[39] .

وهكذا نجد الامام البغوي قد اعتنى بمباحث علوم القرآن ذات الصلة الوثيقة بالتفسير بمقدار ما يكشف عن المعنى ويوضح المراد متجنبا الاطالة والتفصيل ، علما بانه قد افرد في مقدمة تفسيره فصولا ثلاثة في فضائل القرآن وتعليمه ، وفضائل تلاوة القرآن ، وفي وعيد من قال في القرآن برأيه .

---

(38) النحل ١٢٦ .

(39) راجع معالم التنزيل ٤/١٢٦ .

الباب الثالث

البغوى وتفسيره في الميزان

الفصل الاول : آراء العلماء فيه والمآخذ عليه :

للحكم على اى علم من الاعلام لابد ان نأخذ باقوال العلماء المتمدين والمعتبرين بذلك ، وخاصة بالنسبة لاولئك المشتغلين بكتاب الله وسنة رسوله فلابد من الكشف عن ملامح شخصياتهم ومقدار علمهم وصلاحهم ، ونحن نعلم ان هناك من علماء المسلمين من اهتم بمعرفة احوال هؤلاء الرجال وكشفها تعديلا وجرحا ، ولذلك فلابد من الرجوع اليهم لتقويم الشخصية التي نكتب عنها ..

ومن خلال الاطلاع على آراء العلماء في الامام البغوى وجدنا ان الكثير منهم او كلهم اثنوا عليه وعلى تفسيره وعدوه عالم اهل خراسان ، ولا عجب فقد كان بحرا في العلوم بارزا متفوقا في التفسير والحديث والفقه ، يقول ابن كثير : « برع في هذه العلوم وكان علامة زمانه فيها »[١] ، وقال ابن الاهدل « هو صاحب الفنون الجامعة والمصنفات النافعة »[٢] .

ففي الحديث كان على اعلى درجة من التوثيق والتعديل ، يقول عنه ابن نقطة « امام حافظ ثقة »[٣] ، ويقول عنه اليافعي « المحدث المقرىء صاحب التصانيف »[٤] ، ويقول ابن تغرى بردى « كان اماما حافظا »[٥] .

وفي الفقه كان من ابرز فقهاء الشافعية يقول الامام الذهبى : « الامام

---

(١) البداية والنهاية ١٢/١٩٣ .
(٢) شذرات الذهب ٤/٤٨ .
(٣) تكملة الاكمال (خ) غير مرقمة .
(٤) مرآة الجنان ٣/٢١٣ .
(٥) النجوم الزاهرة ٥/٢٢٣ .

الحافظ الفقيه المجتهد »[٦] ، ويقول فيه الامام السبكي « لـه في الفقه اليـد الباسطة »[٧] ويقول ايضا « وفي الفقه متسع الدائرة نقلا وتحقيقا »[٨] .

اما في التفسير فقد اثنى العلماء عليـه وذ ـروا بالتقـدير والاستحسان تفسيره معالم التنزيل .

يقول الامام الذهبي : وله القدم الراسخ في التفسير[٩] ، ويقول الامـام السبكي « وقدره عال في الدين والتفسير »[١٠] ، ويقـول السيوطي « وكـان اماما في التفسير »[١١] . وشهد له احد علماء الشيعة وهو الخوانساري بالتفوق في ميدان التفسير فقال : « كان هذا الشيخ اماما بارعـا عـديم النظير في علـم التفسير »[١٢] .

ومؤلفاته في الحديث والفقه والتفسير تشهد بعلو كعبه وطـول باعه في تلك العلوم .

وهكذا نجد الامام البغوى في ميزان العلماء صاحب مكانة عالية في العلوم وخاصة التفسير والحديث والفقه ، كما كان قدوة زاهدا ذا تعبد ونسك وقـد وصفه الامام السبكي بوصف شامل جامع فقال « كان اماما جليلا ورعا زاهـدا فقيها محدثا مفسرا جامعا بين العلم والعمل سالكا سبيل السلف »[١٣] .

وهكذا جاءت شهادة من ترجم له تؤكد فضله وتقدمه في ميدان التفسير فضلا عن علوم الشريعة الاخرى .

---

(٦) طبقات الحفاظ ص٤٥٧ .
(٧)و(٨) طبقات الشافعية الكبرى ٧/٧٥ ، ٧٦ .
(٩) سير اعلام النبلاء خ ١٠٣ ب .
(١٠) طبقات الشافعية الكبرى ٧/٧٦ .
(١١) طبقات المفسرين ص١٢ .
(١٢) روضات الجنات ٣/١٨٧ .
(١٣) طبقات الشافعية الكبرى ٧/٧٥ .

وقد تلقى العلماء والمتخصصون بالتفسير تفسيره بالقبول والاعجاب ، وكان نصيبه الرواج والانتشار[١٤] فاعتمدوا عليه واعتنوا به ، والفوا عليه التفاسير المفصلة والمختصرة ، فكان ان الف الامام علاءالدين علي بن ابراهيم الشهير بالخازن (ت ٧٢٥) تفسيره لباب التأويل منتخبا ومختصرا من معالم التنزيل للبغوى ، ومضيفا ومكملا عليه بعض ما رآه مناسبا ..

كما اختصر تفسير البغوى الشيخ تاج الدين الحسيني (ت ٨٧٥)[١٥] .

وقد أثنى الامام الخازن في مقدمة تفسيره على تفسير الامام البغوى فقال عنه : « من اجل المصنفات في علم التفسير ، واعلاها وانبلها واسناها ، جامعا للصحيح من الاقاويل ، عاريا عن الشبه والتصحيف والتبديل ، محلى بالاحاديث النبوية مطرزا بالاحكام الشرعية ، موشى بالقصص الغريبة واخبار الماضين العجيبة ، مرصعا بأحسن الاشارات ، مخرجا باوضح العبارات ، مفرغا في قالب الجمال بأفصح مقال .. »[١٦] .

وانتفع الامام برهان الدين الزركشي في (البرهان) ببعض آراء الامام البغوى خاصة فيما له صلة بمباحث علوم القرآن[١٧] .

كما أثنى عليه الامام ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) ، وامتدح تفسيره ، وفضله على غيره من التفاسير ، وجعله اقرب التفاسير الى الكتاب والسنة وابعدها واسلمها من البدعة والاحاديث الضعيفة »[١٨] ، ولاشك انها شهادة علمية كبيرة ان يمنح الامام ابن تيمية تفسير البغوى هذه المنزلة والقيمة العلمية ..

والحقيقة ان شهادة الامام ابن تيمية في شأن تفسيره وان كانت غير مسلم

---

(١٤) دائرة المعارف الاسلامية ٢٨/٤ ·
(١٥) كشف الظنون ١٧٢٦/١ ·
(١٦) لباب التأويل ٣/١ ·
(١٧) راجع البرهان في علوم القرآن ٣٣/١ ، ٨٩/٢ ·
(١٨) راجع مقدمة في اصول التفسير ص٧٦ ·

بها في بعض تفاصيلها لوجود الاخبار الاسرائيلية في تفسير البغوى الا انها تبقى ذات قيمة كبيرة ترفع من مكانة هذا التفسير لاعتماد صاحبه على الكتاب وصحيح السنة في المقام الاول ، خاصة وان البغوى من أئمة علماء الحديث والسنة المشرفة .

وهكذا نقف على اجماع العلماء ـ الذين ترجموا له ـ على تقدم الامام البغوى ورفعة شأنه ، وجودة وحسن تفسيره معالم التنزيل .

وان كان ثمة مآخذ فموجهة على ناحية واحدة ، وهي ما في تفسيره ـ كغيره من التفاسير ـ من الاخبار الموضوعة والاسرائيليات ، من غير أن يجد حرجا في روايتها او التعقيب عليها بشيء لتفنيدها ، وهو العالم البارع في الحديث الملقب بمحي السنة .

وقد نبه الى ذلك الشيخ محمد الكتاني فقال « وقد يوجد فيه من المعاني والحكايات ما يحكم بضعفه او وضعه »[19] .

والحقيقة ان تفسيره ـ وان حوى الاسرائيليات ـ فهو في ذلك اقل من غيره من التفاسير خاصة تفسير الكشف والبيان للثعلبي الذى اختصر الامام البغوى تفسيره منه واعتمد عليه ، كما يشير هو في مقدمة تفسيره الى ذلك .

وتكاد التفاسير كلها تكون متورطة في مثل تلك الاخبار التي تتصل بقصص الانبياء واخبارهم مع اقوامهم ، وبعض الامور الغيبية .. حتى ان الامام ابن كثير الذى تميز بيقظته من هذه الاخبار لم ينج منها[20] ، علما بأن بعض الاخبار الاسرائيلية لاغبار ولا اعتراض عليها ما دامت موافقة شرعنا خاصة اذا كانت مما لايتصل بالعقيدة والاحكام الشرعية ، كما ان تلك الاخبار لها طرقها التي ينظر فيها ، فيقبل ما كان صحيحا ، ولم يرد في شرعنا ما يدل على نسخه

---

(١٩) الرسالة المستطرفة ص٧٨ .

(٢٠) راجع في اسرائيليات لم يتعقبها تفسير ابن كثير ١/١٧٩ ، ٣/١٤٥ .

او رفعه عنا ، وندع غير الصحيح .

وقد اشار بعض الدارسين المحدثين الى ما داخل تفسير البغوى من الاسرائيليات وآخذوه على ذلك كالدكتور محمد حسين الذهبي ، والدكتور محمد محمد ابو شهبة والدكتور رمزى نعناعه والدكتور عبدالله شحاته[21] .

ولكن في النهاية نقول كما قال الدكتور الذهبي : « وعلى العموم فالكتاب في جملته احسن واسلم من كثير من كتب التفسير بالمأثور »[22] .

ويقول الدكتور منيع عبدالحليم في الامام البغوى أنه استكمل عدة التفسير في اللغة العربيه وبرع في السنة النبويه واتقن القراءات فينتهي الى « أن له جوانب تجعله من الطبقة الممتازة »[23] .

وهكذا ننتهي الى ان الذين ترجموا وتحدثوا عنه من قدماء ومحدثين رفعوا من قدره واشادوا بتفسيره ، وعدوه اماما في التفسير ، كما اعتبروا تفسيره من احسن التفاسير في بابه ، وان كانوا لاحظوا عليه ايراده للاسرائيليات .

اما تفسيره فقد سبقت الاشارة الى انه من التفاسير المتوسطة المعتمدة على الكتاب والسنة في المقام الاول ، والمأثور من اقوال الصحابة والتابعين بالدرجة الثانية ..

---

(٢١) راجع التفسير والمفسرون ١/٢٣٧ ، الاسرائيليات والموضوعات ص١٨٠ الاسرائيليات واثرها في كتب التفسير ٢٦٤ تاريخ القرآن والتفسير١٧٨ .

(٢٢) التفسير والمفسرون ١/٢٣٨ .

(٢٣) مناهج المفسرين ص١٣٤ .

الفصل الثاني

البغوى بين الثعلبي والخزن

بعد ان درسنا حياة الامام البغوى ، ووقفنا على منهجه في تفسيره (معالم التنزيل) بصورة مفصلة ، لابد ان نستوفي الدراسة ونستكمل الصورة باجراء الموازنة والمقارنة بينه وبين شيخه الذى اختصر منه تفسيره وهو الثعلبي صاحب الكشف والبيان ، كي يتسنى لنا معرفة مدى تأثيره به من ناحية ، ومن ناحية اخرى ندرس تأثيره نيمن بعده وذلك في الامام الخازن الذى الف تفسيره (لباب التأويل في معانى التنزيل) على تفسير البغوى وهكذا يقوم هذا الفصل على اجراء هذه المقارنة بين نفسير البغوى وتفسيرى الثعلبي والخازن وفي ضوء ذلك تتبين لنا خصائص تفسير البغوى وابرز مقوماته التى انفرد بها وتميز عن غيره من المفسرين •

اولا : الثعلبي :

هو احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي[٢٤] ،كان اوحد زمانه في علم التفسير ، وصنف التفسير الكبير الذى فاق غيره من التفاسير ، وله كتاب العرائس في قصص الانبياء (صلوات الله وسلامه عليهم) وغير ذلك •

كان كثير الحديث كثير الشيوخ ولهذا يوجد في كتبه من الغرائب شيء كثير ، ذكره الفارسي فى تاريخ نيسابور فقال : « صحيح النقل موثوق به » •

---

(٢) راجع ترجمته في وفيات الاعيان ٢٢/١ ، انباه الرواة ١١٩/١ ، معجم الادباء ٣٦/٥ طبقات الشافعية ٥٨/٤ ، البداية والنهاية ٤٠/١٢ ، بغية الوعاة ٣٥٦/١ •

ومن شعره :

واني لادعو الله والامـر ضيق علي فمـا ينفـك ان يتفـرجا
ورب فتى سدت عليه وجوهه اصاب له في دعوة الله مخرجا

توفي سنة ٤٢٧ هـ وقيل ٤٣٧ هـ .

ويدافع القاسمي عنه فيقول : وقد رأيت ممن يـدعي الفضل الحط مـن كرامة الامام الثعلبى لروايته الاسرائيليات ، وهذا وايم الحق مـن جحد مزايا ذوى الفضل ومعاداة العلم ، على انه ـ قدس سره ـ ناقل عن غيره وراو ماحكاه بالاسانيد الى أئمة الاخبار وما ذنب مسبوق بقول نقله باللفظ او عزاه لصاحبه ؟

ثم يقول : فلا ينبغي الا تفنيد الموضوع منها لا الحط من مقامهم وقرض اعراضهم . كيف وقد تلقى الصحابة ومن بعدهم الاسرائيليات وحكوها ، بـل بعضهم اقتنى اسفارها وادمن مطالعتها لما استبان له من البشائر النبـوية وتحقق تحريفهم[٢٥] .

اما تفسيره فضخم كبير من التفاسير المطولة سماه (الكشف والبيان عـن تفسير القرآن) ولم يزل مخطوطا لم يحقق او ينشر بعـد ، ومنه نسخة ناقصة في المكتبة الازهرية بالقاهرة[٢٦] تتضمن سورة الفاتحة والبقـرة .. وبعض سور القرآن .

وقد تيسر لي الاطلاع على قسم من هـذه المخطوطة ، وهـو فيما يتصل بسورة الفاتحة وجزء من البقرة وسورة الرعد ، وقد اجريت فـي ضوء ذلك المقارنة بينه وبين البغوى .

قدم الثعلبى لتفسيره بمقدمة مستفيضة تقع في ثلاث عشرة ورقة ذكر فيها

---

(٢٥) تفسير القاسمي ١/٤١ ـ ٤٢ .
(٢٦) صورة منها بمكتبة مركز البحث العلمي التابـع لكلية الشريعـة بمكـة المكرمـة .

دواعي تأليفه لهذا التفسير وذلك انه وجد اهل التفسير على فرق كثيرة وذكر منها ست فرق ، وقال بان لكل غرض محمود وسعي مشكور ، ولكنه لم يعثر في هذا الشأن على كتاب جامع ، ورأى رغبة الناس عن هذا العلم فعزم على التاليف فيه ، ثم جاء تفسيره بناء على طلب قوم من الفقهاء المبرزين والعلماء المختصين فاجابهم الى ذلك تقربا لله تعالى[27] .

ويمضي الثعلبي في مقدمته فيذكر انه تلقى العلم على مشايخ اثبات يقرب عددهم من ثلثمائة شيخ ، وقد نسق تفسيره حسب قدرته ، ثم ذكر خمس فوائد مما ينبغي ان يدركها كل مؤلف سبق في تأليفه .

ثم يبين منهجه وطريقته في التفسير ويقول بانه صنف وخرج الكلام فيه على اربعة عشر نحوا هي :- البسائط والمقدمات ، والعدد والتنزيلات ، والقصص والنزولات ، والوجوه والقراءات ، والعلل والاحتجاجات ، والعربية واللغات ، والاعراب والموازنات ، والتفسير والتأويلات ، والمعاني والجهات ، والغوامض والمشكلات ، والاحكام والفقهيات ، والحكم والاشارات ، والفضائل والكرامات ، والاخبار والمتعلقات[28] .

ويتبين من ذلك انه اراد ان يجعل تفسيره جامعا شاملا لكل ما يكشف عن معاني الآيات ليغني بتفسيره عن التفاسير الاخرى .

ويورد بعد ذلك مصادره التي اعتمد عليها في تفسيره وهي تزيد على خمسين مصدرا واكثرها في التفسير بالمأثور ثم المصادر التي تتصل باللغة العربية وكتب المعاني والنظائر والنظم والغريب والمشكلات وكتب القراءات ثم كتب المغازي والاخبار .

والملاحظ ان مصادر البغوي تمثل الجزء المهم من مصادر الثعلبي ، لكن

---

(27) راجع الكشف والبيان (خ) ۲ أ .
(28) الكشف والبيان (خ) ۲ ب .

الثعلبي يزيد في مصادره على البغوى واسوق الان المصادر التي ذكرها الثعلبي ولم يعتمد عليها البغوى :

تفسير ابن عيينة ، تفسير وكيع بن الجراح ، وهشيم بن بشير ، وشبل ابن عباد المكى ، وورقة بن عمرو ، وروح بن عبادة القيسي (طريقان) ، ومحمد بن يوسف الفرياني ، قبيصة بن عقبة السداني ، ابى حذيفة موسى ابن مسعود النهدى ، وسعيد بن منصور ، وعبدالله بن وهب القرشي ، وعبد الحميد بن حميد الكشي ، ومحمد بن ايوب الرازى ، وابى بكر عبدالرحمن بن كيسان الاصم ، والاشج ، المسيب بن شريك ، وعبدالله بن حامد ، وابى بكر بن عبدوس ، وابي عمرو الفراتى ، وابى بكر بن فورك ، وابي القاسم ابن حبيب ، وابي الحسن محمد بن القاسم الفقيه ، وعطاء الخراساني ، وعطاء ابن دينار ، والرازى والواقدى ، وابن جريج ، والثورى . وكتاب الانوار ، وكتاب الغاية ، وكتاب الواضح ، وحقائق التفسير للسلمي وكتاب الوجوه لعبدالله الاصبهاني ، ومعاني الكسائى ، والزجاج ، وغريب الاخفش والنضر بن شميل والمؤرج ، ومشكل قطرب والقتيبي وكتب القراءات للانصارى وخلف وابى عبيد القاسم بن سلام وابى حاتم وابى معاذ وهارون والقطيعي[29] .

وتدل هذه الكثرة فى المصادر التي استعان بها في تفسيره ان تفسيره حشد فيه صاحبه آثار العلماء السابقين ، وجمع فيه آراء واقوالا ووجوها وتفسيرات كثيرة ، وهو وان كان اتجاهه الى المأثور لكنه استوعب جوانب اخرى تتصل باللغة العربية والفقه والعقيدة وغير ذلك . وهذا ما جعل تفسيره فاقدا لعنصر التنظيم والتنسيق وقد قال فيه ابن تيمية « والثعلبي هو في نفسه كان فيه خير ودين ولكنه كان حاطب ليل ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع »[30] .

---

(٢٩) راجع الكشف والبيان (خ) ورقة ٣ أ — ٩ ب .
(٣٠) مقدمة في اصول التفسير ص٧٦ .

ثم افرد بابا في فضل القرآن واهله وتلاوته ذكر فيه عشرة احاديث وبابا آخر في فضل علم القرآن والترغيب فيه وذكر فيه خمسة احاديث وبابا ثالثا في معنى التفسير والتأويل والفرق بينهما[٣١] .

ثم يبدأ تفسير القرآن سورة سورة فيبندىء بسورة الفاتحة ويذكر عدد آياتها وحروفها ثم ما يتصل بمكيتها ومدنيتها ثم يذكر اسماءها ويذكر في فضلها ستة أحاديث .

ويعتبر تفسير الثعلبي من ابرز كتب التفسير بالمأثور وهو والبغوى في ذلك متفقان ، ولذلك فنحن نجد تفسير الاخير يطابق في كثير من الاحيان تفسير الثعلبي حيث يورد في بيان معنى الآية اسماء الصحابة والتابعين انفسهم الذين وردوا فى تفسير الثعلبى وخاصة ما جاء فى معنى الحروف المقطعة وفضائل السور ومن ذلك ما ورد فى تفسيريهما فى معنى تشابه ثمار الجنة حيث نقل رأى ابن عباس ومجاهد والربيع والحسن وقتادة ومحمد بن كعب .. ولكن البغوى يزيد عليه فى ايراده لحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم فى وصف اهل الجنة[٣٢] .. وهكذا نجد البغوى معتمدا اعتمادا واضحا على تفسير الثعلبى وخاصة فى المأثور من التفسير .. ولكن الثعلبى اكثر اهتماما وشغفا بايراد تلك الاراء .

ومن هنا انتقلت عدوى الاسرائيليات من تفسير الثعلبى الى تفسير البغوى فقد ذكر كلاهما تلك الاخبار فى سياق تفسير الايات ، ومن ذلك ما جاء حول تفسير قوله تعالى « واتَّبَعُوا ما تَتْلوا الشَّياطِينُ على مُلْكِ سُلَيمانَ » فقد

---

(٣١) راجع الكشف والبيان (خ) ورقة ٩ ب ـ ١٢ ب .
(٣٢) قارن بين الكشف والبيان ٥٢ ب ومعالم التنزيل ١/٤١ .
(٣٣) قارن بين الكشف والبيان ٩١ ب ومعالم التنزيل ١/٨٩ ، والآية ١٠٢ البقرة .
(٣٤) الكشف والبيان ٢٥ أ . والايات ٣٦ التوبة ، ٥٣ الصافات .

فقد ذكرا الشيء الكثير من الاخبار الاسرائيلية عـن سليمان عليـه السلام ، وزاد الثعلبي على البغوى رواية لعكرمة • ومثل ذلك جاءت الاسرائيليات حول الملكين ببابل هاروت وماروت وزاد الثعلبي على البغوى في ذكره اقـوالا مأثورة في سب الزهرة ..[٣٣] •

اما عناية الثعلبي واهتمامه بتفسير القرآن بالقرآن فقليل ومحدود ، فهو لايعنى كثيرا بايراد النظائر والايات التى تتفق فى المعنى الواحد ولكنه يورد في مقام بيان وايضاح معنى الآية آية اخرى تجلو الغموض عن الاية السابقة فمن ذلك ما ذكره في معنى « يوم الدين » انه « يوم الحساب » ودليله قوله عـز وجل : « ذلكَ الدينُ القَيِّمُ » اى الحساب المستقيم • وقيل الدين الجـزاء ودليله قوله تعالى : « أئنَّا لمدينُونَ » اى مجزيون[٣٤] •

وكذلك فقد فسر قوله تعالى « انعمت عليهم » بآية اخرى ذكرت اصناف المنعم عليهم[٣٥] • وفي استعجال الكفار للسيئة تحديا واستكبارا يورد نحو هذا القول من آية اخرى[٣٦] •

اما استشهاده وايراده للاحاديث النبوية بما يفسر معاني الآيـات فقليل يفوقه في هذاالجانب الامام البغوى[٣٧] ، ولا غرابة فى ذلك فقد كان البغوى معروفا بهذا الاهتمام لكونه محدثا معنيا بالسنة النبوية • ومع ذلك فـلا نعـدم مواضع في تفسير الثعلبي يورد فيها الاحاديث النبوية خلال التفسير كما فعـل في تفسيره لقوله تعـالى « والـذينَ يصلُونَ ما أمرَ اللهُ به أنْ يوصَلَ » فقد اورد خمسة احاديث في صلة الرحم في الوقت الذى ذكر البغـوى ثمانية

---

(٣٥) الكشف والبيان ٢٨ أ •

(٣٦) الكشف والبيان (خ) غير مرقمة والاية في سورة الرعد وراجع مثلا اخرا في آخر سورة الرعد •

(٣٧) قارن بين التفسيرين (٧٨) ب و (٧٩) أ و ٧٤/١ حيث يذكر الاخير فى هذا الموضع ثمانية احاديث •

احاديث في هذا الموضع[٣٨] .

والملاحظ ان الثعلبي لم يذكر اسانيده في التفسير بالمأثور خلال التفسير اختصارا لانه قد سبق ان ذكر تلك الاسانيد في مقدمة الكتاب ، اما الاحاديث فلا يلتزم بذكر اسانيدها كما التزم البغوى بذلك فى تفسيره .

ومثل اهتمامه الكبير في التفسير بالمأثور جاء اهتمامه بايراد القراءات المختلفة للكلمة الواحدة ، ولا نكاد نمر بآية الا واورد لها وجوها عديدة من القراءات ومن ذلك ما ذكره من القراءات المختلفة لكلمة « الحمد ورب ومالك وصراط وعليهم » . وهي كلها من سورة الفاتحة ، وقد اورد للكلمة الاخيرة سبع قراءات[٣٩] . كما ذكر سبع قراءات لكلمة « نُنسِها » التي وردت في سورة البقرة[٤٠] . وهو كما هو ظاهر قد فاق البغوى فى هذا الجانب .

ويزيد اهتمام الثعلبي باللغة على اهتمام البغوى بها فهو يطيل الوقوف على معنى الكلمة الواحدة واصلها اللغوى واشتقاقها وتصريفها وهو أمر يطرد كثيرا في تفسيره فمن ذلك ذكره لكلمة العالمين اثني عشر قولا وتفصيله لاصلها اللغوى[٤١] وعلى النحو نفسه وقف على كلمة (الرب) و (الضالين)[٤٢] مبينا معنيهما ومفصلا في الشرح ، وهو فى ذلك يستشهد بالابيات الشعرية واقوال اللغويين .

وهو كذلك من المهتمين بالمسائل النحوية خلال التفسير ويذكر وجوه الاعراب المختلفة في الكلمة الواحدة كما يذكر بعض القواعد النحوية ومن

---

(٣٨) قارن بين الكشف والبيان (خ) غير مرقمة والموضع في سورة الرعد آية ٢١ ، معالم التنزيل ٤/١٧ .
(٣٩) راجع الكشف والبيان (خ) ١٠٥ أ ، ٩٢ أ .
(٤٠) راجع الكشف والبيان (خ) ٢٨ أ .
(٤١) راجع الكشف والبيان ٩٤ ب .
(٤٢) راجع الكشف والبيان (خ) ٣ أ و ٢٨ب .

ذلك موقفه على كلمة (لكن) وعملها النحوي[43] .

وقد وقف الثعلبي في تفسيره لايات الاحكام على تلك الاحكام ، واورد آراء الفقهاء فيها واختلافهم في بعض المسائل ومن ذلك ما تحدث فيه حول مسالة وجوب قراءة الفاتحة في الصلاة واختلاف العلماء في قراءة المأموم لها[44] .

وكذلك قد أورد آراء الفقهاء في اقل واكثر مدة الحمل وذلك في تفسيره لقوله تعالى « اللهُ يعلمُ ما تَحمِلُ كُلُّ أنثى وما تغيضُ الارحامُ وما تزدادُ »[45] .

كما تعرض الثعلبي لآراء اهل الكلام من المعتزلة والجهمية[46] واهل السنة في المسائل التي تتصل بالعقيدة ، ومن ذلك ما ورد من خلاف في خلود ودوام الجنة ، وذلك خلال تفسيره لقوله تعالى « أُكُلُهَا دَائِمٌ وظِلُّها » وفيه رجح رأى اهل السنة[47] .

كما اورد رأى القدرية في أن جنة آدم وحواء لم تكن الا بستانا من

---

(43) راجع الكشف والبيان (خ) ٩٠ أ .
(44) راجع الكشف والبيان (خ) ٣٢ب ٣٣ أ .
(45) راجع الكشف والبيان (خ) غير مرقمة خلال سورة الرعد آية ٨ .
(46) المعتزلة : هم اصحاب عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء الغزال ، سموا بذلك لما اعتزلوا الجماعة بعد موت الحسن البصري رحمه الله في اوائل المائة الثانية ، وبنوا مذهبهم على خمسة اصول سموها : العدل ، والتوحيد ، وانفاذ الوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ... ولهم فرق كثيرة ، راجع الملل والنحل ص٤٩ ـ ٧٨
الجهمية : هم المنتسبون الى جهم بن صفوان السمرقندي ، وهو من الجبرية الخالصة وافق المعتزلة في نفي الصفات الازلية ، وزاد عليهم باشياء منها : انه لايجوز ان يوصف الباري بصفة يوصف بها خلقه ، وان الانسان لايقدر على شيء وانه مجبور في افعاله لاقدرة ولا ارادة ولا اختيار ... الخ راجع الملل والنحل ص٧٩ ـ ٨١
(47) راجع الكشف والبيان (خ) غير مرقمة خلال سورة الرعد آية ٣٥ .

البساتين ورد على رأيهم ودحض حججهم(٤٨) .

كما تعرض الثعلبى لمباحث علوم القرآن التي تتصل بتفسير كتاب الله تعالى وخاصة اسباب النزول حيث يشير الى الحوادث والمواقف التي نزلت بها الآيات القرآنية وهي كثيرة(٤٩) .

كما وقف على معنى النسخ وانواعه وضرب لكل نوع الامثلة(٥٠) ، وهو خلال التفسير ينبه الى المنسوخ والناسخ من الآيات(٥١) .

ونخلص من هذا كله الى ان التقارب واضح بين تفسيرى الثعلبى والبغوى وان كان تفسير الاول اوسع بكثير من الآخر لكن الاخير لم يكن في تفسيره عالة على الثعلبى بما تميز به تفسيره من الاعتماد على الكتاب والسنة بصورة ظاهرة وبما تمتع به من تنظيم وترتيب .

ثانيا : الخازن :

هو علي بن محمد بن ابراهيم بن عمر بن خليل الشيّحي (نسب الى شيحة من عمل حلب) البغدادى الصوفي علاء الدين خازن الكتب بالسميساطية ولد سنة ٦٧٨ هـ بغداد وسمع بها من ابراهيم الدواليبي وقدم دمشق فسمع من القاسم بن مظفر ووزيرة بنت عمر ، واشتغل كثيرا وجمع تفسيرا كبيرا سماه التأويل لمعالم التنزيل ، وشرح العمدة وسماه عدة الافهام في شرح عمدة الاحكام في فروع الشافعية ، وهو الذى صنف مقبول المنقول في عشر مجلدات جمع فيه بين مسند الشافعي وأحمد والستة والموطأ والدارقطنى ، فصارت عشرة كتب ورتبها على الابواب ، وجمع سيرة نبوية مطولة ، وكان حسن السمت والبشر والتودد ، قاله ابن رافع مات في آخر شهر رجب او مستهل شعبان

---

(٤٨) راجع الكشف والبيان ٥٨ ب .
(٤٩) راجع الكشف والبيان (خ) مثلا ٩٣ أ ، ٢٢ ب ، ٩٤ أ .
(٥٠) راجع الكشف والبيان (خ) ٩٥ أ .
(٥١) راجع الكشف والبيان (خ) ٩٨ أ و ١٩٤ أ .

سنة ٧٤١ هـ بحلب[٥٢] .

اما تفسيره (لباب التأويل في معاني التنزيل) فقد ألفه على معالم التنزيل للبغوى وطبعا معا ، واستهله بقدمة مهمة وفيها :

بعد الحمد لله والصلاة على رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم ذكر الحكمة من ارسال الرسول ومهمته ، وتحدى القرآن للخلائق على مر الزمان، ثم ما احتوى عليه القرآن من أمر ونهي واحكام ... ثم اهمية تفسيره لمعرفة علوم القرآن ، بعد ذلك امتدح علماء التفسير ومنهم البغوى . وكل ذلك باسلوب مشابه لاسلوب البغوى فى مقدمته .

منهجه في التفسير :

ذكر الخازن سبب اختياره لمعالم التنزيل وتأليفه عليه ، وقال بأنه اجل المصنفات في علم التفسير واعلاها وانبلها واسناها جامعا ... » فكانت هذه الاوصاف هي سبب اختياره والاعتماد عليه فى مؤلفه . ثم ذكر ما قام بهووصف منهجه في تفسيره وقال بان مهمته هى الانتخاب منه مختصرا جامعا لمعاني التفسير ولباب التأويل محتويا على خلاصة معالم التنزيل ومتضمنا لفوائده واصوله مع فوائد اخرى نقلها ولخصها من كتب التفاسير المصنفة فى سائر العلوم ولم يجعل لنفسه تصرفا سوى :

١ ـ النقل والانتخاب دون تطويل واسهاب .
٢ ـ حذف الاسناد ليكون اقرب الى تحصيل المراد .
٣ ـ خرّج الاحاديث وبين اسم ناقلها ، وجعل عوض كل اسم حرفا يعرف

به ، فالذى من صحيح البخارى (خ) ، ومسلم (م) وما اتفقا عليه

(٥٢) الدرر الكامنة ١٧١/٣ لابن حجر ، الاعلام ١٥٦/٥ .

(ق) . اما ما كان من كتب السنن الاخرى فيذكر اسمه بغير علامة ، والحديث الذى لم يجده في هذه الكتب وخرجه البغوى بسند إنفرد به يقول : روى البغوى بسنده ، وما رواه البغوى باسناد الثعلبي يقول : روى البغوى باسناد الثعلبى .

٤ – وما كان فيه من احاديث زائدة والفاظ متغيرة فيجتهد فى تصحيح ما اخرجته الكتب المعتبرة عند العلماء كالجمع بين الصحيحين للحميدى وكتاب جامع الاصول لابن الاثير الجزرى .

٥ – شرح غريب الحديث وما يتعلق به ليكون اكمل فائدة ومسافة بالمغ ما قدر عليه من الايجاز والترتيب مع التسهيل والتقريب .

ثم ذكر خمس فوائد ينبغي لكل مؤلف كتاب فى فن سبق اليه ان يتبعها وقد تضمن كتابه هذه الفوائد ولذلك سماه (لباب التأويل فى معانى التنزيل). ثم عقد ثلاثة فصول :

الاول – في فضل القرآن وتلاوته وتعليمه ، جمع فيه بين فصلي البغوى في فضائل تعليم القرآن وفضائل تلاوته ، وجاء باثني عشر حديثا ستةموجودة فى فصلى البغوى السابقين اللذين جمعا ستة عشر حديثا .

الثاني – في وعيد من قال فى القرآن برأيه من غير علم ، ووعيد من اوتي القرآن فنسيه ولم يتعهده . وقد ذكر فيه اثنى عشر حديثا وتضمنت الاحاديث الثلاثة التي ذكرها البغوى .

الثالث – في جمع القرآن وترتيب نزوله ، وفي كونه نزل على سبعة احرف ذكر فيه خبرين عن زيد بن ثابت بعد مقتل اهل اليمامة ، وعن حذيفة بن اليمان بعد فتح ارمينية ثم اورد ترتيب نزول المصحف بمكة والمدينة. ثم افرد فصلا فى كون القرآن نزل على سبعة احرف وما قيل فى ذلك ، ذكر فيها ثلاثة احاديث اخرها بسند البغوى .

بعد ذلك عرف معنى التفسير والتأويل وذكر الفرق بينهما ثم انتقل الى القول في الاستعاذة ومعناها وحكمها وذكر فيها مسائل ثلاث ..

١١ تفسير الخازن للقرآن الكريم سورة سورة فهو يطابق تفسير البغوى في كثير من الآيات والمواضع .

ففي سورة الفاتحة يتناول ـ بعد ذكر عدد آياتها وكلماتها وحروفها ـ مكيتها ومدنيتها وخلاف العلماء في ذلك ، ثم يورد لها ستة اسماء ، مبينا معنى كل اسم من تلك الاسماء ، ثم يعقد فصلا في فضل السورة وسرد فيه خمسة احاديث نبوية صحيحة خرجها ، احدها من البخارى واثنان من مسلم والبقية من كتب السنن للترمذى والنسائي والموطأ ، وشرح غريب الحديث الاخير ثم يبتدىء بتفسير السورة .. وهو في ذلك يزيد على تفسير البغوى فيما يتصل باسماء السورة وفضل السورة وان كانت الاحاديث في فضل السورة قد ذكر ثلاثة منها الامام البغوى في خاتمة السورة[٥٣] .

وفي مستهل سورة البقرة زاد الخاز ن على ماقاله البغوى في مدنية السورة وعدد آياتها ، انها اول ما نزل بالمدينة سوى آية « واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله » فانها نزلت يوم النحر بمكة في حجة الوداع ثم ذكر عدد كلماتها وحروفهـــا .

وعقد الخازن فصلا في فضل سورة البقرة اورد فيه ثلاثة احاديث ثم وقف في نهاية السورة على فضل خاتمة البقرة ، واورد فيها احاديث زاد فيهـا على البغوى بحديث واحد[٥٤] .

وفي بيان معنى الحروف المقطعة يفصل في ذلك ويزيد على البغوى بعض الوجوه فمن ذلك التحدى لهم ـ بهذه الحروف التي عرفوها ـ ان يأتوا بسورة

---

(٥٣) راجع وقارن بين التفسيرين ١/١٦ ، ١/٢٤ .
(٥٤) راجع وقارن بين التفسيرين ١/٢٥ ، ١/٣١٦ .

من مثل القرآن ، وانها للتنبيه حين اعرض الكفار عن سماع القرآن فنزلت لتشد اسماعهم اليه[٥٥] .

والملاحظ انه لم يفصل القول في الحروف المقطعة التي ابتدأت بها السور الاخرى بل أوجز الكلام فيها واحال الى ما سبق ذكره في اول سورة البقرة ، ولكنه وقف طويلا - كما فعل البغوى - على بعض السور كسورة القلم .

وفي ضوء مقدمة الامام الخازن لتفسيره ، ومن خلال هذا التفسير نستطيع ان نتمثل منهجه فيما يلي :

أولا : - النقل والانتخاب دون اسهاب او تطويل وذكر فوائد من كتب التفسير :

ان تفسير الخازن يطابق في اكثره تفسير البغوى ، ويورد الخازن ويستخدم عبارة الامام البغوى معاجراء بعض التغيير الطفيف ، والاختصار احيانا والزيادة احيانا اخرى .

ومن ذلك انه ذكر تعريفات البغوى نفسها لكلمة صنوان ، العجب الماء . لكنه اختصر بعض التفاصيل اللغوية لكلمة صنوان[٥٦] ، وزاد في بيان معنى العقل حيث وضحه بابيات من الشعر[٥٧] وزاد ايضاح معنى الكفر والفلاح في تفسيره لقوله تعالى « واولئكَ هـمُ المفلحونَ انَّ الـذينَ كفروا ...»[٥٨] .

وقد يزيد قليلا في بيان وايضاح الاشكال الوارد على النص ، ويفصل ما اشكل في شرح البغوى للآية كما فعل في تفسيره لقوله تعالى « يَسُومونَكُمْ سُوءَ العذابِ ويذبِّحونَ أبناءَكُم »[٥٩] .

---

(٥٥) راجع لباب التأويل ٢٦/١ .
(٥٦) راجع لباب التأويل ٤/٤ .
(٥٧) راجع لباب التأويل ٥٤/١ .
(٥٨) راجع لباب التأويل ٣١/١ البقرة آية ٥ و ٦ .
(٥٩) راجع لباب التأويل ٣٢/٤ - ٣٣ ابراهيم آية ٦ .

وقد يخالف الخازن البغوى في بعض المسائل كما وقع دلك في تعريف الاسم حيث قال : والصحيح آراء اخرى[٦٠] .

ومما اختصره الخازن في تفسيره الامور النحوية التي وقف عليها البغوى وخاصة الاعراب[٦١] .

ومن ابرز الامور التي تلاحظ على تفسيره ويختلف فيها عن البغوى عدم تعرضه للقراءات مما فاض فيه البغوى .

ويأتي الامام الخازن بفوائد في التفسير يستمدها من مصادر اخرى في كتب التفسير وغيرها .. مما رآه مناسبا في سياق التفسير وموضحا لمعاني الآيات مراعيا في اخذه الايجاز والاختصار .

ومن ابرز الاسماء التي تتردد في تفسيره الطبرى[٦٢] ، الزمخشرى[٦٣] الرازى[٦٤] ، ابن الجوزى[٦٥] ، النووى[٦٦] ، القاضي عياض[٦٧] .

ثانيا :ـ تخريج الاحاديث وحذف الاسانيد :

خرج الخازن الاحاديث التي وردت خلال تفسير البغوى وردها الى اصولها من كتب الصحاح والسنن وبذلك سد ثغرة في تفسير الامام البغوى واغنى بذلك عن ذكر الاسانيد التي أطال البغوى في ايرادها وقد وضع الخازن

---

(٦٠) راجع لباب التأويل ١/١٧ وراجع ٤/١٢٧ .
(٦١) راجع لباب التأويل ١/٢٨ .
(٦٢) راجع لباب التأويل ٢/١٨٣ .
(٦٣) راجع المصدر نفسه ٣/١٩٤ .
(٦٤) راجع المصدر نفسه ٢/٣١٩ ، ٣/١٦٦ ، ٢٠٥ ، ٤/٣١ .
(٦٥) راجع المصدر نفسه ٢/٣١٨ ، ٣/٥٥ ، ٤/١٢٧ .
(٦٦) راجع المصدر نفسه ٢/٣٤ ، ٣١٨ .
(٦٧) راجع المصدر نفسه ٢/٣٢٩ ومما اخذه عن الواحدى ٢/٥ ، ١٨٤ ، ٣/١٧١ .

علامات وحروفا مختصرة للكتب التي خرج منها تلك الاحاديث وهي : (ق) للمتفق عليه[٦٨] ، (خ) لما في صحيح البخارى[٦٩] ، و (م) لما في صحيح مسلم[٧٠] .. اما عدا ذلك من كتب السنن الاخرى فقد ذكرها باسمائها فيقول مثلا : اخرجه ابو داود[٧١] ، اخرجه الترمذى[٧٢] واخرجه الترمذى والنسائي[٧٣] واخرج ابو داود والحاكم ابو عبدالله في مستدركه[٧٤] .

اما الاحاديث التي رواها البغوى بسنده ولم تكن في كتب الصحاح والسنن فيقول الخازن فيها : روى البغوى بسنده عن عقبة بن عامر وابي هريرة مثلا[٧٥] . واما ما رواه بسنده عن شيخه الثعلبى فيقول الخازن : روى البغوى باسناده عن الثعلبى عن النبى صلى الله عليه وسلم[٧٦] .

واما الاحاديث التي رواها البغوى بدون سند فيقول فيها الخازن : روى البغوى بغير سند او يقول روى فقط[٧٧] .

ثالثا :ـ شرح الاحاديث :

قام الخازن بشرح غريب الحديث وبيان معناه بطريقة ميسرة تفيد فهم المعنى وتكشف عما يستفاد منه ويبين الخلاف والفروق في الروايات وحين تكون المفردات الصعبة في الحديث كثيرة يفرد فصلا لشرحها وتوضيحها[٧٨] . وقد

---

(٦٨) راجع المصدر نفسه ٢٩/١ ، ١٦٦/٣ ، ٤٦ ، ٣١/٥ ، ٧٢ ، ١٣٠ .
(٦٩) راجع المصدر نفسه ٤٦/٣ ، ١٦٦ ، ١٣١/٥ .
(٧٠) راجع المصدر نفسه ٣١/١ ، ١٩ ، ١٦٦/٣ ، ٧٢/٥ ، ١٢٠ ، ١٥٦ .
(٧١) راجع لباب التأويل ١٦٩/٣ ، ٧٣/٥ .
(٧٢) راجع المصدر نفسه ١٦٩/٣ ، ١٣٢/٥ ، ١٥٦ .
(٧٣) راجع المصدر نفسه ١٦٦/٣ ، ٧٤/٥ ، ١٣١ .
(٧٤) راجع المصدر نفسه ١٩/١ وفي الصفحة نفسها خرّج عن الدار قطني
(٧٥) راجع المصدر نفسه ١٨/٤ ، ٢١ .
(٧٦) راجع المصدر نفسه ١٧١/٣ ، ١٥٦/٥ .
(٧٧) راجع المصدر نفسه ١٣/١ ، ٥٥ ، ١٦٩/٣ ، ٢١/٤ ، ٣٠/٥ ، ١٣٠ .
(٧٨) راجع المصدر نفسه ٢٩/١ ، ٩٨/٣ ، ١٣١ ، ١٣٤/٤ .

التزم الخازن بعمله هذا بصورة مطردة مع الاحـاديث الطـويلة التي تستوجب الوقوف عليها لبيان معانيها ، وهكذا يكون قد سد ثغرة اخرى في تفسير الامـام البغـوى ..

رابعا :ـ التنبيه على الاسرائيليات :

يتفق الخازن في تفسيره مع البغوى في الاعتماد على المأثور مـن اقـوال الصحابة والتابعين ، ويترتب عـلى هذا اتفاقهما فـي سرد الاخبـار والقصص الاسرائيلية مما سبقت الاشارة اليه في منهج البغوى فمن ذلك ما اورده فـي تفسيره للزح المحفوظ(٧٩) .

ولكن الخازن يتعقب في بعض الاحيان ما اورده البغـوى مـن الاخبار الاسرائيلية وخاصة ما يتصل بعصمة الملائكة والانبياء فمن ذلك ما ورد في قصة (هاروت وماروت) التي سبق الحديث عنها حيث انكر الخازن تلك الاخبـار الاسرائيلية وافرد فصلا في القول بعصمة الملائكة قال فيه : « اجمـع المسلمون على ان الملائكة معصومون فضلا ، واتفق أئمة المسلمين على ان حكم الرسل من الملائكة حكم النبيين سواء في العصمة في باب البلاغ عن الله عز وجل وفي كل شيء ثبتت فيه عصمة الانبياء فكذلك الملائكة ، وانهم مع الانبياء في التبليغ اليهم كالانبياء مع أممهم ... واجاب من ذهب الى عصمة جميـع الملائكة عـن قصة هاروت وماروت بان ما نقله المفسرون واهـل الاخبار في ذلك لم يصح عـن رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شيء وهذه الاخبار انما اخذت من اليهـود وقد علم افتراؤهم على الملائكة والانبياء ، وقد ذكر الله عز وجل في هذه الايات افتراء اليهود على سليمان اولا ثم عطف عـلى ذلـك قصة هـاروت ومـاروت ثانيا ...(٨٠) ثم اورد في بطلان هذه القصة وركتها وجوها ثلاثة نـزه بهـا الملائكة عن كل ما لايليق بمنصبهم ، كما دفع الاخبار الاسرائيلية التي تطعـن

---

(٧٩) راجع لباب التأويل ٧/٢٣٢ .

(٨٠) راجع لباب التأويل ١/٩٠ ـ ٩١ .

بعصمة النبي يوسف (عليه السلام) يقـول للامام فخرالدين الرازى[٨١] ، كما عقد فصلا في تنزيه داود عليه السلام عما لايليق به وما ينسب اليه[٨٢] .

وفي مقام تفسيره لقول الله تعـالى « ومِن قومِ موسى امةٌ يهدونَ بالحقِّ وبهِ يعدِلون »[٨٣] ضعف الامام الخازن رواية اسرائيلية اوردها البغوى عن الكلبى والضحاك والربيع بأنهم قوم خلف الصين عـلى نهر يسمى نهر الاردن يمطرون بالليل ويسقون بالنهار لايصل اليهم منا احد وهم على دين الحق ، وذكر ان جبرائيل عليه السلام ذهب بالنبي عليه السلام ليلة اسرى به اليهم فكلمهم وبلغوه عن موسى السلام ثم اقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة وامرهم بالصلاة والزكاة . قال الخازن : « وهـذه الحكاية ضعيفة مـن وجوه الاول : قولهم ان احدا منا لايصل اليهم واذا كان كذلك فمن ذا الـذى أوصل خبرهم الينا . الثاني : قولهم ان جبريل ذهب بالنبي صلى الله عليه وسلم اليهم وهذا لم يرد به نقل صحيح ولا يلتفت الى قول الاخباريين والقصاص . الثالث : انهم بلغوا النبي سلام موسى واقـرأهم عشر سور وفـرض الزكـاة والصحيح في حديث المعراج انه سلم على موسى فى السماء السادسة ، وقد نزل بمكة اكثر من عشر سور ، وكان فرض الزكاة بالمدينة . ثم يقدم لنا المختار في تفسير هذه الآية[٨٤] .

خامسا ـ تنظيمه وحسن تربيته :

تناول الامام الخازن المسائل التى ترد خلال التفسير بالتنظيم والترتيب . حيث افرد فصولا للقضايا ذات الاهمية للاستفادة منها وهو في عمله هذا يتميز على تفسير البغوى الذى يدرج ذلك خلال الشرح والتفسير .

---

(٨١) راجع لباب التأويل ٢٧٥/٣ .
(٨٢) راجع لباب التأويل ٤٩/٦ .
(٨٣) الاعراف آية ١٥٩ .
(٨٤) راجع لباب التأويل ٢٩٩/٢ ـ ٣٠٠ .

فمن ذلك عقده فصولا كاملة لبعض الاحاديث المهمة التى جاءت في سياق التفسير ، فمثلا نجده قد عقد فصلا في احاديث الاسراء وخرجها وذكر ما يتعلق بها من الاحكام واقوال العلماء فيها ، كما عقد فصلا في بعض الآيات التي ظهرت بعد المعراج الدالة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم[85] .

وكذلك يعقد فصولا للقصة منفردة ، وهذا الامر يطرد على غالب قصص القرآن والاخبار[86] .

كما انه يعقد فصولا للاحكام المهمة بعنوان منفصل مثل حكم قتل البغاة واحيانا يأتي باحاديث اخرى غير التي عند البغوى مما يتعلق بالاحكام[87] .

وفي حالة الحكم الذى يشتمل على عدة فروع يفصل في ذلك بصورة منظمة في مسائل جانبية متعددة فيقول : وهذا الحكم يشتمل على عدة مسائل هي ...[88] ومن ذلك انه ذكر قبل تفسير سورة الفاتحة فصلا في حكم البسملة ثم ذكر فيها مسألتين الاولى : في كون البسملة آية في الفاتحة وغيرها من السور سوة براءة واورد اقوال العلماء واختلافهم في ذلك ، والثانية : في حكم الجهر والاسرار بالبسملة[89] .

كما افرد فصلا في سبب ترك البسملة في اول براءة[90] .

وعلى النحو نفسه يعقد فصولا في الامور التي تتصل بالعقيدة ، وهو من ابرز الفروق بين البغوى والخازن حيث يهتم الخازن بهذا الجانب وينبه اليه كثيرا .

---

(٨٥) راجع لباب التأويل ٤/١٢٨ ، ١٣٦ .
(٨٦) راجع مثلا ٢/٣٧ ، ١٤٨ ، ٣/٢١١ ، ٢٦٧ .
(٨٧) راجع لباب التأويل ١/١٧٢ .
(٨٨) راجع لباب التأويل ٣/١٠٨ .
(٨٩) راجع لباب التأويل ١/٨ .
(٩٠) راجع لباب التأويل ٣/٥٦ .

ويوافق الخازن البغوي في الامور التي يوردها الاخير مرجحا رأي أهل السنة والجماعة ، وقد يزيد الخازن في الادلة او الشرح في مسائل العقيدة كما في مسألة زيادة الايمان ونقصانه او كونه من الاعمال حيث اورد فيها احاديث للتوضيح والتدليل[91] .

ومثل ذلك فعل في شرح قوله تعالى « ولله الاسماء الحسنى » حيث جاء بكل الاسماء الحسنى مما لم يذكره البغوي ، ونقل فيه عن ابن العربي المالكي في ان لله الف اسم[92] .

كما نجده يعقد فصولا لمسائل تتصل بالعقيدة مما يرد في شرح الآيات التي لم يتعرض لها البغوي مطلقا وهو في كل هذا ينقل آراء اهل الكلام والفرق ثم يرجح رأي اهل السنة والجماعة فمن ذلك عقد فصلا عندما تعرض لشرح قوله تعالى « وامّا ينزغنّك من الشيطان نزغ"[93] » ورد على من احتج بها في عصمة الانبياء[94] .

وقد جاءت آيات كثيرة على هذا النحو في مسائل العقيدة ، وافرد الخازن فصولا منفردة للرد على ما استدل به اهل الكلام في القدح بعصمة الانبياء[95]. كما عقد فصلا آخر في فضل الرسول صلى‌الله عليه وسلم على سائر الانبياء[96].

اما الامور التي لها علاقة بعلوم القرآن كمباحث اسباب النزول والناسخ والمنسوخ ، والمكي والمدني فالغالب انه يذكرها ضمن التفسير وينبه اليها في موضعها المناسب من التفسير ، وفي بعض الاحيان يفرد فصولا لها كما فعل في

---

(91) راجع لباب التأويل ٢٩/١ ٠
(92) راجع لباب التأويل ٣١٨/٢ والاية ١٨٠ الاعراف ٠
(93) الاعراف آية ٢٠٠ ٠
(94) راجع لباب التأويل ٣٢٨/٢ ٠
(95) راجع لباب التأويل ٥١/٣ ، ٣٠٢ ، ٢٣٦ ، ٢٨٤/٤ ٠
(96) راجع لباب التأويل ١٥٧/٢ ٠

الخلاف الذى وقع حول الايات المدنية في سورة الاسراء المكية[٩٧] .

وعقد فصلا في خلاف العلماء حول المنسوخ من آخر سورة النحل[٩٨] .

(٩٧) راجع لباب التأويل ٤/١٢٧ .
(٩٨) راجع لباب التأويل ٤/١٢٦ .

الفصل الثالث

ميزة تفسيره وقيمته العلمية

في دراسة حياة الامام البغوى في الباب الاول وجدناه قد نشأ نشأة صالحة تؤهله الى هذه المكانة المرموقة والمنزلة الرفيعة في عداد المفسرين الكبار ، فقد ولد وترعرع في اقليم من اقاليم خراسان بعيدا عن الاجواء السياسية والنزعات والخلافات الحادة .. كما كانت مرو الروذ مدرسته الاولى التي تلقى فيها علومه ، وهي مدينة تجمع ابرز العلماء والمتخصصين في علوم الشريعة المختلفة كتابا وسنة وعقيدة وفقها ، وهكذا نال حظا وافرا من لدن علماء عصره وشيوخ زمانه ، وهم الائمة الاعلام ، امثال الشيخ الحسين المروزى ...

واجتمعت لديه ادوات التفسير بحفظ كتاب الله ، ودراسة العربية وقراءة الاصول الاساسية في العلوم المختلفة التي لابد منها للمفسر خاصة ان كتبه وآثاره في فروع الشريعة المختلفة تشهد له بهذا التكامل في ثقافته والاحاطة الحسنة بافاق كتاب الله الخالد .

وقد لمع نجمه في ميدان الحديث النبوى واشتهر لقبه محي السنة لعنايته وانصراف همته للحديث النبوى تأليفا وتصنيفا ، وهو أمر يرفع من مكانة المفسر ويمنحه صفة تميزه عن اقرانه .

كما ان في حياة الامام البغوى العملية ما يمنحه من الثقة والامانة ماهو جدير به ، فقد عرف ـ بشهادة الذين ترجموا له ـ زاهدا صالحا في نفسه ، صاحب اخلاق رفيعة ، مستقيما في عقيدته ، وهذا ما قدر لتفسيره من الشهرة والذيوع اكثر من غيره من التفاسير .

وفي ضوء الدراسة السابقة لمنهج الامام البغوي في معالم التنزيل ، ومن

خلال الموازنة بينه وبين سابقه الامام الثعلبي من ناحية ولاحقه الامام الخازن من ناحية نتوصل الى مزايا تفسيره المهمة وقيمته العلمية الكبيرة وهي :

أولا ـ يعتبر تفسير الامام البغوى من التفاسير المبكرة المتقدمة لان صاحبه من علماء القرن الخامس الهجرى ، ولو استثنينا التفاسير الاولى في القرن الثاني لمقاتل بن سليمان ت ١٥٠ هـ ، وشعبة ت ١٦٠ هـ ، وللثورى ١٦١ هـ ، ووكيع بن الجراح ت ١٩٧ هـ ، وابن عيينة ١٩٨ هـ التي تعتمد على المأثور لما وجدنا كتبا سبقت تفسير البغوى الا القليل كتفسير الامام الطبرى ت ٣١٠ هـ والثعلبى ٤٢٧ هـ ، واذا علمنا ان هذين التفسيرين من التفاسير المطولة المفصلة ، ادركنا أهمية تفسير الامام البغوى الذى يعتبر من اوائل كتب التفسير المتوسطة التي افادت من السابقين وخاصة في المأثور من التفسير ، وزادت عليها أشياء تكمل التفسير وتجعله على صورة اكثر فائدة لمتوسطي الثقافة ومحدودى المعرفة •

ثانيا ـ كما ان كتب التفسير عامة جاءت ذات اتجاهات متنوعة ، فمنها ما يعني بالمأثور من التفسير ، ومنها المعقول ، ومنها ما يهتم بالاحكام الفقهية ، او بجوانب اللغة العربية ، نحوا ولغة وبلاغة واعجازا ، الى غير ذلك من الاتجاهات المتخصصة الموجهة لطبقات خاصة من المعنيين بكتاب الله تعالى •

وقد جاء تفسير الامام البغوى جامعا شاملا لجوانب متعددة واتجاهات مختلفة ، مما يجعله مفيدا لاعداد كبيرة من القراء والمهتمين بفهم كتاب الله وتدبره على الوجه الامثل •• وقد سبق بسط موضوع اتجاه هذا التفسير خلال الباب الثاني من البحث حيث وجدناه جامعا على حرصه على المأثور من كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم واقوال الصحابة والتابعين ، والعناية باللغة والنحو والقراءات وذاكرا آراء اهل السنة والسلف فى قضايا العقيدة ، والاحكام الفقهية المهمة من الفقهاء الاربعة وغيرهم •

ثالثا ـ جاء تفسير البغوى ـ وان كان متنوع الجوانب ـ معتمدا على اصلين

مهمين في الاسلام وهما الكتاب والسنة ، اما اعتماده على كتاب الله تعالى فواضح في ايراده النظائر من الايات الاخرى التى توضح وتبين معنى الاية المفسرة مما تعرضت له سابقا فى منهجه فى التفسير ، وقد نبه الامام الزركشى[١] لهذه الميزة في الجمع بين آيات كتاب الله وتوضيح معنى القرآن بالقرآن وذلك فى معنى توفي الله وملك الموت والملائكة للنفس الانسانية ، ففى تفسير البغوى لقوله تعالى : « حتّى اذا جاءَ احدَكُم الموتُ توفّتْه رُسُلُنَا[٢] » قال البغوى : يعني اعوان ملك الموت يقبضونه فيدفعونه الى ملك الموت فيقبض روحه كما قال تعالى « قُلْ يتَوفّاكُم مَلَكُ الموتِ » وقيل الاعوان يتوفونه بأمر ملك الموت فكأن ملك الموت توفاه لانهم يصدرون عن أمره »[٣] .

وفي اعتماده على السنة نجده كثير الاستشهاد بالاحاديث النبوية ، يسوق عددا كبيرا منها خلال تفسيره للايات القرآنية ، وفى مقام بيان المعنى ، وهي نظائر تدل على سعة باع الامام البغوى فى معرفته للسنة النبوية ، ولا عجب فى ذلك فقد اشتهر محى السنة بهذا الاهتمام وهذه العناية ووضع فى ذلك المؤلفات الكثيرة واشهرها مصابيح السنة وشرح السنة .

ويلاحظ كذلك ان البغوى في تفسيره يختار النصوص الحديثية وآثار السنة النبوية فلا يورد منها الضعيف او الموضوع والمنكر بل ينتقي الصحيح والحسن منها ، وهو أمر ظاهر يؤكده تخريجنا لتلك النصوص خلال البحث ، فأكثر تلك الاحاديث من صحيح البخارى ومسلم وهي ايضا من كتب السنن الاخرى ، وكتب الحفاظ وأئمة الحديث المسموعة مما يليق بتفسير كتاب الله ، ومما يؤكد سلامة احاديثه ما ساقه من

---

(١) البرهان في علوم القرآن ٢/٦٤ .
(٢) الانعام آية ٦١ .
(٣) راجع معالم التنزيل ٢/١٤٢ والاية ١١ من سورة السجدة .

الاحاديث الصحيحة والحسنة في باب فضائل القرآن الذى يكثر فيه الوضع والاختلاق •

رابعا ـ اختصر الامام البغوى في تفسيره معالم التنزيل وحذف الاسانيد التى تروى بها اقوال الصحابة (رضى) ، وآراء التابعين وتفاسير من تبعهم من المفسرين امثال قتادة وعكرمة ومقاتل وغيرهم •• وذلك لذكره طرقه واسانيده فى مقدمة التفسير •

وهو أمر حسن وجيد يدعو الى الاعجاب لان هذا يسر كثيرا على قارىء التفسير وادخر جهدا كبيرا في قراءة اسماء رجال الاسانيد الذى لايحتاج الى معرفتهم ، خاصة وان ذكرهم يؤدى الى التكرار ويسبب التعب والسأم والضجر ويكفي لمعرفة سند الرواية الرجوع للمقدمة •

خامسا ـ تجنب الامام البغوى في تفسيره وتحاشى ما ولع وتعلق به كثير من المفسرين وذلك بعدم ذكر التفصيلات الدقيقة في المسائل التى تتعلق باللغة والنحو ، كما لم يتورط خلال تفسيره بما وقع فيه بعض المفسرين من الاستطراد والخروج بعيدا عن مدار البحث والتفسير الى كلام لاصلة له بعلم التفسير ، كما تجرد تفسيره من الاصطلاحات العلمية الخاصة بعلوم العربية والفقه والعقيدة مما جعله سهل الفهم واضحا لدى سائر الدارسين والقراء •

وهكذا جاء تفسيره مركزا لا حشو فيه ولا اطالة ولا اطناب ، بل كان كما وضحنا خلال الباب الثاني يحيل احيانا الى المسائل السابقة التي مرّ تفسيرها دون ان يعيد ما ذكره مرة ثانية •

وبمثل هذا المنهج والطريقة في البعد عن الاطالة والتفصيل تناول العلوم ذات الصلة بتفسير الآيات من مثل المكي والمدني واسباب النزول والناسخ والمنسخ • وحين تتعدد الاقوال والاراء في معنى الاية الواحدة يذكر تلك الاراء والاقوال بايجاز واختصار •

وقد نبه الدكتور الذهبي الى هذه الميزة فقال عنه « يتحاشى ما ولع به كثير من المفسرين من مباحث الاعراب ونكات البلاغة والاستطراد الى علوم اخرى لاصلة لها بعلم التفسير »[٤] .

سادسا ـ لم يكن البغوى خلال تفسيره ناقلا ذاكرا للاراء المأثورة عن الصحابة والتابعين وتفاسير القرن الثاني فحسب ، بل كان يوجه التفسير ويسوقه بالطريقة المناسبة ، كما يختار في بعض الاحيان الرأى الادنى للصواب بين الاقوال التي يسوقها خاصة ان كل فيها خلاف ، ولا يعنى هذا أنه أختار ورجح في كل مسألة عرض لها خلال التفسير ، اذ ليس هذا ممكنا لطبيعة التفسير نفسه وصعوبة اختيار رأى وترجيحه دون الاعتماد على دليل ، ولكن المهم ان الامام البغوى لم يكن في تفسيره كما قيل « ينقل الخلاف عن السلف في التفسير ويذكر الروايات عنهم فى ذلك ولا يرجح »[٥] .

واضرب بعض الامثلة التي تؤكد ترجيحه واختياره بين الاراء في موضوعات ومباحث مختلفة .

ففي المعنى العام للآيات يقف في سورة البقرة متحدثا فى معنى الخلافة لآدم ، ويذكر وجهين فى ذلك ، وهو لانه يخلف الجن ، وقيل لانه يخلفه غيره ، ولكن البغوى يختار شيئا آخر فيقول : « والصحيح انه خليفة الله في أرضه لاقامة احكامه وتنفيذ قضاياه »[٦] .

ومثل ذلك يختار معنى السجود الحقيقي لآدم ، وليس الى آدم باتخاذه قبلة ، كما يختار كون ابليس من الملائكة وليس من الجن معتمدا في ذلك

---

(٤) التفسير والمفسرون ١/٢٣٧ .
(٥) التفسير والمفسرون ١/٢٣٨ .
(٦) راجع معالم التنزيل ١/٤٥ .

على القرآن نفسه[7] .

وهو ايضا يذكر في قوله تعالى « اللهُ الذى رَفَعَ السموات بغيرِ عَمَدٍ تَرَونها » وجهين والاصح فيها نفي العمد اصلا ، وليس اثبات العمد ونفي رؤيتها »[8] .

وفي المسائل اللغوية يرجح في اصل اشتقاق كلمة الاسم رأى المبرد من البصريين على رأى ثعلب من الكوفيين ، وهو من السمو وليس من السمة وذلك لانه يصغر على سمي[9] .. »

ومن ترجيحاته في مسائل العقيدة ما ذكره في تفسيره لقوله تعالى « وان منكُمْ الا واردُها »[10] حيث يورد الاختلاف الذى وقع في فهم هذه الآية للاختلاف في فهم معنى الورود هل هو الدخول او الحضور والرؤية ، والاختلاف في عودة الضمير (ها) للنار او للقيامة . وبعد عرضه لتلك الآراء وحجة كل رأى ودليله يقول : والاول اصح وعليه اهل السنة انهم جميعا يدخلون النار ثم يخرج الله عز وجل منها اهل الايمان دليل قوله تعالى « ثُمَّ نُنَجِّي الذين اتَّقَوا .. »[11] .

ومن ترجيحاته في الاحكام الفقهية اختياره معنى الطهر للقرء وليس الحيض ويعتمد في هذا الترجيح على المعنى اللغوى للقرء نفسه »[12] ومثل ذلك اختار الرأى القائل بوجوب العمرة ، وليس اتمامها اذا ادخل فيها »[13] .

ومن ترجيحاته في مباحث علوم القرآن ما اختاره في مكية سورة الفاتحة.

---

(7) راجع معالم التنزيل ١/٤٨ .
(8) راجع معالم التنزيل ٤/٢ والاية ٢ الرعد .
(9) راجع معالم التنزيل ١/١٧ .
(10) مريم آية ٧١ .
(11) مريم آية ٧٢ وراجع معالم التنزيل ٤/٢٥٥ .
(12) راجع معالم التنزيل ١/٢٢٥ .

اذ يورد الاراء المختلفة في ذلك من كونها مكية ثم مدنية او مكية ومدنية لنزولها مرتين ، وفي النهاية يقول : « والاصح انها مكية لان الله تعالى منّ على الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : « ولقد آتيناك سبعاً من المثاني .. » والمراد منها فاتحة الكتاب ، وسورة الحجر مكية فلم يكن يمن عليه بها قبل نزولها »(١٤) .

وهكذا ننتهي الى ان البغوى لم يكن ناقلا للآراء بل كان يختار ويرجح في كثير من المسائل .

سابعا ـ استخدامه لاسلوب السؤال في حل الاشكالات ، وهو اسلوب حسن لتحقيق الفهم وايضاح المسائل ، ففي مستهل سورة الفاتحة وبعد ان يذكر معنى البسملة يقول « فان قيل ما معنى التسمية من الله ؟ قيل هو تعليم العباد كيف يستفتحون القراءة »(١٥) ، ومثل ذلك يورد الاشكال حول معنى تقديم العبادة على الاستعانة ثم يجيب عنه بالطريقة السابقة نفسها فان قيل ... قيل ، ومن الاشكالات التي اجاب عنها بالطريقة السابقة : مخاطبة المعدوم في قوله تعالى « فاذا قضى أمراً فانما يقول له كن فيكون » ، واجاب عليه بوجهين : الاول لابن الانبارى والاخر غير منسوب(١٦) ولعله له ، ومثل ذلك ما اجاب عنه فيما في ظاهره التناقض في آيات كتاب الله »(١٧) .

ثامنا ـ اهتم الامام البغوى في تفسيره بالقراءات (القرآنية) فكان ينبه اليها ويوضحها ويبين ما يترتب عليها من المعاني والفوائد ، ولكن هذه العناية لم تبلغ درجة الاسراف والمبالغة مما يلاحظ مثلا على تفسير الامام الثعلبى

---

(١٣) راجع معالم التنزيل ٢/١٧٣ .
(١٤) راجع معالم التنزيل ١/١٦ والاية ٨٧ الحجر .
(١٥) راجع معالم التنزيل ١/١٧ .
(١٦) راجع معالم التنزيل ١/١٠٠ والاية ٦٨ غافر .
(١٧) راجع معالم التنزيل ٤/٢٠ .

بحصر جميع القراءات للاية الواحدة ويذكر وجوها كثيرة جدا للكلمة الواحدة .. ولكنه يعني بالدرجة الاولى بالقراءات العشر التي اعتمدها علماء القراءات وأتفقوا عليها ، وعني بها علماء التفسير وذلك لموافقتها رسم القرآن الكريم ، ويعتبر الامام البغوى من اوائل المفسرين الذين ضموا قراءة ثلاثة الى القراءات السبع المشهورة ، يقول الزركشى : « والحق المحققون منهم البغوى في تفسيره بهؤلاء السبعة قراءة ثلاثة وهم : يعقوب الحضرمى ، وخلف ، وابو جعفر بن قعقاع المدني شيخ نافع ، لانها لاتخالف رسم السبع[18] .

تاسعا ــ لم يغفل البغوى خلال التفسير الاشارة الى المسائل البلاغية بصورة سريعة تعين على فهم معنى الايات دون تعمق وتوسع وذكر للاصطلاحات بل يكتفي في ذلك بمقدار ما يكشف عن معنى الآية في السياق القرآني للكشف عن دقة التعبير وبيان الاسلوب الرائع المعجز خاصة وهو يقرر ان اسلوب كتاب الله في الطبقة الاولى من البلاغة وحسن النظم والتأليف يقول البغوى : « والقرآن معجز في النظم والتأليف والاخبار عن الغيوب ، وهو كلام في أعلى طبقات البلاغة لايشبهه كلام الخلق لانه غير مخلوق ، ولو كان مخلوقا لآتوا بمثله »[19] .

اما الامور البلاغية التي يشير اليها البغوى خلال التفسير فأنواع الاستفهام في القرآن الكريم ، من الانكارى والتقريرى ، او التفخيم ، وذلك في مواضع مختلفة[20] من تفسيره .

كما ينبه لفائدة التكرار في القرآن الكريم فهو في سورة « الكافرون » للتوكيد والافهام على مجارى لسان العرب[21] ، وتكرار قوله تعالى

---

(18) البرهان فى علوم القرآن ١/٣٣٠ .

(19) راجع معالم التنزيل ٤/١٨٣ ، وراجع ١/٣٩ ، ٣/٢٢٢ ، ٦/٢٥٢ .

(20) راجع معالم التنزيل ٦/٧ ، ٢٣٧ ، ٢/١٣٨ ، ٧/١٤٢ .

(21) راجع معالم التنزيل ٧/٣٠٦ .

« فبأى آلاء ربكما تكذبان » في سورة الرحمن تقريراً للنعمة وتأكيدا في التذكير بها[٢٢] ، وتكرار ذكر النـداء للمشركـين لزيـادة التقـريع والتوبيخ »[٢٣] .

وينبه كذلك الى التلوين في الخطاب وما يعرف بالالتفات بالانتقال مـن الخبر الى الخطاب[٢٤] ، الى غير ذلك من الاشارات البلاغية المفيدة التي يسجلهـا بصورة سريعـة ويمسها مسا خفيفا دون تعمـق او ذكـر للاصطلاحات .

(٢٢) راجع معالم التنزيل ٧/٤ .
(٢٣) راجع معالم التنزيل ٥/١٨٠ .
(٢٤) راجع معالم التنزيل ٢/١١٩ .

الخاتمـة :

(البغوى ومنهجه في التفسير) دراسة علمية منهجية لحياة علم من اعلام التفسير في القرن الخامس الهجرى ، تناولت فيها تفاصيل حياته ثم وقفت على كتاب جليل من كتب التفسير القديمه لابين منهجه وطريقه في التفسير .

والبحث يضم تمهيدا وثلاثة ابواب :

تناولت في التمهيد الشرق الاسلامى في القـرن الخامس الهجـرى ، بدراسة بيئة المفسر وعصره ، وما له من اثر في حياته ، وقد تضمن موجـزا للحاله السياسية وما كان من سيطرة السلاجقة على ايران والعراق ، وكانوا اصحاب غيرة على الاسلام ، والحالة الدينية وما كان فيها من تيارات ومذاهب مختلفة من سنة وشيعة واهل كلام ، وارتفاع شأن طائفة اهل السنة لاعتناق الحكام لهذا المذهب ، وذكرت في الحالة الثقافية ما كان للمدارس والمكتبات ودور المساجد من اثر في التعليم واشرت الى ابرز العلماء في ذلـك العصر .. وهكذا درست عصر المفسر بصورة عامة وبيئته بصورة خـاصة لنلمس اثـر هذه الاحوال في شخصيته ونبوغه .

وجاء الباب الاول بفصول ثلاثة تناولت في جميعها شخصية المفسر وحيته بالدراسة المستفيضة استعنت عليها بالمصادر التي ذكـرته مـن كتب التراجـم والطبقات مطبوعة ومخطوطة .

اما الفصل الاول فكان عن حياته ونشأته ذكرت فيه نسبه وألقابه العلميـة التي اشتهر بها ونالها بجدارته لكونه علما من اعلام الشريعة ، كما درست في هذا الفصل زمن ومكان ولادته ووفاته ثم تعرضت لنشأته الاولى وذكرت شيئا عن اسرته بما جادت به وسجلته كتب التراجم ، ثم تحدثت عن رحلته في طلب العلم التى اقتصرت على اقليم خراسان وخـاصة مرو الروذ حيث استقر فيهـا اطول مدة حتى وفاته ، ثم تناولت عقيدته ومذهبه فوجدت انه كان سنيا ، شافعي

المذهب ، ثم عرضت ما قيل في صفاته واخلاقه التي اتسمت بطابع الجد والزهد والورع ٠

اما الفصل الثاني فقد عقدته وخصصته لشيوخه وتلاميذه ، وبينت في ذلك هؤلاء الشيوخ الكثيرين وتأثير هؤلاء الاعلام فيه ، ومن ثم تأثيره في الاجيال التي تلته من الذين درسوا على يديه وتلقوا العلم عنه واصبحوا من ابرز العلماء المشهورين ٠

واما الفصل الثالث فكان عن آثاره ومؤلفاته والتي تمثل حصيلة جهده وثمرة طلبه للعلم ورحلاته واخذه عن العلماء فكان ان برز في علوم الشريعة عامة وصار من المحدثين البارزين ، كما نبغ في التفسير وعلوم القرآن ، والف في الفقه وخاصة على المذهب الشافعي ٠

وكان الباب الثاني عن تفسيره معالم التنزيل ومنهجه وهو صلب البحث وجوهره ، وبدأت الفصل بمقدمة عرفت فيها بالتفسير ودواعي تأليفه له ٠٠ ثم جعلت الباب في ثلاثة فصول :

ففي الفصل الاول ذكرت مصادره في تفسيره التي اعتمد عليها واستعان بها وجعلها اداة التفسير ، وقد ذكرها في مقدمته وكانت على ثلاثة اقسام اولها : مصادر التفسير بالمأثور وبينت الطرق التي اخذ بها تلك الروايات عن الصحابة والتابعين ، وقد ذكرها في المقدمة ليستغنى عن ذكرها خلال الشرح والتفسير ٠ والثاني : الاخبار والقراءات ، وقد أخذ الاخبار من مصدرين ٠ اما القراءات فاعتمد على العشرة المعتبرة وذكر سنده اليها ٠ والثالث : مصادره في الحديث والسنة النبوية وهي كتب الائمة الصحيحة ٠

وفي الفصل الثاني الذى كان عن منهجه في التفسير استفضت فيه بما يوضح هذا المنهج ويكشف عن طريقته في التفسير ، وقد تناولته من جوانبه المختلفة دون اطالة وان كنت قد فصلت في بعضها وضربت له الامثلة والشواهد ٠

وبدأت هذا الفصل بمقدمة عن منهجه وكيفية تفسيره لكتاب الله تعالى وما اتصف به من السهولة والوضوح والايجاز ، وقد بسطت منهجه خلال اصول اساسية اعتمدها وهي :

أ ـ اعتماده على الكتاب والسنة : تناولت فيه تفسيره للقرآن بالقرآن وبالسنة النبوية مراعيا بذلك سياق السند وتحرى الصحة والدقة دون تخريج الا نادرا .

ب ـ حرصه على المأثور من التفسير من اقوال الصحابة والتابعين ممن ذكر طرق الاخذ عنهم في المقدمة مع اخذه من آخرين لم يذكرهم ، وقد برز طابع المأثور في تفسيره بصورة ظاهرة وكان امينا في نقله لآراء هؤلاء السلف دون ترجيح وقد يرجح فيما يختاره ويجد الدليل عليه .

ج ـ عنايته باللغة والنحو والقراءات من شرح المفردات والالفاظ والتعريف ثم الاعراب مع تعدد الوجوه وقد ذكر خلال التفسير اسماء بعض من اخذ عنهم من اللغويين والنحويين مثل المبرد والاخفش والزجاج والكسائي ، ويعتبر اهتمامه بهذا الجانب امرا اساسيا مكملا للتفسير بالمأثور ، كما ركز عنايته بوجوه القراءات العشر ووقف عليها وخاصة فيما يترتب عليه من اختلاف في المعنى والتفسير .

د ـ بعده عن البدع وقلة الاسرائيليات والموضوعات : وفي هذا الجانب اكدت على خلو تفسيره من البدع والانحرافات معززة ذلك باقوال الدارسين والناقدين المحدثين ، كما استعرضت جانب الاسرائيليات في تفسيره وقد كان الشيء الوحيد الذى اخذ عليه واتهم به تفسيره ورأيت انه كان في اخذه بالاسرائيليات اقل ممن سبقه من المفسرين ، وهو كذلك لم يسندها الى الرسول صلى الله عليه وسلم ، والبغوى فى هذا الجانب كان على نهج من سبقه خاصة شيخه الثعلبى الذى امتلأ تفسيره بها ، وقد نبهت الى بطلانها وعقبت على بعضها بالتفسير الراجح .

هـ ـ ذكره لقضايا العقيدة والاحكام الفقهية بايجاز تناولت فيه اولا من قضايا العقيدة خلال تفسيره لبعض الايات القرآنية مما يصل بالتوحيد والصفات والبعث والاخرة وغيرها ، وكان يقف في بعضها ليبين رأى اهل الفرق واصحاب الكلام ، ثم يبين رأى اهل السنة مع ذكر الادلة دون تفصيل . اما في شرحه لآيات الاحكام فقد كان كذلك يعرض الاراء المختلفة دون ترجيح وتعصب لمذهبه ، واحيانا قليلة يرجح ما يراه صوابا، وضربت امثلة على ذلك .. وقد تجنب فى ذلك المسائل الجزئية والفرعية والخلافات والاصطلاحات الخاصة .

اما الفصل الثالث فكان عن مباحث علوم القرآن في تفسيره ، وقد بينت ما احتوى تفسيره من هذه المباحث كالمكي والمدني في السور والآيات ، فقد كان يستهل كل سورة بتحديد مكيتها او مدنيتها واستثناء بعض الآيات المكية في السور المدنية والآيات المدنية في فى السور المكية ، كما وقفت خلال تفسيره على مبحث اسباب النزول للآيات والسور التي كان يوردها البغوى ، وقد ذكر عدة اسباب لمنزل واحد والعكس فقد ذكر عدة آيات لسبب واحد . وقد كان البغوى مرجحا لما يقع فيه خلاف وقد يترك ذلك دون ترجيح وضربت لذلك امثلة . واخيرا عرضت ما كان يذكره من الناسخ والمنسوخ من الايات وتعريفه لمعنى النسخ واقسامه . وقد كان يذكر اختلاف العلماء في نسخ آية او احكامها ويختار ويرجح وقد يذكر الاراء دون ترجيح .

وقد بينت انه كان يتناول جميع هذه المباحث دون تفصيل وبمقدار ما يزيل اللبس ويوضح المعنى .

والباب الثالث والاخير كان عن البغوى في الميزان ، عرضت فيه ما له وما عليه ، وما امتدح به وما اخذ عليه ، وقد تضمن هذا الباب فصولا ثلاثة :
الفصل الاول آراء العلماء فيه والمآخذ عليه وذكرت اتفاق اهل الجرح

والتعديل على توثيقه وتعديله باعلى درجات التوثيق والتعديل ، وثناءهم على شخصيته ومؤلفاته ..

اما الفصل الثاني فكان عن مكانة تفسيره بين تفسيري الثعلبي والخازن ، وقد اجريت اولا مقارنة بينه وبين الثعلبي وقدمت لذلك بنبذة تعريف بالثعلبي ومنهجه في تفسيره ، ثم ما استفاده البغوي منه وما حذف من تفسيره وما زاده واضافه عليه واجريت ثانيا مقارنة بينه وبين تفسير الخازن قدمتها بتعريف بالخازن ومنهجه في تفسيره لباب التأويل ثم ذكرت ما بين معالم التنزيل ولباب التأويل من تطابق واختلاف ومزايا .

وفي الفصل الثالث كشفت عن ميزة تفسيره وقيمته العلمية وشرحت فيه مزايا تفسيره مستندة ومستدلة في ذلك بآراء العلماء والدارسين قدماء ومحدثين وموضحة ذلك من خلال تفسيره .

نتائج البحث :

بعد هذه الدراسة المفصلة للامام البغوي ومنهجه فى التفسير توصلت الى ما يأتي :

أولا ـ كشف هذا البحث عن جوانب مهمة من حياة البغوى فعرف به تعريفا علميا دقيقا واعتنى بصورة خاصة بابراز صفاته واخلاقه ، وبيان مذهبه وعقيدته حيث انتهى البحث الى أنه محدث وفقيه ومفسر .

كما احصى بتتبع واستقراء كتبه ومؤلفاته في فروع الشريعة المختلفة تفسيرا وحديثا وفقها ، مخطوطة ومطبوعة ، ما كان منها بالعربية والفارسية وعرف تعريفا موجزا بمضمون تلك المؤلفات .

وقدم البحث عرضا دقيقا واحصاء علميا لاسماء شيوخه الذين تلقى منهم العلوم وتتلمذ عليهم .

كما عرض بنفس الطريقة اسماء تلاميذه الذين نهلوا منه العلم وتتلمذوا عليه •

ثانيا ـ وبين هذا البحث منهج معالم التنزيل الذى يقوم ويعتمد على المأثور من الكتب والسنة واقوال الصحابة والتابعين ، وهو يستفيد من اقوال اللغويين والنحويين في تفسيره لكتاب الله ويعنى ببيان الاحكام الفقهية ومسائل العقيدة •

وبهذا نخلص الى ان تفسير معالم التنزيل من التفاسير المأثورة بالدرجة الاولى الا انه يضم الى جانب المأثور اللغة والنحو والقراءات واحكام الفقه والعقيدة •

ثالثا ـ توصل البحث الى ان البغوي في تفسيره المأثور يعتمد بصورة رئيسية ظاهرة على السنة المطهرة واحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم بحيث يستفيد فى ذلك كثيرا في بيان معانى الايات الكريمة ، ولا نكاد نجد موضعا في التفسير الا ويورد ما اتصل به من الاحاديث بما يبين ويوضح تلك الايات ، والملاحظ على هذه الاحاديث التى يكثر البغوى ايرادها انها احاديث على درجة كبيرة من الصحة والحسن واكثرها ان لم يكن كلها من صحيحي البخارى ومسلم بالدرجة الاولى ومن كتب السنن بالدرجة الثانية •

رابعا ـ اظهر البحث رواية البغوى للاسرائيليات وكان ذلك نتيجة لسيره على نهج المفسرين السابقين واخذه عن الثعلبى وان كان المتوقع ان يجنبها تفسيره باعتباره محدثا يمحص الروايات بطريقة المحدثين ويميز بين الصحيح والدخيل ، ولكن البحث رد الاتهام بالاكثار منها وبين انه اخذ من تلك الروايات بنسبة اقل من التفاسير التى سبقته •

اما مسألة حذفه لاسانيد الروايات المأثورة فقد بين البحث ان ذلك لايعد عيبا او نقصا في التفسير لانه ساق تلك الاسانيد والطرق التي اخذ عنها

تلك الاقوال في مقدمة الكتاب ولم يذكرها في طي التفسير تجنبا للاطالة.

خامسا - اجرى هذا البحث موازنة بين تفسير معالم التنزيل وبين تفسير علمين من اعلام المفسرين سابق ولاحق اما الاول فهو تفسير (الكشف والبيان للثعلبي) وبين البحث ان تفسير البغوي لم يكن عالة عليه ولم يكن مطابقا له تماما بل انه استفاد منه الكثير وخاصة في مجال المأثور من اقوال الصحابة والتابعين لكنه حذف منه الكثير ونسقه ورتبه بصورة افضل كما زاد عليه عناية بالاحاديث النبوية ، وصحح بعض رواياته فيكون بذلك قد استفاد منه واضاف عليه ، اما الثاني وهو تفسير لباب التأويل للخازن فقد كشف البحث عن استفادته من معالم التنزيل واعتماده عليه بحيث ان الخازن اتخذه اساسا لتفسيره فهو يطابقه تماما في كثير من المسائل بصورة مفصلة كما استفاد من كتب التفسير الاخرى وزادها على المواضع ويزيد عليه بترتيبه وتخريج الاحاديث وحذف اسنادها مع بيان المسائل بصورة مفصلة كما استفاد من كتب التفسير الاخرى وزادها على تفسير البغوي وخاصة في مجال العقيدة .

وفي النهاية اقترح اعادة طبع التفسير وتحقيقه تحقيقا علميا يتناسب ومقامه الجليل للافادة منه ومن منهجه المتميز الواضح السهل الذي يصلح للمستويات المختلفة من القراء لانه بصورته الحالية لايحقق الغرض المنشود خاصة وان الطبعة القديمة لتفسير البغوي على هامش الخازن فيها عدم دقة وغموض ، كما تحتاج الى ترتيب وتصنيف ، فضلا عن عدم اتباع المنهج العلمي في التحقيق .

والله ولي التوفيق .

المصادر والمراجع

أ ـ المخطوطة

١ ـ الاستدراك • ابن نقطه (ابو بكر محمد بن عبدالغني البغدادي) ت٦٢٩هـ• المكتبة الظاهرية بدمشق برقم ٤٢٣ •

٢ ـ الاعلام بوفيات الاعلام • الذهبي (محمد بن احمد بن عثمان) ت ٧٤٨هـ المكتبه الظاهرية برقم ٣٨٥٢ •

٣ ـ التقييد لمعرفه رواة السنن والمسانيد • ابن نقطة ت ٦٢٩ هـ ، نسخةمصورة عن مكتبة الازهر برقم ١٣٧ مصطلح الحديث •

٤ ـ تكمله الاكمال • ابن نقطة ت ٦٢٩ هـ نسخة خاصة من مكتبه الاستاذ عبدالستار القدسي ، بغداد •

٥ ـ سير اعلام النبلاء • الذهبي (محمد بن احمد) ت ٧٤٨ هـ • مكتبة دار الكتب برقم ١٢١٩٥ مصورة عن مكتبة احمد الثالث ـ تركيا ، ونسخة اخرى للمكتبة المركزية جامعة الملك عبدالعزيز ـ مكة المكرمة •

٦ ـ طبقات الشافعية • ابن كثير (اسماعيل بن عمر) ت ٧٧٤ هـ • الخزانة العامة فى الرباط تحت رقم ٢٧٩ •

٧ ـ طبقات الشافعية • النووى • (يحيى بن شرف) ت ٦٧٦ هـ • مكتبة الاوقاف المغربية برقم ١٩٥ ق •

٨ ـ الكشف والبيان عن تفسير القرآن • الثعلبى (احمد بن محمد بن ابراهيم) ت ٤٢٧ هـ نسخة المكتبة الازهرية برقم ١٣٦ الجزء الاول والجزء الرابع • عن مكتبة مركز البحث العلمي واحياء التراث بمكة المكرمة •

ب ـ المطبوعة :

٩ ـ الاتقان في علوم القرآن : جلال الدين السيوطي ت ٩١١ هـ • ط مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة ١٩٥١ م •

١٠ـ الاسرائيليات واثرها في كتب التفسير : د • رمزى نعناعة ط١ دار القلم ودار البيضاء ـ دمشق ـ بيروت سنة ١٩٧٠م •

١١ـ الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير • د • محمد بن محمد ابـو شهبة • الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية القاهرة ١٩٧٣م •

١٢ـ الاعلام • خيرالدين الزركلي ط٣ ـ بيروت ١٩٦٩م •

١٣ـ الانساب للامام ابي سعيد عبدالكريم بن محمد السمعاني ت ٥٦٢ هـ ط١ مجلس دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر اباد الدكن ـ الهند ١٩٦٣م •

١٤ـ البداية والنهاية : ابن كثير ت ٧٧٤ ط٢ ـ مكتبة المعارف ـ بيروت١٩٧٧م•

١٥ـ البرهان في علوم القـرآن : بدر الدين الزركشي ت ٧٩٤ تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ط٢ دار المعرفة ـ لبنان •

١٦ـ تاريخ الادب العربي ، كارل بروكلمان (النص الانكليزى) •

١٧ـ تاريخ القرآن والتفسير • د•عبدالله محمود شحاته • الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٧٢م •

١٨ـ تذكرة الحفاظ : الذهبى ت ٧٤٨ • مطبوعات دائرة المعـارف العثمانية ، دار احياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان •

١٩ـ تفسير البغوى (معالم التنزيل) ابـو محمد الحسين بن مسعود البغـوى ت ٥١٦ هـ • ط٢ مصطفى البابي الحلبى القاهرة ١٩٥٥م (على هامش الخازن) •

٢٠ـ تفسير الخازن (لباب التأويل في معالم التنزيـل) : علاءالدين علي بن

محمد البغدادى ت ٧٢٥ ط ٢ مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة ١٩٥٥٠

٢١ـ تفسير القاسمي (محاسن التأويل) محمد جمال الدين القاسمي ت١٩١٤م ط١ عيسى البابي الحلبى القاهرة ١٩٥٧م •

٢٢ـ تفسير القرآن العظيم : ابن كثير ت ٧٧٤ هـ • ط عيسى البابي الحلبي ـ القاهرة •

٢٣ـ تفسير القرطبي (الجامع لاحكام القرآن) محمد بن احمد القرطبى ط١ دار الشعب ـ القاهرة •

٢٤ـ التفسير ورجاله : محمد الفاضل ابن عاشور ط٢ دار الكتب الشرقية تونس ١٩٧٢م •

٢٥ـ التفسير والمفسرون : د•محمد حسين الذهبى ط١ دار الكتب الحديثة ـ القاهرة ١٩٦١ م •

٢٦ـ الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق خلال القرن الخامس الهجرى • فاضل الخالدى • ط١ دار الاديب ، مطبعة الايمان ـ بغداد •

٢٧ـ دائرة المعارف الاسلامية : ترجمة احمد الشنتناوى وآخرين ط طهران ـ بوذر جمهرى •

٢٨ـ الدور الكامنة في اعيان المائة الثامنة : شهاب الدين احمد بن حجر العسقلانى ت ٨٥٢ هـ تحقيق محمد سيد جاد الحق ط المدني ـ القاهرة•

٢٩ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور : جلال الدين السيوطي ت ٩١١ هـ دار المعرفة ـ بيروت لبنان •

٣٠ـ دولة السلاجقة : د•عبدالنعيم حسنين ـ مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧٥م

٣١- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة ، السيد الشريف محمد بن جعفر الكتاني ط٣ دار الفكر - دمشق سنة ١٩٦٤م .

٣٢- روح المعاني : الالوسي ط١ الاميرية ، بولاق القاهرة سنة ١٣٠١ هـ .

٣٣- روضات الجنات في اصول العلماء والسادات ، الميرزا محمد باقر الخوانساري . تحقيق اسد الله اسماعيليان ط . المهراستور دار المعرفة بيروت ١٣٩١م .

٣٤- سلاجقة ايران والعراق : د.عبدالنعيم محمد حسنين ط٢ السعادة القاهرة سنة ١٩٧٠م .

٣٥- السلاجقة في التاريخ والحضارة : د.احمد كمال الدين حلمي ط١ دار البحوث العلمية - الكويت سنة ١٩٧٥ .

٣٦- شذرات الذهب في اخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي ت ١٠٨٩ المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان .

٣٧- شرح السنة : ابو محمد الحسين بن مسعود البغوى ت ٥١٦ هـ تحقيق شعيب الارناؤوط ، محمد زهير الشاويش ط . المكتب الاسلامي ، بيروت ١٩٧١ .

٣٨- طبقات الحفاظ ، جلال‌الدين السيوطى ت ٩١١ تحقيق علي محمد عمر مكتبة وهبه ط١ الاستقلال سنة ١٩٧٣ .

٣٩- طبقات الشافعية : جمال‌الدين عبدالرحيم الاسنوى ت ٧٧٢ هـ تحقيق عبدالله الجبورى ط الارشاد بغداد سنة ١٩٧٠م .

٤٠- طبقات الشافعية الكبرى : تاج‌الدين السبكى ت ٧٧١ تحقيق محمود محمد الطناحي وعبدالفتاح محمد الحلو ط١ عيسى البابي الحلبى وشركاؤه ١٩٦٤م .

٤١ـ طبقات الفقهاء لابى بكر بن هـداية الله الحسيني سنة ١٠١٤ هـ المكتبـة العربية ـ بغداد سنة ١٣٥٦ هـ ٠

٤٢ـ طبقات المفسرين للحافظ شمس الدين محمد بن علي بن احمد الداودى ت ٩٤٥ هـ تحقيق علي محمد عمر ، مكتبة وهبه ، شارع الجمهـورية بعابدين ٠

٤٣ـ طبقات المفسرين : جلال الدين السيوطى ت ٩١١ هـ ط ليـدن طهـران سنة ١٩٦٠م ٠

٤٤ـ العبر في خبر من عبر : الذهبى ت٧٤٨ هـ تحقيق د٠صلاح الدين المنجـد كويت سنة ١٩٦٣م ٠

٤٥ـ عون المعبود شـرح سنن أبي داود : ابو الطيب شمس الحـق : تحقيق عبدالرحمن عثمان ط٢ المجد ، القاهرة سنة ١٩٦٩م ٠

٤٦ـ فتاوى ابن تيمية ت ٧٢٨ جمـع وترتيب عبدالرحمن بن محمد الحنبلي ط الرياض ١٣٨١ هـ ٠

٤٧ـ الكامل فى التاريخ : عزالدين بن الاثير سنة ٦٣٠ هـ ٠ ط٢ دار الكتاب العربي بيروت لبنان سنة ١٩٦٧م ٠

٤٨ـ كشف الظنون حاجي خليفة ط وكالة المعارف ١٩٤٣م ٠

٤٩ـ لطائف الاشارات لفنون القـراءات : شهاب الدين القسطلانى ت ٩٢٣ هـ « تحقيق عامـر السيد عثمان وعبدالصبور شاهـين ط المجلس الاعـلى للشؤون الاسلامية القاهرة ١٩٧٢ م ٠

٥٠ـ المختصر فى اخبار البشر ، ابو الفـدا عمـاد الدين اسماعيل بن عمر ت ٧٣٢ هـ ٠

٥١ـ المدخل لدراسة القرآن الكريم : د٠ محمد محمد ابو شهبة ط٢ ٠

٥٢- مرآة الجنان وعبرة اليقظان : ابو محمد عبدالله بن اسعد اليافعي ت٧٦٨هـ مؤسسة الاعلمي بيروت - لبنان ط • دائرة المعارف النظامية - حيدر اباد الدكن سنة ١٣٣٨ هـ

٥٣- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، ملا علي بن سلطان القارى ط الهند بومبى سنة ١٠١٤ هـ •

٥٤- معجم البلدان : ياقوت الحموى ت ٦٢٦ هـ دار بيروت للطباعة والنشر بيروت •

٥٥- معجم المؤلفين : عمر رضا كحالة - مكتبة المثنى - بيروت •

٥٦- مشكاة المصابيح : الخطيب التبريزى ، تحقيق محمد ناصرالدين الالباني ط المكتب الاسلامى •

٥٧- مفتاح السعادة ومصباح السيادة : احمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زادة ت سنة ٩٦٨ هـ ، مراجعة وتحقيق كامل بكرى ، عبدالوهاب ابو النور دار الكتب الحديث ١٩٦٨م •

٥٨- مقدمة في اصول التفسير : لابن تيمية ت ٧٢٨ هـ تحقيق الدكتور عدنان زرزور ط١ دار القرآن الكريم الكويت ١٩٧١ •

٥٩- مناهج المفسرين : د• منيع عبدالحليم محمود • دار الكتب المصرى ط١ القاهرة ١٩٧٨م •

٦٠- مناهل العرفان في علوم القرآن : محمد الزرقاني ط دار احياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى - القاهرة •

٦١- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة بن تغرى بردى الاتابكى ت٨٧٤ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر • مطابع كوتتاتوماس وشركاؤه القاهرة •

٦٢- وفيات الاعيان : ابن خلكان ت٦٧١ هـ تحقيق د• احسان عباس دار الثقافة بيروت - لبنان •

فهرست الآيات القرآنية

فهرست الاحاديث النبوية

فهرست الاعلام[1]

---

(١) يراجع أسماء تلاميذ البغوى ص٤٥ـ٤٨ ، واسماء شراح كتاب شرح السنة ٥٥ ـ ٥٨ ، وطرق مصادر تفسيره ٦٦ ـ ٦٩ ، ٧١ واسماء رجال طرق احاديثه ٨٧ ـ ٨٩ .

فهرس تفصيلي لمحتويات البحث